

سومرست موم

أغلاال الحب

43

maktbtina.com

Ahmad2006771

نظر تها
سیکی



روایات الملال



maktbtna.com



مکتبتنا

رواية الهلال

تصدر عن (دار الهلال) شركة مساهمة مصرية

رئيسا تحريرها اميل زيدان وشكري زيدان

مدير التحرير طاهر الطناحي

العدد ٣٢ * أغسطس ١٩٥١ * ذو القعدة ١٣٧٠

بيانات ادارية

ثمن العدد في مصر والسودان ٧٠ مليما - في الاقطار العربية عن الكميات المرسله بالطائرة : في سوريا ٩٠ قرشا سوريا - في لبنان ٩٠ قرشا لبنانيا - في الاردن ٩٠ فلسا - في العراق ٩٠ فلسا

قيمة الاشتراك عن سنة (١٢ عددا) : في القطر المصري والسودان ٧٠ قرشا - في سوريا ولبنان ٩٠٠ قرش سموري أو لبناني - في المملكة العربية السعودية والعراق والاردن ٩٠ قرشا صاغا في الأمريكتين ٦ دولارات في سائر أنحاء العالم ١٢٢ قرشا صاغا أو ٢٥ شلنا

طريقة الدفع

في مصر والسودان : نقدا أو بموجب أذونات أو حوالات بريدية أو شيكات - في خارج القطر المصري : بموجب حوالة مصرفية على أحد بنوك القاهرة أو حوالة نقدية (Money Order) أو الى أحد وكلائنا اذا كان هناك وكيل . ولا يمكن قبول أذونات البريد أو العملة الأجنبية

الادارة: دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بك-القاهرة

كاتبات: روايات الهلال - بوسنة مصر العمومية - مصر

التليفون ٧٩٨١٠ (تسعة خطوط)

ت : يخاطب بشأنها قسم الاعلانات بدار الهلال

كلمة التحير

« أغلال الحب » رواية انسانية رائعة ، تكاد تكون أحسن رواية أنتجتها يراعة الأديب الانجليزى سومرست موم . وقد عالج فيها الحب فى أدق أحواله ، وأقصى أهواله . وصور النفس البشرية حين تمتحن بما فى الحياة من صعود وهبوط ، وأمل ويأس ، وأفراح وأشجان ، وتجارب شائكة ومفاجآت غريبة

وهى قصة فتى يتيم عانى ألوان البؤس والآلام . ثم امتحن بالحب ، فأترع كؤوسه المرة واحتمل شدائده القاسية الى جانب ما احتمل من شقاء الحياة وتجاربها المؤلمة ، وكان لهذه التجارب أثر عميق فى نفسه

وانه ليصعب أن يصدق الانسان أن تكون حوادث هذه الرواية من نسج الخيال ، لما تزخر به من شخصيات حية وأحاسيس واقعية وتقلبات لا تستقر على حال . ولقد اعترف سومرست موم بهذه الحقيقة ، وكاد يقرر أن هذه الرواية ترجمة لحياته الزاخرة بالاحداث والآلام ، اذ قال فى الطبعة الانجليزية : « حين اعترمت أن أكتب هذه الرواية كنت مؤلفا لروايات تمثيلية لقبت كثيرا من الاقبال، فانسحبت من هذا العمل سبنتين ، اذ رأيت أنى لا أستطيع الفرار من ذكريات أليمة تلاحقنى بالكتابة عنها . ومن الواضح أن الكاتب حين يكتب عن حياته ، لا يكاد يعنى بالنظر الى القارىء . واذا خاطبه من خلال الرواية ، فانما يخاطبه عرضا . وهو قد يعطى بعض الاحداث أهمية ما كانت تستحقها لولا أنها وقعت له . وربما كانت فى روايتى أشياء من هذا القبيل ! »

وقد كتب عنها الناقد المعروف جودفرى وين : « انها أحسن مؤلفات سومرست موم وهى من الروايات القليلة فى العصر الحاضر التى استحققت أن توصف بأنها عظيمة » . . .



أما الرواية التالية ، فهى « قلوب تحترق » للأديب النمساوى الأشهر ستيفان زفايج . وتصدر فى منتصف سبتمبر القادم . وهى رواية انسانية شائكة ، وقصة غرام عجيب . وقد ألفها زفايج قبيل الحرب العالمية الاخيرة ، فأحدثت ضجة أدبية فى أوروبا وأميركا . وعدها النقاد حدثا فنيا عالميا . وقد امتازت بفكرتها المبتكرة ، ونظرتها المثاقفة ، وهى الى ذلك قصة واقعية من بدائع القصص الكلاسيكى

maktbtna.com



أغلال الحب

رواية انسانية رائعة ، تصور الحب في أدق أحواله
وأقصى أهواله ، مع تحليل نفسي دقيق لما يوحى به من
الآمال والأعمال وما يكتنفه من الملبسات والمفاجآت

تأليف

makhtma.com الأديب الإنجليزي

سومرست موم

ترجمة
مكتبتنا
دار الهلال بمصر

شخصيات الرواية

- فيليب** : طالب يتيم أعرج ، كفاه عمه القس كاري بعد وفاة أبيه الطبيب ووالدته في حداته
- القس كاري** : عم فيليب ، وقسيس كنيسة قرية بلا كستيل ، عرف بشدة الاقتضاد
- السيدة لويزا** : زوجة القس كاري عم فيليب . وقد عدت هذا بمثابة ابن لها لأنها لم ترزق أولاداً
- فاني برايس** : فتاة بائسة تعلقت بالفن ، دون أن تكون لديها موهبة للنبوغ فيه ، وقد زاملها فيليب بم رسم بياريس
- ملدريد** : عاملة حسناء في مشرب ، معوجة الخلق ، أحبها فيليب وأكرمها كثيراً ولكنها أساءت إليه كثيراً
- جريفيث** : طالب طب كان صديقاً لفيليب ثم مال الى ملدريد وتعلقت به
- اثلنى** : موظف بسيط في إحدى الشركات ، مزح طيب القلب يعيش مع زوجته وأولادها السبعة عيشة الكفاف
- بيتى** : زوجة اثلنى ، قروية ، لا تعرف سوى خدمة زوجها وأولادها
- سالى** : كبرى بنات اثلنى ، جميلة قوية البدن . نشأها أبواها على الاشتراك في تدبير المنزل ، وقد أحببت فيليب وتزوجها
- ماكالستر** : حمار في البورصة ، تسبب في ضياع البقية الباقية من مال فيليب
- فوستر** : سيدة تقوم بخدمة القس كاري وتدير شئون بيته بعد وفاة زوجته

مؤلف الرواية



وليم سومرست موم ، الكاتب
الروائي المعاصر ، اشتهر بكثرة
انتاجه ، وانتشار مؤلفاته ، التي
لا يقل عددها عن ستين مؤلفا ، ما بين
روايات مسرحية ، وقصص ، وكتب
سياحة . ويمتاز بأنه كاتب واقعي ،
يستمد قصصه من الحياة ، ومن
ملاحظته للناس في أسفاره العديدة .
وهو يكره الحواشي والوصاف ،
ويعمد الى الوقائع مباشرة ، يمزج
فيها الحقيقة بالخيال ، مزج كاتب
خبير بفن القصص ، عليم بطبائع
النفوس ، ميال الى السخرية

ولد في إنجلترا سنة ١٨٧٤ ، فهو
الآن في السابعة والسبعين من عمره .

وتعلم في « مدرسة الملك » King's School ، وكانتربري ، ورحل في نشأته الى
باريس فتعلم اللغة الفرنسية وأتقنها ، ثم عاد يدرس في إنجلترا ، وبعدئذ
انتقل الى جامعة هيدلبرج بألمانيا ، ثم سافر الى إيطاليا وتعلم اللغة الإيطالية
بمدينة فلورنس . وهكذا جمع في سنى شبابه محصولا وافرا من المعارف
والمعلومات وأتقن عدة لغات . وقد ألف أول رواية بعنوان « ليزا ف لبث »
وهو في الثالثة والعشرين من عمره ، واستمد موضوعها من ملاحظاته وهو
طالب طب يتدرب في أحد المستشفيات العامة بلندن ، حيث عرف الفقر
ووقف على ظروف الفقراء

ومع انه درس الطب ، لم تجذبه مهنة الطبيب . كما لم تعجبه مهنة
المحاماه من قبل ، ومال الى الادب وحده ، خصوصا بعد ان نجحت روايته
الاولى نجاحا رائعا ، وعدت من بدائع القصص الواقعي . وكان أبوه وجده
قبله محامين ، وقد وصل أخوه اللورد موم الى منصب وزير مالية بريطانيا ،
ولكن وليم سومرست أثر الادب على كل منصب ، وكل مهنة أخرى

وبعد نجاح رواياته الاولى ، شرع يؤلف للمسرح ، غير أن مديري المسارح
رفضوا رواياته الهزلية التي قدمها ، حتى كاد يئأس من النجاح في هذا

المجال ، واذا بئزلية له تدعى « اللادى فريدريك » يقبلها أحد المسارح .
فتنجح نجاحا منقطع النظير . وتدور حوادثها حول شاب وقع في غرام
حسنة أكبر منه سنا . ثم تلتها هزليات أخرى ، فيها نقد لاذع للمجتمع .
وقد نجحت كلها كذلك

وبعد أن وضع عدة روايات مسرحية ، وألف عددا من القصص ، تفرغ
لتأليف أعظم رواياته ، المسماة « Of Human Bondage » وهي هذه الرواية الفريدة
التي تقدمها الى القراء باسم « أغلال الحب » . وقد ظهرت هذه الرواية أول
مرة في عام ١٩١٥ فلم يعرف الانجليز قدرها حتى وصلت الى امريكا فلقبت
رواجا منقطع النظير وعدها الامريكيون في الطليعة بين المؤلفات الحديثة .
وقد أعيد طبعها في انجلترا وامريكا مرات عديدة ، وترجمت الى جميع اللغات
الحية . وهي تعد بحق نموذجا للأدب الواقعي البالغ الصراحة

ولم يكد ينتهى من تأليف روايته هذه ، حتى نشبت الحرب العظمى الاولى
في عام ١٩١٤ ، فدخل الخدمة الطبية العسكرية في فرنسا ، ثم نقل الى
قلم المخابرات البريطانية في انجلترا ، وقد تأثرت صحته من العمل المتواصل
فسافر الى جزر الجنوب مارا بأمريكا ، ووجد في تلك الجزر الهدوء الذي
ينشده ، وعاد بملاحظات وذكريات أعانته في تأليف روايته « القمر وستة
بنسات » وتدور وقائعها في تلك الجزر ، ولكنه أوفد قبل ان يتم تأليف
هذه الرواية في بعثة دبلوماسية الى روسيا وهناك عاوده المرض ، ورجع الى
انجلترا مريضا بذات الرئة ، فدخل مصحة أمضى بها عدة أشهر حتى عوفي
من دائه . وسرعان ما حفزه حب السفر الى ان يبحر الى الصين ، وقد عاد
منها بكتاب جديد . . وهكذا ظل على سفر دائم ، يستمد منه موضوعات
لقصص ينشرها بالمجلات الانجليزية والامريكية او يؤلف منها كتباً وروايات

وقبل نشوب الحرب العظمى الاخيرة كان قد استقر في « فيللا » سماها
« بورسك » عند رأس فرات بالقرب من مدينة نيس . ولكن الالمان احتلوا
فرنسا في عام ١٩٤٠ ، فاضطر الى الفرار في باخرة فحم حتى وصل الى
انجلترا ، ثم لجأ الى امريكا حيث استقر في مزرعة بولاية كارولينا الجنوبية
وهناك عاد الى تأليف الكتب والروايات والقصص ، وقد اقبل الامريكيون
على رواياته يخرجون منها افلاما ، فلقبت هذه الافلام نجاحا عظيما حيثما
عرضت في امريكا او غيرها من البلدان

وهو يقر بأن بلاد الشرق التي زارها كانت اكبر مصدر للإلهام عنده ،
وكان قد اعتزم أن يزور الهند ، فحالت الحرب العظمى الثانية دون تحقيق
هذه الامنية ، والآن وقد تقدمت به السن ، لا بأسف على شيء كما بأسف
لان صحته لا تمكنه من زيارة تلك البلاد

وقد بدا حبه للسفر وللأدب معا ، في تخصيصه جائزة مالية كبيرة ،
تصرف منها جمعية المؤلفين . . . جنيه لكل أديب شاب تختاره ، لكي ينفقها
في القيام برحلة توسع من أفق تفكيره

الفصل الأول

طفل يتيم !

بدأ النهار معتما كثيبا ، وقد تراكت السحب وبرد الجو وبانت نذر الجليد . وكان الطفل ما زال نائما في سريره ، فلم يشعر بمربيته حين دخلت عليه غرفته ، ولا حين أزاحت الستائر ، ثم مضت فانحنت عليه في سريره ، ونادته في حنان : « فيليب ! فيليب ! » استيقظ يا حبيبي ،

ولم تنتظر حتى يستيقظ ، بل حملته بين ذراعيها ، ومضت به هابطة السلم الى الطابق الارضى من الدار ، وهي تربت شعره بيدها وتقول له والنعاس يداعب جفنيه :

– هل استيقظت يا حبيبي ؟ فيليب ! ان والدتك تريد أن تراك !

ودخلت به غرفة والدته ، وكانت مستلقية على سريرها ، ففتحت جفניה حين سمعت صوت المربية وهي توقظ الطفل ، ثم مدت ذراعيها وتناولته منها وأرقدته بجانبها ، ثم قبلت عينيه واحتضنته ، وأخذت تناغيه في صوت خافت حزين قائلة له :

– أناثم أنت يا حبيبي ؟ ألا تريد أن تراني ؟

ولم يجب الطفل ، لكنه أحس راحة الى جوار أمه فازداد التصاقا بصدرها ، وما لبث قليلا حتى شعر بالدفء وغلبه النوم !

وفيما هي تتأمله ، وصدرها يعلو ويهبط تأثرا بالافكار القاتمة التي طافت بذهنها ، دخل الطبيب الذي يتولى علاجها ، ووقف هنيهة صامتا بجانب السرير ، وكأنما شعرت الأم المريضة بأنفاسه الحارة ونظراته غير الراضية ، فالتفتت اليه ونظرت اليه متوسلة قائلة :

– دعوه معي قليلا ، انه ما زال نائما !

وبقى الطبيب ساكتا ينظر اليها تلك النظرات الجامدة ، فأيقنت أنه لن يسمح لها بإبقاء طفلها معها ، وأخذت تتحسس بيدها جسم الطفل من قمة رأسه الى أخمص قدمه . لكن الطبيب لم يدعها وشأنها الا دقيقة أو أقل ، ثم أشار الى المربية أن تأخذ الطفل وتخرج به من الغرفة ، فتنهدت هذه وتقدمت متثاقلة صامتا لتناول الطفل النائم من بين ذراعي أمه ، ثم مدت

يديها لتحمله وهي تحاول تهدئة روع الأم الحزينة الباكية التي تشبثت به قائلة : « يا للصغير المسكين ! ماذا يصنع بعدى ؟ ! »

واذ اطمأن الطبيب الى رؤية الطفل بين ذراعى مربيته ، اتجه الى منضدة فى ركن من أركان الغرفة يفصلها حاجز عن سرير المريضة . بينما تبعنه المربية وألقت نظرة فاحصة على جثة طفل حديث الولادة كانت موضوعة تحت غطاء فوق تلك المنضدة ، ثم سألت الطبيب هامة :

– أكان المولود ذكرا ؟

فأوما برأسه وهو يعيد الغطاء على وجه الوليد الميت ، ثم عاد الى الوالدة المريضة فجلس نبضها وقال :

– لا حاجة الى فى هذه الساعة ، وسأعود بعد تناول طعام الفطور !

وانصرف على أثر ذلك ، وكانت المربية فى انتظاره بباب الغرفة، فمشيت معه حتى بلغا الباب الخارجى للدار ، فوقف وسألها : « ألم تتصلى بأخى زوجها ؟ »

فقالت : « اتصلت به وطلبت اليه الحضور عاجلا . وأنا الآن فى انتظار برقية منه »

فقال : « حسنا ! » . وهم بالانصراف لكنه عاد فسأل المربية :

– وماذا عن الغلام الصغير ؟ . يحسن ابعاده عن المنزل !

فقالت : « ان السيدة واتكين ستأخذه عندها ! » انها اشبينته (أمه فى العمد) . . . ولكن : أليس هناك أمل فى انقاذ حياة السيدة كارى ؟ ، فhez الطبيب رأسه أسفا ، وانصرف مسرعا دون أن ينبس بأية كلمة !



كان فيليب فى التاسعة من عمره حين ماتت أمه مساء ذلك اليوم الذى وضعت فيه وليدها الثانى ميتا ، بعد مرض عضال وآلام مبرحة . ولم يكن قد مضى أكثر من ستة أشهر على وفاة أبيه الذى كان طبيبا جراحا معروفا ، وتوفى فجأة على أثر أصابته بتسمم فى دمه وهو يجرى جراحة فى المستشفى لأحد المرضى !

وقد عودته أمه التدليل منذ ذلك الحين ، فلما نقل فى صبيحة يوم وفاتها الى دار السيدة واتكين فى أوصلو ، بقى هناك أسبوعا يلعب ويمرح غير شاعر بشئ مما حدث

وتفقدته مربيته هناك ، فاذا هو يلهو بالوسائد فى حجرة الجلوس ، وقد وضع بعضها فوق بعض ، وجعل منها كهفا اختبأ فيه من هنود حمر تخيل أنهم كامنون وراء الستار ، ثم جثا على ركبتيه وألصق أذنه بالارض ليتسمع حركات الأعداء الخياليين ، وما كاد يسمع صوت فتح الباب حين دخلت

مربيته الغرفة حتى بالغ فى الانزواء داخل مخبئه ، ولكن الوسائد المقدسة سرعان ما دلتها عليه ، فمدت يدها اليه وجذبتة من تحتها قائلة له :

— ما هذا أيها الشيطان الصغير ؟ . . ألا تعلم أن امعانك فى العبث على هذا النحو يغضب عليك السيدة واتكين ؟

وذهب عنه الروح حين تبين أن القابضة عليه ليست سوى مربيته الحنون ، فنهض فرحا فاتحا ذراعيه لاحتضانها وهو يهتف قائلا : « أهلا ! أهلا ! » أين أنت يا عزيزتى ؟

فانحنى المربية عليه وقبلته ، ثم أخذت تعيد الوسائد الى أماكنها بينما راح هو يسألها :

— أعائدة أنت بى الى بيتنا يا ايما ؟

فقالت وهى تغالب الدمع : « نعم يا عزيزى فيليب ، لقد جئت لأعود بك الآن الى هناك ! »

فافتتر ثغره عن ابتسامة مرحة ، ثم لاحظ أنها ترتدى ثوبا جديدا من المخمل الاسود ذا أكمام ضيقة ، كما أنها تضع فوق رأسها قبعة سوداء ذات خيوط من المخمل أيضا ، وقد اتخذت لنفسها ردفين صناعين ، وكان هذا من العادات الشائعة بين النساء حينذاك سنة ١٨٨٥ ، فأخذ يتحسس ثوبها بيديه ويسألها قائلا : « ما هذا الثوب الجديد ؟ انه ثوب جميل جدا ! » وترددت قليلا ، لأنه لم يسألها السؤال الذى توقعته وأعدت جوابها عنه . ثم قالت له :

— ألا تسألنى عن والدتك ؟

فترك ثوبها وأمسك بيديه الصغيرتين وأجاب قائلا وهو ينظر فى وجهها :

— أوه ! . . لقد نسيت يا ايما . . كيف حال ماما ؟

فتنهدت وقالت : « انها الآن سعيدة جدا ، وفى أحسن حال ! »

فبدا البشر فى وجهه ونظراته ، وقال لها : « هذا يسرنى جدا ويجعلنى سعيدا أنا أيضا ! »

— نعم انها سعيدة جدا الآن ، لكنك لن تراها !

فلم يدر ما تعنيه وسألها « ولماذا يا ايما ؟ »

فقالت وقد تهدج صوتها : « ذلك لأنها ذهبت الى الجنة ! » . ثم غلبها البكاء ، ولم تستطع أن تخفى عليه عبراتها فبكى هو أيضا تأثرا ببكائها وهو لا يدرى سببه . ثم كففت دمعها وقالت له :

— لقد تركت عمك وليم فى انتظارك ، فهيا يا فيليب . . هيا يا حبيبى . .

ولتذهب أولا الى السيدة واتكين لكى تودعها قبل أن نذهب !

فقال لها وهو يمسح دمه : « هيا بنا يا ايما ، لنعد الآن الى بيتنا . .
أنا لا أريد أن أودع السيدة واتكين ! »

فقالت له : « اذن اصعد الى غرفتك واحضر قبعتك »

فذهب وأحضر القبعة، وفيما هو عائد الى حيث ترك مربيته سمع أصواتا
في غرفة المكتب ، عرف فيها صوتي السيدة واتكين وأختها وهما تتحدثان
مع بعض الصديقات ، فمضى في طريقه دون أن يعرج عليهن ، لكنه ما لبث
أن ساء ذلك فلما وصل الى ايما مربيته قال لها :

– الحق معك يا ايما ، يجب أن أودع السيدة واتكين !

فغمغمت قائلة له : « حسنا تفعل يا عزيزي »

ولما دخل غرفة المكتب ، سكنت السيدات الأربع بغتة ، ثم همت به
السيدة واتكين فاحتضنته وقبلته وهي تبكي ، قائلة له :

– يا طفلي المسكين !

وحسب فيليب أن بكاءها لأنها علمت باعتزامه العودة ، فتشاغل هنيهة
بتأمل ثوبها الاسود ثم قال لها : « يجب أن أعود الى بيتنا ! »

وسأله احدى الزائرتين وهي ترمق قدمه المشوهة التي يعرج بها في
أسف وأسى :

– تعال يا حبيبي ! تعال ! . . ألا تسمح لي بأن أقبلك أنا أيضا ؟

فلم يجب ، ولكنه خطا نحوها متمهلا حتى لا يبدو عرجه ، ثم استسلم
للقبلات التي انهالت على خديه من السيدات الأربع ، وقد شعر بغير قليل
من الارتياح والاعتباط باثارتته كل ذلك الاهتمام به !

وعند خروجه من الغرفة سمع السيدة واتكين تقول :

– لقد كانت أمه خير صديقة لي ! اني لا أقدر أن أتصور أنها ماتت !

فقالت لها أختها : « كان يجدر بك ألا تذهبي الى الجنازة . لقد كنت
موقنة أن ذلك سيؤلمك كثيرا ! »

وقالت الزائرة التي طلبت تقبيله :

– يا للغلام الصغير المسكين ! انه سيكون وحده في هذا العالم . . وقد
لحظت أنه يعرج !

فقالت لها السيدة واتكين : « أجل لقد ولد واحد قدميه مشوهة .
وكان ذلك من بواعث الحزن لأمه ! »

وبعد دقائق ، كانت ايما قد دعت حوزيا الى الوقوف بعربته أمام المنزل،
ثم أركبت فيليب وركبت هي الى جواره ، وانطلقت بهما العربة الى الدار
التي غادرها نائما وترك أمه فيها ، نائمة أيضا كما خيل اليه ، منذ ثمانية
أيام !

ولما وصلا الى الدار ، دخلت به مربيته حجرة الاستقبال حيث كان عمه جالسا يكتب خطابات شكر على أكاليل الزهر التي أرسلت في الجنازة . وقالت له وهي تدفع الطفل نحوه : « هذا هو فيليب يا سيدى ! »

فوقف المستر كارى فى تناقل ، وتناول الغلام بين ذراعيه وقبل جبينه . وكان يعمل قسا ، وهو أميل الى القصر وأقرب الى البدانة وقد سوى ما بقى من شعر رأسه بحيث يغطى صلعته . ويبدو انه كان جميل الطلعة فى شبابه . ثم قال للغلام ويده تعبت بسلسلة ساعته التى يتدلى منها صليب من الذهب :

— فيليب ! .. انك ستعيش معى منذ الآن ! .. ألا يسرك ذلك ؟

وكان فيليب قد سافر الى عمه منذ سنتين على أثر اصابته بالجذيرى ، وأقام معه ومع زوجته السيدة لويزا ، ولكنه لم يعرف عنهما الا القليل ، ولم يبق عالقا بذهنه من ذكريات تلك الزيارة غير صورة عامة للدار الغربية التى يسكنانها فى بلاكستيل ، ببابها الجانبى الصغير ، وحديقتها الواسعة وسقفها الاحمر . ولما طال سكوت الغلام بدون أن يجيب عن سؤال عمه ، واصل هذا كلامه فقال :

— يجب أن تعدنى وعمتك لويزا كأبيك وأمك تماما !

فاختلجت شفقا فيليب واحمرت وجنتاه ، واستمر فى سكوته ، فعاد عمه يقول :

— ان أمك العزيزة قد تركتك وديعة عدى !

ولم يكن يسيرا على المستر كارى أن يعبر عن فكره . فالواقع أنه منذ دعى الى لندن لأن زوجته أخيه تحتضر ، لم يكن هناك ما يشغل باله أكثر من الاضطراب الذى ينتظر أن يسود حياته اذا هى ماتت ، واضطر هو الى أن يكفل ولدها ابن أخيه !

لقد عاش وزوجته وحدهما منذ ثلاثين سنة ، لم ينجبا خلالها ابنا ولا بنتا ، ومن هنا لم يكن مما يسره أن يعيش معهما غلام فى مثل سن فيليب يعكر صفو البيت ويحيل هدوءه ونظامه الى ضجة وفوضى واضطراب !

هذا الى ان المستر كارى لم يكن يميل الى زوجة أخيه !

ومهما يكن من شىء ، فقد وجد ألا مناص له من تحمل ذلك العبء الثقيل الذى ألقته الأقدار على كاهله ، فربت كتف الطفل الذى بدا مطرقا ساهما وقال له : « سأخذك غدا الى بلاكستيل ! »

فنظر فيليب الى (ايما) مربيته ، ثم دنا منها ووضع يده فى يدها قائلا :

— ستكون معنا (ايما) .. حسنا اذن يا عماء !

فعقد القس حاجبيه قليلا وقال : « كلا ! .. ان (ايما) مضطرة الى البقاء هنا ، وستكون أنت هناك معى ومع عمتك لويزا ! .. »

فبسر كنفه ومط سُننيه وقال وهو يهم بالبكاء : « كيف أسافر من غيرها ، لابد أن تأتي معي ! »

ثم أخذ يبكي ، فلم تستطع المربية اخفاء تأثيرها وبكت لبكائه ، وهي تربت بيدها شعره في نأثر وحنان ، على أن المستر كاري نظر اليها نظرة ملؤها اللوم والتأنيب ، ثم أشار اليها أن تنصرف ، فغادرت الغرفة وهي تمسح دمعها . . ثم التفت الى فيليب بعد ذلك وقال له جادا :

– لا يجدر به أن تبكي . لقد كبرت عن السن التي تحتاج فيها الى مربية . وسندخلك المدرسة !

فأخذ الغلام يتطلع بعينيه الدامعتين الى باب الغرفة الذي خرجت منه مربيته ، ثم قال :

– أريد أن تأتي (ايما) معي ! لماذا تبقى وحدها هنا وأبقى وحدي هناك ؟!

فقال عمه بلهجة أشد : « ان ذلك يكلفك مالا كثيرا يا فيليب . وأبوك لم يترك ثروة تذكر ولست أدري ماذا بقي منها . وعليك أن تفكر في كل بنس تنفقه ! »

وكان المستر كاري قد زار محامى الأسرة في اليوم السابق ، وعلم منه أن أخاه برغم وفرة دخله من عمله في المستشفى ، لم يكن يدخر شيئا يذكر ، فلما مات فجأة لم يترك لأرملته وابنه الا تأمينا على الحياة ، وقليلًا من المال . وبيتا للايجار في شارع بروتون . ولما كانت أرملته لا خبرة لها بالشؤون المالية ، وكانت الى ذلك معتلة الصحة وحاملا فقد أجرت ذلك البيت لأول طالب . ثم خزنت أثاث بيتها واستأجرت بيتا مفروشا لمدة سنة ، ومضت تنفق بغير حساب حتى توفيت بعد أشهر ولم يبق من ذلك الميراث لولدها أكثر من ألفى جنيه !

ولم يكن يسيرا على القس أن يشرح ذلك كله لابن أخيه وهو يبكي . وأخيرا قال له :

– يجب أن نسافر غدا ، لأن على أن أقوم بالوعظ يوم السبت . فهيا أعد متاعك ولعبك مع (ايما) وفي استطاعتك أن تختار شيئا من مخلفات والديك لتحفظه تذكارا لهما ، لأن كل مخلفاتهما ستباع !

وخرج الغلام من الغرفة . بينما عاد المستر كاري الى كتابة خطابات الشكر متضجرا !

وكان على المنضدة حزمة من « الفواتير » ملأت نفسه غيظا ، ولاسيما الخاصة بثمرن الازهار البيضاء التي طلبتها ايما عقب وفاة سيدتها لتوضع في الغرفة ، فقد رأى القس في ذلك اسرافا لا مبرر له ، بل رأى أن المربية قد استحققت بذلك أن تفصل حتى لو كانت الحالة المالية تتسع لبقائها !

وما كاد فيليب يلفى مربيته حتى أراح رأسه على صدرها وراح يبكي

وينتحب ، فاشتد تأثيرها اذ كانت تعده بمثابة ابن لها ، لأنها تولت تربيته منذ كان عمره شهرا واحدا ، وأخذت تغريه بكلمات رقيقة ، وتعدده بأن تزوره بين الفينة والفينة ، ثم شرعت تصف له الجهة التي ستعيش فيها ، وبيتها الذي ستأوى اليه في (ديفونشير) حيث يعمل أبوها في تحصيل الضريرة المفروضة عند مدخل مدينة (اكستر) . الى غير هذا وذاك من وصف حظيرة الماشية في بيتها وما تحويه من الخنازير والبقر والعجول ، وسرعان ما استهواه حديثها فذهب عنه الحزن وكف عن البكاء ، ثم مضى يستعد للسفر مع عمه في الصباح ، فجمع ثيابه ووضعها في حقيبة . كما اختار من مخلفات أمه ساعة صغيرة كانت تحبها . ثم تسلل الى الغرفة التي تنام بها ووقف هنيهة ببابها مترددا ، ثم دخلها محاذرا ، وكانت الستائر مسدلة على نوافذها ، لكنه استطاع أن يرى الفرشاة ومراة اليد على منضدة الزينة ، كما رأى على رف الموقد صورة فوتوغرافية له والاخرى لأبيه . وكان السرير معدا كأن أحدا سينام به ، ولا يزال فوقه قميص نوم لأمه . فشعر بشيء من الرهبة وارتجفت أطرافه ، برغم أنه كثيرا ما دخل هذه الغرفة وأمه ليست بها

وأخيرا فتح خزانة مملوءة بثيابها ، فشم رائحة العطر الذي كانت تستعمله . ووجد قوارير اللاوندة التي كانت تدخرها . فأخذ بعضها مع عدد من الثياب . ووقف هنيهة قبل انصرافه ، حائرا قلعا يصعد الزفرات وقد خيل اليه أن أمه خرجت للرياضة ساعة ولا تلبث قليلا حتى تعود فتحضنه وتقبله . ثم اغرورقت عيناه بالدموع وحدث نفسه قائلا : « هذا أمر غير ممكن ! . لقد ذهبت ولن تعود . . . ولن أراها أبدا ! »



دموع وقبلات

لم يستطع فيليب أن يمسك دموعه وهو يودع مربيته ليبدأ رحلته مع عمه الى بلاكستيل ، لكنه ما لبث قليلا حتى شغل بمناظر الرحلة عن كل ما عداها ، وحينما وصلا بعد أن قطعا حوالى ستين ميلا ، سلم المستر كارى حقائبهما الى حمال، ثم أخذ طريقه ومعه فيليب الى الابرشية ماشيين ، ولم تكن تبعد عن المحطة أكثر من خمس دقائق . ولما دنا فيليب من البوابة الحمراء تذكرها ، وتذكر قضبانها الخمسة التى تتأرجح على مفاصلها الى الامام والخلف . ثم مضى مع عمه فى الحديقة الى الباب الامامى للدار وكان هذا الباب لا يستعمله سوى الزائرين ، الا فى أيام الآحاد وفى المناسبات الخاصة وحين يسافر القس الى لندن أو يعود من سفره . وفيما عدا ذلك يستخدم الباب الجانبى . وكانت دارا فسيحة مشيدة من حجر أصفر ولها سقف احمر ، بنيت منذ نحو ربع قرن على الطراز الكنسى

وكانت السيدة كارى تعرف موعد وصول القطار فانتظرت فى غرفة الاستقبال حتى اذا سمعت صوت فتح البوابة هرعت الى الباب الامامى . ولما رآها زوجها قال لفيليب :

— ها هى ذى عمّتك لويزا . . امضى اليها وقبلها !

فتوجه فيليب نحوها وهو يجر قدمه العرجاء ثم وقف . وكانت السيدة كارى امرأة نحيلة الجسم فى مثل سن زوجها، ولها عينان زرقاوان شاحبتان، وفى وجهها أخاديد من الغصون ، وقد عقصت شعرها الأشهب على الطراز السائد فى ذلك العصر وارتدت ثوبا أسود ، ولم تتخذ من الحلى سوى قلادة ذهبية يتدلى منها صليب . وهمت بفيليب فقبلته وقد احمرت وجنتاها خجلا كعادتها، ثم قالت لزوجها بصوت ظاهر الرقة : « هل جئت ماشيا ياوليم؟ » فنظر القس الى ابن أخيه وقال : « انى لم أفكر فى ذلك ! » فالتفت الى الغلام وسأله : « ألم يؤلمك المشى يا فيليب ؟ » فقال : « كلا ! . انى أمشى كثيرا ! »

وقد أدهشه هذا الحوار قليلا . ثم دعتة العمة لويزا الى الدخول . وقالت لزوجها :

— لقد أعددت الموقد اذ حسبتك تشعر بالبرد بعد هذه الرحلة !

وكان موقدا كبيرا أسود قائما فى الزدهة ، ولا توقد به النار الا اذا ساء الجو أو أصيب القس نفسه بالبرد . وفى الشتاء كان الزوجان يمكثان فى غرفة الطعام اكتفاء بموقد واحد فى الدار . وفى الصيف اعتادا ذلك أيضا .

وبذا كانت غرفة الاستقبال لا يستخدمها سوى المستر كارى بعد ظهر يوم الأحد لينعس بها . أما يوم السبت فكان يشغل موقد غرفة المكتبة اذ يجلس بها ليكتب خطبته !

وصعدت العمة لويزا بفيليب الى الطابق العليا وأرته غرفته ، وكانت غرفة صغيرة تطل على الطريق وتواجه نافذتها شجرة كبيرة . ثم قالت له :
- غرفة صغيرة لولد صغير ، لعلك لا تخاف اذا نمت وحدك ؟

فقال : « كلا ! . لست أخاف شيئا ! »

وكان فى زيارته السابقة للأبرشية قد جاء مع مربيته ولذا لم تشغل به السيدة كارى كثيرا حينذاك . أما الآن فقد صارت تنظر اليه فى شيء من القلق . ثم قالت له :

- أيمكنك أن تغسل يديك ؟ أم أغسلهما لك ؟

فقال بلهجة حازمة : « أستطيع أن أغسل يدي ووجهي وأستحم وحدي ! »

فقالت : « حسنا ! . سأنظر الى يديك حين تأتى لتناول الشاي »

ولم تكن تدرى شيئا عن الاطفال . ولذا كانت منذ تقرر انتقاله الى بيتها تسائل نفسها : كيف أعامله ؟ . وكانت تواقه لأن تؤدي واجبها نحوه ، ولكن بعد أن جاء وجدت نفسها متهيبة منه قدر تهيبه منها . وكانت ترجو فى قرارة نفسها أن يكون قليل الضجة حتى لا يزعج زوجها !

ولما جلس ثلاثتهم الى المائدة لتناول الشاي قالت السيدة كارى لزوجها :

- لقد كلفت (مارى آن) أن تعد لك بيضة اذ حسبتك جائعا بعد السفر

وكانت تظن أن السفر من لندن الى بلاكستيل أمرا مجهدا ، فهي نفسها لا تسافر الا نادرا ، وكانت تعيش مع زوجها على مرتبه الذى لا يعدو ثلاثمائة جنيه فى السنة ، فاذا أراد زوجها السفر للرياضة سافر وحده لأن الدخل لا يكفى لسفرهما معا . وكان شغوبا بالمؤتمرات الكنسية واعتاد أن يسافر الى لندن مرة فى السنة ، وسافر مرة الى باريس لمشاهدة المعرض كما سافر الى سويسرا مرتين أو ثلاثا !

وجاءت مارى آن بالبيضة ، فتلا القس صلاة قصيرة ثم قطع من البيضة قطعة صغيرة أعطى فيليب اياها ، فتناولها فى فتور لأنه كان يريد لنفسه بيضة كاملة . ثم سأل القس زوجته : « أكانت الدجاجة تبيض بانتظام فى أثناء غيابي ؟ »

فقالت : « لقد كانت جد شحيحة . ولم يزد البيض على واحدة أو اثنتين فى اليوم ! »

ثم سأل فيليب : « هل أعجبتك قمة البيضة ؟ »

فغمغم الغلام قائلا : « أجل . . شكرا ! . »

فقال له : « سأعطيك قمة بيضة أخرى بعد ظهر الأحد لتشعر بالقوة عند صلاة المساء ! »



كان فيليب قد اعتاد الوحدة منذ كان يعيش مع أبويه ، ولهذا لم تكن وحدته بالأبرشية أشد منها قبلا . ولكنه سرعان ما صادق (ماري آن) . وكانت عانسا رشيقة القد في الخامسة والثلاثين من عمرها ، وأبوها صياد سمك ، وقد مكثت في الأبرشية منذ كانت في الثامنة عشرة من عمرها . ولم تكن قد خدمت قبل ذلك في دار أخرى ، ولهذا اعتزمت ألا تغادرها إلا بعد أن تتزوج !

وكان والداها يسكنان دارا صغيرة على مقربة من شارع الميناء ، وقد اعتادت أن تزورها مساء يوم راحتها . ومن هنا استطاعت أن تستحوذ على شعور فيليب وأن تثير خياله . بقصص البحار التي أخذت ترويها له ! وفي مساء أحد الأيام أراد أن يصحبها إلى بيت أبويها ، ولكن زوجة عمه لم تجبه إلى ذلك خوفا عليه ، وأبى عمه أن يختلط بأناس دون طبقته ، إذ كان يبغض طائفة الصيادين ويكره فيهم الحشونة والغلظة . غير أن فيليب كان يؤثر البقاء في المطبخ مع (ماري آن) على المكث في غرفة الطعام مع عمه وزوجته ، وكان يحمل لعبة إلى المطبخ كلما استطاع . ولم يسؤ ذلك السيدة كاري بل لعله سرها ما فيه من إبقاء على نظام الغرف ، وخوف أحداثه ضجة قد تزعج عمه فيرسله إلى المدرسة بينما هو في رأيها لا يزال أصغر سنا من ذلك . والحق أنها مالت إليه وأحبته ولكنها لم تحسن محاولاتها لكسب مودته فظل خجولا منها غير مطمئن إليها !

وكانت أحيانا تسمع ضحكاته ترن في المطبخ ، فاذا ذهبت إليه سكنت فجأة ، ثم يحمر وجهه خجلا حين تذكر لها ماري النكتة التي أضحكته . فاذا عادت لزوجها قالت له :

– يبدو أنه أكثر ائتناسا بماري آن منه في صحبتنا ؟!

فلم يزد على أن قال : « هذا يدل على سوء تربيته ! »

وفي يوم الأحد التالي وقع حادث لم يكن في الحسبان ، فقد أراد المستر كاري أن يغفو للراحة بعد الظهر في غرفة الاستقبال كعادته ، ولكن النوم لم يطرق جفنيه إذ كان ذهنه مشغولا بما يلقي من معارضة (جوزيا جريفز) خوري الكنيسة ، وخاصة في تزيين المذبح ببعض الشمعدانات التي اشتراها هو لهذا الغرض من (تر كانبوري) . وكان الخوري قد عارض هذا لأنه من مظاهر الكاثوليكيين !

وانتهى التفكير بمستر كاري إلى أن آلى على نفسه أن يضع تلك

الشمعدانات حول المذبح مهما يقل الحورى . وفيما هو يفكر فى ذلك سمع ضجة شديدة ، فأزاح المنديل من فوق وجهه وغادر الأريكة التى كان راقدا عليها ، وذهب الى غرفة الطعام التى انبعثت منها الضجة، وهناك رأى فيليب جالسا فوق المائدة وحوله قطع الطوب التى يلعب بها . وكان قد بنى منها قصرا ولكن بعض النقص فى الأساس جعله ينقض بغتة . . . فصاح القس به قائلا :

— ماذا تفعل بهذا الطوب يا فيليب ؟ . انك تعلم أنه لا يجوز اللعب يوم الأحد !

فنظر اليه فيليب نظرة خوف ، واحمر وجهه وقال : « لقد كنت فى بيتنا ألعب يوم الأحد ! »

فقال القس : « انى موقن أن والدتك العزيزة ما كانت تسمح لك بذلك ! »

ثم أمره أن يحمل قطع الطوب الى خارج الغرفة ، ووقف يراقبه حتى انتهى من هذه المهمة وقال له : « أنت ولد شقى ! . ولا شك أنك تسبب لأمك المسكينة كثيرا من الكدر فى مستقرها ! »

وشعر فيليب بميل الى البكاء ولكنه كان يكره بالعزيزة أن يراه أحدا باكيا . . . ثم جلس عمه على كرسيه وأخذ يقلب صفحات كتاب بينما وقف فيليب ينظر من النافذة . وجاءت ماري آن فأعدت المائدة لشرب الشاي ، وهبطت السيدة كاري درجات السلم وما لبثت أن سألت زوجها : « هل نمت يا وليم ؟ »

فقال لها : « كلا ! . ان فيليب أحدث من الضجة ما حرمنى النوم ! »

ولم يكن فيليب ولا زوجة عمه يعلمان أن ما باعد النوم عن القس المحترم لم يكن غير تفكيره فى الحورى والشمعدانات ، على أن فيليب قال لنفسه : « اننى لم أحدث الا صوتا واحدا ، هو صوت سقوط القصر الذى صنعته ، وعلى أية حال كان فى استطاعة عمى أن ينام قبل ذلك أو بعده ! »

ثم أخذ القس يقص على زوجته ما حدث من فيليب . وختم قصته قائلا :

— انه لم يعتذر عن سوء صنعه ، بل هو لم يقل أية كلمة يعبر بها عن أسفه ! »

فالتفت الى الغلام وقالت له : « لا شك أنك آسف على ما حدث يا فيليب ؟ » لكنه لم يجب ، واستمر يأكل خبزه بالزبد ، ولم يدر أية قوة خفية تمنعه من الاعتذار ، ثم أحس رغبة فى البكاء لكنه تمالك نفسه وظل عابسا . فقال له عمه : « انك تزيد موقفك سوءا بهذا العبوس ! »

وانتهى تناول الشاي فى صمت ، وكانت السيدة لويزا تنظر الى فيليب خلسة بين آونة وأخرى ، أما القس فقد تجاهل وجوده . ولما رآه فيليب يصعد الدرج ليستعد للذهاب الى الكنيسة ذهب الى الردهة وأحضر قبعته ومعطفه ، ولكن القس لما هبط الدرج وراه قال له :

– لا أريد أن تذهب معي الى الكنيسة الليلة ، فاني لا أحسبك في حال نفسية تليق لأن تدخل بها بيت الله !

فلم ينطق فيليب ببنت شفة ، لكنه شعر بالاذلال واحمر وجهه ، ووقف يرقب عمه وهو يرتدى قبعته العريضة ورداءه الواسع ، ثم شيعته زوجته الى الباب على عاداتها والتفتت الى فيليب قائلة :

– لا بأس يا فيليب ! لن تكون شقيا يوم الأحد القادم ، وعندئذ يأخذك عمك معه الى الكنيسة لصلاة المساء !

ثم أخذت منه قبعته ومعطفه وقادته الى غرفة الطعام ثم قالت له :

– ألا نتلو الصلوات ونرتل الأناشيد معا ؟ ألا تحب ذلك ؟!

فهز فيليب رأسه اشارة الى أنه لا يريد ذلك ، فقالت له مرتاعة حائرة :

– اذن ماذا تفعل الى أن يعود عمك !

– أريد أن أترك وحدي !

– كيف تقول هذا ؟ ألا تعلم أنني وعمك لا نريد الا نفعل ؟ ألا تحبني ؟

فقال الغلام في حزم : « كلا ! بل أنا أبغضك وأتمنى لو كنت ميتة ! »

فشهقت السيدة لويزا دهشة وارتياعا ، ولم تجد ما تقوله وجلست على كرسى زوجها تفكر في محاولاتها لكسب ود هذا الغلام الكسيح الذي مالت اليه وودت لو يكون لها بمثابة الولد ، وانحدرت دموعها على خديها على الرغم منها ، فتأثر فيليب من منظرها ، وشعر بالندم على ما قاله لها ، ثم سرعان ما مضى اليها صامتا وقبلها . وعندئذ تركت لدمعها العنان ، وأجلست الغلام في حجرها وحاطته بذراعيها وقبلته في عطف وحنان !



الفصل الثانى

فى المدرسة الابتدائية

قرر المستر كارى وزوجته أن يدخلوا فيليب (مدرسة الملك) فى (تركانبورى) . وكان قساوسة الكنائس المجاورة يبعثون بأولادهم الى هذه المدرسة المرتبطة بالكاتدرائية بتقاليد قديمة ، وناظرها حائز رتبة شرف كهنوتية، وتلاميذها يشجعون على أن يصبحوا قساوسة فى المستقبل . ومنهج التعليم فيها يعد الصبى المستقيم لأن يكون من خدام الكنيسة . وقد ألحقت بالمدرسة فصول تحضيرية هى التى ذهب المستر كارى بفيليب بعد ظهر يوم خميس فى أواخر سبتمبر لكى يلحقه بأحدها

وكان فيليب طول ذلك اليوم متنبه الحواس أميل الى الخوف ، اذ كان لا يعرف الا القليل عن الحياة المدرسية . ثم اشتد به الخوف حين غادر مع عمه القطار عند (تركانبورى) وركب معه عربة انطلقت بهما وهما صامتان . وكان السور العالى الذى يحيط بالمدرسة يجعلها أشبه بالسجن ، ولا سيما ان لها بابا صغيرا منه ؛ ولما وقفا بهذا الباب ، جاء رجل فحمل حقيبة فيليب ، ثم أدخل غرفة الاستقبال وكانت مملوءة بأثاث ضخيم قبيح المنظر . وجلسا ينتظران ناظر المدرسة . وبعد برهة قال الغلام لعمه : « كيف يبدو المستر واطسن ؟ »

فقال له مختصرا الحديث : « سترى بنفسك كل شئ ! » وعاد فيليب الى الصمت ، ولكنه ما لبث قليلا حتى سأل عمه مرة أخرى : - أرجو أن تخبره بأن لى قدما مشوهة !

وقبل أن يجيب المستر كارى ، فتح الباب ودخل المستر واطسن . وقد بدا لعينى فيليب ضخيم الجسم الى حد كبير ، والواقع أن طوله كان يزيد على ست أقدام ، كما أنه عريض الكتفين غليظ اليدين ، وعلى ذقنه لحية كبيرة حمراء ! . وله صوت عريض أجش ، فامتلا قلب الغلام رعبا منه ، لكنه سكت ريثما صافح الرجل عمه ثم التفت اليه هو وتناول يده فى يده وقال له : « حسنا أيها الصبى ! . أيسرك أن تدخل المدرسة ؟ »

فاحمر وجه فيليب ولم يجد ما يقوله . ثم قال له المستر واطسن : « كم تبلغ من العمر ؟ »

فقال : « تسع سنوات »

وهنا نظر اليه عمه شزرا وقال له فى شىء من الحدة : « يجب أن تقول : يا سيدى ٠٠ ألا تعلم أنك تخاطب ناظر المدرسة ؟ »

والتفت الناظر الى القس وقال له : « سأضعه فى عنبر النوم الصغير ، وليس هناك سوى ثمانية تلاميذ ، ولهذا لن يشعر بينهم بالغيرة ! »

ثم فتح الباب ودخلت السيدة واطسن وكانت امرأة أميل الى السمنة لها شعر أسود تفرقه فى الوسط بعناية ، وشفتان غليظتان الى حد ملحوظ ، وأنف صغير دقيق ، وعينان واسعتان سوداوان ! وكانت قليلة الكلام نادرة الابتسام ٠٠ فقدم زوجها المستر كارى اليها ثم دفع فيليب بلطف نحوها قائلاً : « هذا تلميذ جديد يا هيلين واسمه كارى »

فصافحته فى غير اكتراث وجلست صامتة على كرسى هناك . ثم أخذ المستر واطسون يسأل المستر كارى عما يعرفه فيليب وعن الكتب التى كان يتعلم فيها ، وشعر القس بشىء من الحيرة حيال هذه العناية التى لم يكن ينتظرها . وما لبث أن استأذن فى الانصراف قائلاً :

– أرى أن أترك لك فيليب الآن !

– حسناً . سيكون فى أمان عندى . وسيعتاد المعيشة هنا

ثم التفت الى فيليب وقال له : « أليس كذلك يا صاحبى الصغير ؟ » . وضحك ضحكة عالية . وما لبث القس أن قبل فيليب فى جبينه وذهب !

وصحب الناظر فيليب ليريه غرف الدراسة وفناء المدرسة ولم يكن هناك كثير من التلاميذ بعد . وكان بالفناء ولد صغير يتسلى بقذف الحجارة الصغيرة بقدمه فناده الناظر قائلاً

– تعال يا فننج . هذا تلميذ جديد وهو أكبر منك فحذار أن تتشاجر معه !

ثم نظر الى الغلامين نظرة عطف وتركهما معا . فلما ابتعد قال التلميذ الصغير لفيليب : « ما اسمك ؟ »

فقال له : « اسمى كارى »

فسأله : « بماذا يشتغل أبوك ؟ » . فقال : « ان أبى قد مات ! »

فعاد يقول له : « هل أمك تعمل غسالة ؟ » . فقال : « لقد ماتت أيضاً ! » ولكن هذا الجواب لم يثن فننج عن فضوله فسأله من جديد : « هل كانت تغسل ؟ »

فقال فيليب متبزماً : « نعم ولكنها لم تكن غسالة مأجورة »

فحدجه الغلام الصغير بنظرة استخفاف ، ما لبثت أن استقرت على قدمه المشوهة ، فسأله : « ماذا بقدمك ؟ »



وقال المستر واخسن افيليب : « أيسرك أيها الصبي أن تدخل المدرسة ؟ »

فوضع فيليب قدمه المشوهة وراء قدمه الصحيحة بحركة غريزية وأجاب قائلاً : « انها مشوهة كما ترى ! »

وبدا فى وجهه الملل والرغبة فى ترك هذا الحديث، ولكن فننج عاد يسأله : « كيف كان ذلك ؟ » .

فهم بالانصراف وهو يقول له : « انها كانت هكذا دائما » . ولكن الغلام الصغير استوقفه قائلاً : « الى أين ؟ . . . تعال هنا . . . دعنى أتأملها ! »

فاكتفى فيليب بأن هز رأسه رافضاً اجابة هذا الطلب الصبياني السخيف ، ثم أدار له ظهره ومضى يعرج فى فناء المدرسة . ولكنه ما كاد يقطع خطوات معدودات حتى فاجأه الغلام بركلة شديدة فى قصبة ساقه العرجاء

وشعر فيليب بألم شديد ، ولكنه لم يحاول أن يرد هذا العدوان بمثله ، اذ كان قد تعود منذ سنين ألا يضرب من هو أصغر منه . ثم جاء ولد آخر فتركه فننج اليه ، وما لبثا أن انطلقا معا وهما يتحدثان وينظران الى قدمه !

ثم جاء عدد من التلاميذ وأخذوا يتحدثون عما فعلوه خلال الاجازة ، وعن ممارستهم لعبة الكريكييت . ووقف فيليب فى حلقة ضمت بعضهم خجولا ثائر الاعصاب ، وكان يود لو يسرهم بحديث يرويه لهم ، لكنه لم يجد ما يقوله ، الى أن سأله واحد منهم : « هل يلعب الكريكييت ؟ » . فلما نفى ذلك واعتذر بتشويه قدمه أدرك الغلام أنه سأل سؤالاً غير لائق فاحمر وجهه خجلاً وان لم يعتذر الى فيليب

maktbtna.com



وبمضى الزمن لم تعد قدمه المشوهة تثير فضول رفاقه ، بل سكتوا ازاءها كما يسكتون مثلاً على كون أحدهم أحمر الشعر أو بدين الجسم . غير ان فيليب كان قد كسب حساسية فائقة ، فكان يمتنع عن الجرى الا اذا اضطر اليه ، خشية أن يزيد عرجه وضوحاً ، وكان يقف فى مكانه أطول وقت مستطاع وقد وضع قدمه المشوهة خلف الصحيحة حتى لا تلفت الأنظار ، وكان دائماً يتوقع من أى واحد من رفاقه اشارة اليها . ولما كان لا يقدر أن يشاركهم فى ألعابهم فان حياتهم أصبحت غريبة عليه ، وان بقى يهتم بما يفعلونه من بعيد ، وخيل اليه أن ثمة حاجزاً يفصله عنهم . وكانوا أحياناً يلومونه لأنه لا يقدر أن يلعب معهم بكرة القدم ، وكثيراً ما كانوا يتركونه وحده . ولقد كان ميالاً الى الكلام والثرثرة ولكن سرعان ما آوى الى الصمت وصار يفكر فى الفرق بينه وبينهم !

صلاة ودعاء

انقضت سنتان وقارب فيليب الثانية عشرة من عمره . وكان من الثلاثة الأوائل وسيصبح الأول بعد عيد الميلاد حين يغادر المدرسة بعض التلاميذ الكبار . وقد حاز حتى الآن عدة جوائز ، وهي عبارة عن كتب رخيصة الورق ولكنها مجلدة تجليدا فاخرا وعليها شارة المدرسة . وقد جعله مركزه بمنجاة من مشاجرة زملائه ولم يكن مبتثسا ، وكان رفاقه غفروا له تفوقه عليهم بفضل عاهته .

كذلك لم يعد يخاف المستر واطسن فقد اعتاد صوته المرتفع ، وكلما وضع يده الغليظة فوق كتفه أدرك أنه يريد ملاطفته . وقد وهب حافظه قوية هي أنفع في الدراسة من الذكاء الحارق وكان المستر واطسن يتوقع له أن يتم الدراسة بتفوق

ثم جاء وقت طغت فيه موجة دينية على المدرسة ، فامتنعت الشتائم وآلى التلاميذ الكبار على أنفسهم أن يعالجوا كل (شقاوة) من التلاميذ الصغار بقوة سواعدهم . ولما كان فيليب تواقا لكل شيء حديث فقد أصبح شديد الدين ، وسمع باتحاد للانجيل في لندن فكتب يطلب الانضمام اليه ، وكان على كل عضو فيه أن يتلو جانبا من الكتاب المقدس كل ليلة ، وقد حرص فيليب على ذلك في جد واجتلاص . ولفت نظره تلك الآية من الانجيل التي مؤداها أن من يملك الايمان الصحيح يمكنه أن يزيح الجبل ويرمى به في البحر . وأثرت فيه هذه الآية تأثيرا خاصا . واتفق أن حضر صلاة الأحد فسمع القس يتلو تلك الآية ذاتها في خطبته فزاد تعلقا بها . وبقي يفكر فيها حتى وافى عيد الميلاد فذهب الى بلاكستيل لقضاء الاجازة

وفيما هو جالس مع عمه أخذت السيدة كاري تعد البيض الذي وضعه الدجاج بعد أن كتبت (ماري آن) على كل بيضة تاريخ وضعها وأخذ فيليب يقلب صفحات الكتاب المقدس حتى وصل الى تلك الآية فقال لعمه وهو يتلوها بصوت عال :

— هل هذه الآية تعنى حقا ما تقول ؟

وكان القس في تلك الساعة يقرأ جريدة (بلاكستيل تيمس) ، فتركها ونظر الى ابن أخيه من فوق نظارته ثم قال له : « هذا ما يقوله الانجيل ! » وقالت زوجته لويزا : « ما دام ذلك قد ورد في الانجيل فهو صحيح ! » وعاد فيليب يسأل عمه : « أصبح ان الانسان اذا كان قوى الايمان يستطيع أن يزحزح الجبال ؟ »

فقال القس : « هذه مسألة ايمان . . . والمؤمن الصادق يستطيع ذلك بقوة الله ! »

ثم أرادت لويزا أن تنهى الجدل فقالت لفيليب : « هيا اقرىء عمك تحية المساء . لا شك أنك لا تريد أن ترحل جبالا الليلة ! »

وترك فيليب عمه يقبله في جبينه ثم ذهب صاعدا الدرج الى غرفته . وكان الجو بها شديد البرودة فصار يرتعش وهو يرتدى جلباب النوم . وكان يشعر دائما بأن صلواته تكون أقرب الى الله اذا أداها وهو بعيد عن أسباب الراحة . ومن هنا حسب برودة يديه وقدميه قربانا الى الله ، ثم ركم على ركبتيه وأخفى وجهه في راحتيه وصار يبتهل الى الخالق القادر على كل شيء أن يشفى قدمه المشوهة ويقول : « ان ذلك على الله شيء هين يسير ، اذا قيس بزحزحة الجبال عن مواضعها » ، وكان مؤمنا بأن الله يستجيب لطلبته هذه اذا شاء . وفي صباح اليوم التالي ختم صلاته بهذا الدعاء نفسه وزاد فحدد موعدا لحدوث المعجزة . اذ قال : « يا الهى ، برحمتك وبمشيئتك ، اجعل قدمي صحيحة ليلة عودتي الى المدرسة »

وقد سره أن يضع صيغة لدعائه ، ثم صار يكررها في غرفة الطعام عقب الصلاة التى تسبق الأكل ، ثم أخذ يعيدها مساء ، ويذكرها ليلا قبل أن يأوى الى فراشه . وكان يؤمن ايمانا عميقا بأن المعجزة لا بد أن تحدث حتى لقد تاق الى اليوم الذى تنتهى فيه الاجازة ، وصار يضحك فى نفسه كلما تذكر الدهشة التى ستعرو عمه وزوجته حين يريانه فجأة يهبط الدرج عدوا بعد أن تصبح قدمه صحيحة . . . ولا شك أن العمة لويزا ستخرج توا لشراء حذاء جديد له ، ولا شك أيضا فى أن رفاقه بالمدرسة سيسألونه وقد تولتهم الدهشة : « ماذا فعلت بقدمك يا كارى ؟ » ، فيجيب ببساطة وكأن لم يحدث أمر خارق : « لا شيء ! » انها على ما يرام الآن ! ، وعندئذ يقدر أن يلعب بكرة القدم معهم وأن يجرى ويقفز مثلهم !

لقد صار يصلى ويدعو الله بكل ما فى روحه من قوة . ولم يعتور نفسه شك بل كان مطمئنا الاطمئنان كله !

وفى الليلة السابقة ليوم عودته الى المدرسة أوى الى فراشه نائما الا عصاب . وكان البرد شديدا فى غرفته ، فخيل له أنه ينبغي له أن يأتى عملا خارقا يجعل صلاته أقرب الى القبول فأزاح السجادة التى أمام سريره كى يركع على الارض . ثم خطر له أن الجلباب الذى يلبسه يجب أن يخلع كذلك ، وما لبث أن ركم يصلى بحرارة وهو عارى الجسم فى ذلك البرد القارس . حتى اذا أتم صلاته وارتدى ملابسه كان جسمه كله يرتعد ولبث ساعة لا يوافيه النوم !

واستغرق فى النوم أخيرا ، واضطرت (ماري آن) أن تهزه وهى توقظه فى الصباح . وأخذت تحدثه وهى تسحب الستائر ، فلم يجب ، اذ تذكر أن هذا هو الصباح الذى تظهر فيه المعجزة ، وكان قلبه مفعما بالسرور .

وأول ما خطر له هو أن يتحسس قدمه المشوهة ولكنه حسب أن ذلك ينبيء عن الشك في رحمة الله وقدرته، ولما لم يستطع مقاومة تلك الرغبة في نفسه نحس قدمه اليسرى بأصابع قدمه اليمنى ، وما لبث أن مر بأصابع يده عليها كذلك !

ثم أخذ (يعرج) حتى وصل الى مائدة الفطور فجلس صامتا . ولحظت ذلك العمة لويزا فقالت له :

— انك شديد الهدوء هذا الصباح يا فيليب !

فقال القس : « انه يفكر في الفطور الجيد الذي سيأكله في المدرسة صباح غد ! »

فأجاب فيليب اجابة بعيدة عن موضوع الحديث ، وكان عمه كثيرا ما يضايقه منه شرود ذهنه ، ويعد ذلك منه عادة سيئة . وما لبث فيليب أن قال للقس :

— هب أنك سألت الله أن يحدث شيئا ، وأنت آمنت حقا بأن الله سيفعله ، شيئا كزحزحة جبل مثلا ، ولكنه لم يحصل ، فماذا يكون معنى ذلك ؟

فقالت العمة لويزا :

— حقا انك ولد مضحك ! لقد سألت عن زحزحة الجبل منذ أسبوعين أو ثلاثة !

وأجاب عمه وليم : « يكون معنى ذلك أنك لم تؤمن الايمان الكافى ! » وقبل فيليب هذا التفسير ، فاذا كان الله لم يشف قدمه فهذا راجع الى أنه لم يؤمن ايمانا صحيحا . ومع هذا فانه لم يدر كيف يمكنه أن يؤمن أشد مما آمن ! ولكن لعله لم يترك لله فسحة من الزمن ، فانه لم يصبر الا تسعة عشر يوما . وهكذا عاد بعد يومين يدعو الله من جديد أن يشفى قدمه ، وحدد عيد الفصح موعدا لحصول المعجزة . ولكنه لجأ الى وسيلة جديدة فصار يدعو الله كلما رأى هلالا جديدا أو حصانا مرقطا . وصار يترقب ظهور النجوم ويكسر عظمة الحظ اذا وضعت دجاجة على المائدة . ويقول لنفسه : « لم يؤمن أحد من قبل مثل ايماني هذا ! »

غير أنه قبل عيد الفصح عدل عن ذلك الدعاء ، وشعر بحنق على عمه لانه خدعه ، فلا شك أن تلك الآية التي تتحدث عن زحزحة الجبال هي من الآيات التي تعنى شيئا آخر . . . ولكن عمه كان يسخر منه

صراع بين القديم والجديد !

كانت (مدرسة الملك) التى دخلها فيليب فى (تركانبورى) حين بلغ الثالثة عشرة من عمره ، تفخر بقدمها . وكان مدرسوها لا قبل لهم بنظريات التعليم الحديثة التى كانوا يقرأون عنها أحيانا فى بعض المجلات التعليمية ، وكان قصارى أملهم أن تبقى مدرستهم وفيه لتقاليدها القديمة . وكانت اللغات القديمة تدرس فيها بعناية حتى أن أى واحد من خريجها كان لا يذكر (هومر) أو (فرجيل) إلا بغثيان من الضجر . ولم يكن تعلم فيها اللغة الألمانية ولا الكيمياء . أما اللغة الفرنسية فلم يكن يدرسها سوى أساتذة الفصول المتقدمة مع عنايتهم بقواعد اللغة دون اجادة اللغة نفسها . . . وأما الجغرافيا فكان تعليمها يتم عن طريق الاكثار من رسم الخرائط ولاسيما للمناطق التى تكثر بها الجبال !

ولكن قبل سنة من دخول فيليب فى هذه المدرسة اعترأها تغيير كبير ، فقد اتضح أن الدكتور فلمنج الذى مكث ربع قرن ناظرا لها قد بلغ من النضج حدا لا يستطيع معه مواصلة عمله ، فكان لابد من إيجاد خلف له . وكان المتوقع أن يعين لهذه الوظيفة المستر واطسن الذى ظل ناظرا للمدرسة التحضيرية عشرين عاما ، ولكن مجلس القساوسة فاجأ الاهالى بانتخاب رجل غيره يدعى بركنز ، لا يكاد يعرفه أحد ! . ثم اتضح أنه ابن بركنز تاجر الاقمشة . وقد أخبر الدكتور فلمنج أساتذة المدرسة باسم خلفه قبيل تناول طعام الغداء فجلسوا يأكلون صامتين ، وكانوا جميعا يعرفون (توم بركنز) ويتذكرونه جيدا منذ كان تلميذا بالمدرسة ، وكان وقتئذ ولدا صغيرا له شعر غير مرتب وعينان واسعتان ، ولم يكن من أبناء السراة بحال بل كان أقرب الى أبناء الغجر . وقد جاء الى المدرسة بوصف كونه تلميذا خارجيا حائزا أعلى الدرجات من المدرسة التحضيرية ولذا تعلم بالمجان . وكان بالطبع تلميذا مجتهدا ، حظى بعدة جوائز فى يوم الخطابة ، وكان مفخرة المدرسة يقدمونه لكل زائر ، ولا يخشون الا أن ينتقل الى إحدى المدارس الكبرى فيفلت من أيديهم . وكان الدكتور فلمنج قد زار أباه فى محله (بركنز وكوبر) بشارع سانت كاترين . وصارحه بأنه يأمل أن يبقى توم بالمدرسة حتى يدخل جامعة او كسفورد . وكانت المدرسة أحسن عملاء ذلك المتجر ، فلم يتردد المستر بركنز فى طمأنة الناظر على بقاء ولده بها . وظل توم بركنز فى تفوقه على أقرانه حتى أتم دراسته ودخل الجامعة حيث درس اللاهوت !

ولكن . . . هناك فرق بين اعجاب أساتذته به وهو تلميذ لهم أو طالب بالجامعة وبين رياسته عليهم الآن ناظرا للمدرسة !

وتحدث المستر تار فذكر انه كثيرا ما كان يعاقبه بتكليفه كتابة السطر
مرات عديدة !

وذكر المستر سكورتس أنه كان يشد أذنيه ! وهكذا كانوا لا يتصورون
كيف ارتكب مجلس القساوسة هذا الخطأ ! ان أحدا لا ينسى انه ابن تاجر
قماش أفلس وان يكن ادمان شريكه كوبر سبب الافلاس !

وقال سايز. أستاذ السنة الخامسة الذى لبث يدرس بها عشرين سنة
متوالية :

ما علينا الا أن نعد أنفسنا لتغيرات لا يعلمها الا الله !



وسرعان ما وجد المستر بركنز فى فيليب ضالته ، فانه كان قد قرأ كثيرا
من الكتب فحصل قدرا وفيرا من المعلومات العامة . وكلما عجز تلميذ عن
سؤال دعا فيليب للإجابة . وكان ذلك نفسه سببا لسخط المعلمين القدماء
عليه وخاصة القس جوردون فانه كان يتهمه بالبلادة ويسأله متعجبا عما
يعجب الناظر فيه ! . وبلغ من اضطهاده له أن فيليب كان يضطرب ولا
يستطيع الإجابة عن أسئلته ، فكان يعاقبه ويشتمه ويعيره بعرجه ! . غير
أن عطف المستر بركنز عليه كان يعوضه عما يلقاه من اضطهاد هذا القس
وغيره من المعلمين !

وفى ذلك قضى فيليب فى المدرسة سنتين ، وقد حمد عاهته التى جعلت
رفاقه قليلي الاهتمام به لعدم اشتراكه معهم فى ألعابهم واجتماعاتهم . ثم
أخذ يحضر الدروس التى يلقيها الناظر فى غرفته عقب تناول الشاي على
بعض التلاميذ لكى يعدهم لتثبيت العماد . وكان المستر بركنز يعنى بهذه
الدروس عناية خاصة ، فلا يتخللها شئ من النكات التى اعتاد دروسه
الآخرى وجعلت المعلمين القدماء يتهمونه بالحقبة والطيش وقد لحظ ميل
فيليب الى التدين فأراد أن يعده لدراسة اللاهوت ، وقال له يوما :

– ألم تفكر فى المهنة التى تريدها فى المستقبل ؟

– ان عمى يريد أن أصبح قسيسا

وخجل من أن يعترف بأنه يحسب نفسه غير أهل للرسالة . فعاد المستر
بركنز يقول له :

– لست أعرف حياة أكثر سعادة من حياتنا . وبودى لو تدرى ما فيها
من مزايا . ان الانسان يمكنه أن يخدم الله فى كل خطوة ، ولكننا نحن
أقرب له . ولست أريد أن أوثر فى رأيك ، ولكنك اذا أثرت سلوكك هذه
السبيل فانك تشعر بهناءة تلازمك ما حييت !

فلم يجب فيليب ، وحسب الناظر أنه مقتنع بصواب هذا الرأى، فقال له:

- إذا استمرت في الدراسة بجدك واجتهادك فستكون أول المدرسة وتخرج فيها بمجانية للجامعة . هل لك ثروة خاصة ؟
- ان عمى يذكر أن سيكون لي دخل قدره مائة جنيه في السنة حين أبلغ الحادية والعشرين من عمري !

- اذن ستكون غنيا . أما أنا فلم يكن لي شيء !
وتردد الناظر لحظة ثم قال :

- أخشى أن تكون دائرة اختيار المهنة محدودة أمامك . فانك بالبداية لا يمكنك أن تختار مهنة تتطلب مجهودا جسمانيا
ولحظ المستر بركنز ان فيليب احمر وجهه حين سمع منه هذا فقال له :
- يخيل الي أنك شديد الحساسية من ناحية عاهتك . ألم يخطر لك قط أن تحمد الله عليها ؟

فنظر اليه فيليب وقد أطبق شفثيه ، وتذكر كيف لبث شهورا يسأل الله أن يشفى قدمه ، بينما واصل المستر بركنز كلامه فقال :
- انك اذ تنظر الى عاهتك نظرة الحق هذه ستبقى شاعرا بالحجل منها، ولكنك اذا حسبتها بمثابة منحة من الله ساقها اليك في صورة محنة ليعلمك بها الصبر والتسليم بقضائه ، فانها تكون سبب سعادة لك بدلا أن تكون مبعث شقاء !

ولحظ أن الغلام يكره الكلام عن عاهته فتركه يمضي في سبيله . ولكن فيليب مكث طول الليل يفكر فيما قاله الناظر ، وقد اطمأن الى تفسيره لعاهته وشمله شعور ديني جعله يعتزم أن يرسم قسيسا في المستقبل .
ولما أقبل اليوم المحدد لتثبيت العماد شعر بسرور وحماسة ولكن فكرة واحدة كانت تقلقه . فان عليه أن يمشي وحده في المحراب وحينئذ يبدو عرجه لجميع من يحضرون الصلاة ومنهم أناس غرباء هم أهل التلاميذ . ولكن لما حان الوقت رأى نفسه قادرا على تحمل هذه المهانة دون حنق . واذ مضى بعرج بجسمه الضئيل تحت قبو الكاتدرائية شعر بأنه يقدم عاهته قربانا لله !
لم يقدر فيليب أن يمكث طويلا في ذلك الجو الروحاني ، وسرعان ما غفل عن وجود الله وان كان قد بقي يؤدي الصلوات بشكل آلي . وصار يلوم نفسه في البداية ولكن ما لبث أن شغل بشواغل أخرى

وكان أصدقاءه قليلين فان شغفه بالاطلاع جعله يصدف عن الصداقة ، وقد بلغ به حب القراءة أن صار يضجر من صحبة الناس ويشعر بالقلق في حضرتهم ، وقد تملكه الغرور لكثرة ما حصل من قراءة الكتب ، ولم يقدر أن يخفي ازدرائه لرفاقه القليلي الاطلاع والمعرفة ، وتولدت عنده ملكة السخرية وصار حاضر البديهة صارم النكتة !

وانتقل الى السنة السادسة بالمدرسة ، غير أنه أصبح يكره المدرسة من كل قلبه وفقد الاهتمام بالدراسة ، فلم يعد يعنيه أن يحسن الأداء أو

يسيئه . وكان يستيفظ صباح كل يوم كارها للدروس التي تنتظره . وقد ساءه أن يكلف أداء الواجبات تكليفا وهو الكاره لكل قيد . وأحس رغبة جامعة في الحرية الطليقة . وصار يضجر من تكرار أشياء كان يعرفها ، لا لشيء سوى أن رفاقه بهم بلادة في أذهانهم

وكانت غرفة السنة السادسة جزءا من دير قديم ولها نافذة على الطراز القوطي ، فجعل فيليب يسلي نفسه برسم هذه النافذة من كل زاوية . . . وكان ميالا الى الرسم . وكانت العمة لويزا في شبابها قد رسمت عدة صور بالماء وحشدتها في مجاميع تطلع عليها الضيوف . وكانت صورا لقناطر وأكواخ وأشجار . وقد أهدت الى فيليب في أحد أعياد الميلاد علبة لألوان الرسم فأخذ ينسخ تلك الصور باجادة تامة . ثم شرع يرسم صورا أخرى . وكانت المسز كاري تشجعه اذ حسبت ذلك وسيلة بارعة لابعاده عن (الشقاوة) . وقدرت أن صوره قد تباع فيما بعد بالاسواق وكانت اثنتان أو ثلاث منها قد عمل لها اطارات وعلقت على جدران غرفته !

وفي أحد الايام كان خارجا من الفصل فناداه المستر بركنز وقال له : « أريد أن أتحدث معك »

ووقف فيليب ينتظر بينما كان المستر بركنز يمر بأصابعه الطويلة خلال لحيته وهو يفكر فيما ينبغي أن يقوله . وأخيرا قال له دون مقدمة : « ماذا دهاك يا فيليب ؟ »

فاحمر وجهه ولم يجب . ثم استطرد الناظر قائلا : « اني غير راض عنك ، فقد أصبحت متراخيا في دراستك غير ملتفت لدروسك وكأنك غير مكترث لعملك اطلاقا ! »

فقال فيليب : « اني آسف يا سيدي ! » ولما سأل المستر بركنز : « أهذا كل ما لديك ؟ » أطرق عابسا ولم يجب !

وهنا قال له المستر بركنز : « ان ترتيبك سيتأخر في هذه السنة بدل أن يتقدم ، وعلى هذا لن أكتب عنك تقريرا طيبا ، على أنى موقن أنك تستطيع الاجادة ولكن لا يبدو عليك انك راغب فيها . لقد كنت عازما أن أجعلك على رأس فرقتك ! »

فزاد وجه فيليب احمرارا ولم يجب . ثم أراد الناظر أن يلقي بسهمه الأخير فقال :

— وهناك شيء آخر : فان عليك أن تجتهد لتنال المجانية في الجامعة

فبان الكدر على فيليب وقال : « لا أريد أن ادخل جامعة أو كسفورد يا سيدي ! »

فسأله : « ولم لا ؟ . لقد حسبتك راغبا في دراسة اللاهوت ! »

فقال : « لقد غيرت رأيي ! » . وسكت

ونظر اليه المستر بركنز مليا يريد ان يستشف ما في ذهنه ، وأخيرا تركه
ينصرف

وعاود الحديث معه بعد ذلك ، ولكنه في هذه المرة لم يتخذ سمت
الناظر حيال أحد التلاميذ ، بل تحدث معه حديث الوالد مع ولده ، ولكن
فيليب بقي مصرا على الرفض ، فقد كان في فراغ نفسه نداء خفى يثنيه
عن الدراسة الدينية ولما خرج من لدن الناظر رأى الكاتدرائية بحجمها
الضخم في ظلمة الليل فشعر بالبغض لها لطول الصلوات التي كان يؤديها
بها . ثم تذكر أيضا كنيسة بلاكستيل والصلاة التي تقام بها مرتين كل
يوم أحد ، وكان عمه يلقي الخطبة في أحداها والمحوري يلقي الخطبة في الأخرى .
وقد بدأ يعرف عمه حق المعرفة بعد أن كبر وصار يعجب كيف يستطيع
أن يقول شيئا بصفته قسيسا في حين أنه لا يعمل به مطلقا في حياته العادية !
ولقد حدثه المستر بركنز عن جمال الحياة التي تخصص لخدمة الله . ولكن
فيليب يعرف نوع الحياة التي يعيشها القسيس في منطقة (ايسنت انجليا)
التي هي منطقته . فهناك قسيس (هوايتستون) - الأبراشية القريبة من
بلاكستيل - وهو عزب لم يتزوج ويتسلى بالزراعة ، لكن الجريدة المحلية
تشر أنباء القضايا التي ترفع ضده لأنه لم يدفع أجور عماله أو لم يسدد
حساب بعض التجار بدعوى أنهم غشوه . كما يقال : أنه يجوع بقرته ! .
وقد كثر الكلام عن رغبة الأهالي في القيام بحركة ضده ! . وهناك أيضا
قسيس (فيون) وقد اضطرت زوجته أن تهجره لقسوته عليها وملأت الجهة
اقاويل عن فجوره وهناك قسيس (سبرل) وهي قرية صغيرة على
البحر ، ويرى ذلك القس كل ليلة في حانة لا تبعد إلا قليلا عن أبرشيته حتى
لقد جاء حراس كنيسته الى المستر كاري يشكون اليه ويستشيرونه فيما
ينبغي عمله ازاء ذلك القس !

ولم يكن هناك في المنطقة كلها أحد يمكنه التحدث معه سوى صغار الزراع
وصيادي السمك . وكنت ليالي الشتاء طويلة مملة ، والرياح تعصف وسط
اشجار سقط عنها الورق . وكان الفقر عاما والرغبة في العمل قليلة . ولا
يردع القوم رادع عن فعل ما يرون . . . أجل لقد اقشعر بدن فيليب حين
فكر في أن يصبح قسيسا ، ويعيش مثل تلك العيشة وسط هؤلاء القوم !
ولما أدرك المستر بركنز أن نصحه لم يؤثر في نفس فيليب ، تجاهله بقية
السنة ثم كتب عنه تقريراً سيئاً جداً !
ولما وصل الى بيت عمه وسألت العمة لويز فيليب عنه قال لها : « انه
تقرير سيء جداً ! »

فقال له عمه القس : « اهو كذلك ؟ . اذن يجب أن أنظر فيه ثانية ! »
وانتهز فيليب هذه الفرصة فقال له : « اتظن أن هناك فائدة من بقائي في
المدرسة ؟ . يخيل الى أن الأفضل لي أن أسافر الى ألمانيا فترة من الزمن ! »
فسأله العمة لويزا : « ما الذي ألقى في ذهنك مثل هذه الفكرة ؟ »

فقال لها : « الا تحسبونها فكرة صائبة ؟ »
قالت : « انك في هذه الحالة لن تحصل على مجانية الجامعة ! »
فقال : « ليست امامى فرصة لذلك على اى حال . والواقع انى لا احس
اية رغبة فى الالتحاق بجامعة أوكسفورد ! »
فسأله : « كيف اذن تتم رسالتك دون أن تدرس فى الجامعة ؟ »
فقال : « لقد عدلت عن هذه الفكرة منذ زمن بعيد ! »
فارتاعت العمه لوزرا اذ سمعت منه ذلك ولم تجد ما تفعله سوى أن
تصب فنجانا ثانيا من الشاى لزوجها . وساد الصمت بينهم ، وراع فيليب
انه رأى دمتين تنحدران على خدى عمته فشعر بالشفقة عليها . ولما ذهب
القس الى غرفة المكتب احاطها فيليب بذراعه والبدى لها أسفه فقالت له :
- انى فى منتهى الحزن يا فيليب . فقد عقدت املى على أن ترسم قسيسا
وأن تكون مساعدا لعمك ثم تحل محله حين يحين الوقت لذلك فلا شك اننا
جميعا غير مخلصين !
فقال لها : « أرجو منك أن تقنعى عمى بأن يدعى اترك مدرسته تركانبرى ،
فانى فى شدة الضجر منها ! »
ولم يكن يسيرا على قسيس بلاكستيل ان يغير ترتيبا وضعه
وكانت نتيجة الجدل الطويل معه أن تقرر ان يبقى فيليب فى المدرسة فترة
دراسية أخرى يغادر المدرسة بعدها

maktbtina.com



فى هيدلبرج

كان للسيدة لويزا كارى صديقة قديمة تدعى « ويلكنسن » تعيش فى برلين . وهى ابنة قسيس قرية فى (لنكولنشير) عمل المستر كارى حينما خوريا تابعا له ، وقد اضطرت الى السعى لكسب معاشها بعد وفاة أبيها ، فعملت مربية فى فرنسا والمانيا ، وظلت تكاتب السيدة كارى وقضت بعض أجازاتها فى بلاكستيل

وكانت تدفع أجرة زهيدة لاقامتها عند آل كارى كالضيوف الذين ينزلون بيتهم ، ولما أيقنت السيدة كارى أن لا جدوى من مقاومة رغبة فيليب ، كتبت الى صديقتها الأنسة ويلكنسن تسألها رأيها فى شأنه ، فنصحت لها هذه بأن يرسل فيليب الى (هيدلبرج) ليتقن اللغة الألمانية ، وأشارت بأن ينزل هناك بيت زوجة الاستاذ (إيرلين) حيث يمكن أن يعيش فى مقابل ثلاثين ماركا فى الاسبوع ، علاوة على استفادته من الاستاذ إيرلين الذى يعمل مدرسا فى المدرسة العليا هناك ، فهو قادر أن يعلمه اللغة الألمانية !

ووصل فيليب الى (هيدلبرج) صباح يوم من أيام مايو ، فوضع أمتعته على عربة صغيرة وتبع الحمال الى خارج المحطة، وكانت السماء زرقاء صافية والاشجار فى الشارع الطويل الذى مشيا فيه محملة بالورق ، وقد شعر فيليب بالفرح لاقباله على حياة جديدة بين أناس غرباء ، وساءه قليلا أنه لم يجد أحدا فى انتظاره بالمحطة ، ثم أحس شيئا من الخجل حين تركه الحمال أمام بيت أكبر ، وأدخله صلبى الى غرفة الاستقبال وكان بها أثاث فخم مغطى بالمخمل الأخضر ، وفى وسطها منضدة مستديرة عليها باقة زهر حسنة الترتيب ، وحواليها كتب مجلدة ، وكان ينبعث من المسكن رائحة عفنة ، وبعد لحظة جاءت زوجة الاستاذ فانتشرت منها رائحة الطهى، وكانت امرأة شديدة البدانة حمرة الوجه ذات عينيْن ضيقتين ، وبها بشاشة ظاهرة ، وقد صافحت فيليب بكلتا يديها وسألته عن الأنسة ويلكنسن التى سبق أن قضت بضعة أسابيع عندها . ثم ظهرت ابتهاها وخيل لفيليب أنهما كبيرتا السن ولكن لعلهما لم تتجاوزا الخامسة والعشرين من عمرهما ، وكانت كبراهما (تكلا) قصيرة القامة مثل أمها ولكن لها وجهها حسنا وشعرا داكنا غزيرا ، والأخرى (آنا) طويلة القامة عاطلة من الحسن ولكن لها ابتسامة خلابة ، ولهذا أثرها فيليب على اختها لأول نظرة !

وبعد أن مضت بضع دقائق فى حديث مهذب قادتة زوجة الاستاذ الى غرفته وتركته . وكانت الفسرفة فى برج البناء تطل على الطريق المملوء بالشجر . وافرغ فيليب حقائبه من ثيابه وكتبه وهكذا أصبح سيد نفسه أخيرا !

وفي الساعة الاولى بعد الظهر دق جرس لدعوته لتناول الغداء . ووجد ضيوف السيدة - او بالاحرى نزلاء بيتها - مجتمعين في غرفة الجلوس . وهناك قدمته لزوجها وهو رجل طويل في اواسط العمر ذو رأس ضخم بدأ الشيب يجلل شعره، وخاطب فيليب بلغة انجليزية صحيحة ولكنها مهجورة، تعلمها ولا شك من الادب الانجليزي القديم ، وكانت زوجته تصف بيتها بأنه بيت أسرة لا نزلاء (بنسيون) ، ولما جلسوا الى المائدة كان عددهم لا يقل عن ستة عشر شخصا ، ويقدم لهم الوان الطعام ذلك الصبي الذي فتح له الباب عند مجيئه ، وبرغم سرعته كان الاول في الدور ينتهي من الأكل قبل أن يقدم لون الطعام الى الاخير وكانت زوجة الاستاذ تصر على الايتحدث أحد أثناء تناول الطعام الا باللغة الالمانية

ونظر فيليب الى القوم الذين سيعيش بين ظهرائهم ، ورأى الى جانب زوجة الاستاذ بعض نساء عجائز فلم يعرهن التفاتا ، وكان هناك فتاتان جميلتان ، جلستا متجاورتين : احدهما تسمى الأنسة (فرديكين هديج) والاخرى اسمها الأنسة (فرويلين سيسبلي) . وكان لهدفيج ضفيرة طويلة مدلاة على ظهرها ، وكانتا تسترقان النظر اليه وتتحدثان معا حديثا بتخلله بعض ضحكات ، فاحمر وجهه خجلا اذ احس انهما تسخران منه . وجلس على مقربة منهما شاب صيني ذو وجه اصفر وابتسامة عريضة ، وكان يدرس أنظمة الغرب في الجامعة، وكان يتكلم بسرعة وبلهجة عجيبة لدرجة ان الفتاتين ما كانتا تفهمان ما يقوله، وكان يضحك ايضا من كل قلبه فتضيق عيناه حتى تكادا تغلقان وكان هنالك اثنان لو ثلاثة من الامريكيين يرتدون بذلات سوداء ولهم وجوه شاحبة وبشرة يابسة وكانوا يدرسون علم اللاهوت بالجامعة ، وقد لاحظ فيليب انهم ينطقون اللغة الالمانية خاطئة بلهجة (نيوانجلاند) . وقد نظر اليهم نظرة ارتياب ، لانه كان قد تعلم ان يعتبر الامريكيين متوحشين متهورين !

ولما جلسوا فيما بعد على الكراسي الجامدة المغطاة بالمخمل الاخضر، عرضت عليه الأنسة « آنا » ابنة الاستاذ ان يخرج معهم للرياضة فقبل الدعوة وكانوا جماعة تشملهم وابنتى زوجة الاستاذ والفتاتين الاخرين واحد الطلبة الأمريكيين

وكان فيليب يسير الى جانب آنا ، وهيدفيج ، وكأنا شعر لذلك بشيء من الانتعاش ، فانه لم يكن قد عرف فتيات من قبل، ففي بلاكستيبيل لم تكن ثمة سوى بنات الفلاحين والتجار المحليين ، وكان للطبيب ابنتان ولكنهما كانتا اكبر سنا من فيليب وقد تزوجتا واحدة بعد الاخرى لمساعد بعد آخر . وفي المدرسة كانت هناك بنتان او ثلاث ذوات جراءة يعرفهن بعض الطلبة ، وكانت تحكي عنهن حكايات لعلها من اختراع الطلبة الذكور ، وكان فيليب دائما يخفى خوفه منهن وراء ستار من الازدراء . وكان احساسه موزعا بين الخجل الكامن في نفسه وبين الرغبة في اظهار الكياسة مع الجنس اللطيف . أما الآن فرأى ان الظرف يقتضيه ان يبدى الذكاء والظرف ، ولكنه الفى

ذهنه خاليا ولم يجد بعد الجهد ما يقوله . . وكانت آنا توجه اليه الكلام مرارا من باب اللياقة . . اما الاخرى فلم تقل شيئا وانما كانت تنظر اليه بين حين وآخر ثم تضحك ضحكة صريحة تزيد اضطرابا وخجلا !

ومضوا جميعا على سفح تل قامت على جانبيه أشجار الصنوبر فكانت رائحتها تبعث السرور في نفسه . وكان الجو دافئا والسماء صافية . واخيرا وصلوا الى ربوة يرون منها نهر الرين ممتدا امامهم تحت أشعة الشمس !

ثم كان سفر هيدفيج الى انجلترا باعثا على زيادة اشتغال آنا بشؤون المنزل ، فصارت لا تجد وقتا كافيا للرياضة . وصارت الأنسة سيسل ذات الشعر الطويل الجميل والأنف الأنيق الصغير ، تبدو عزوفا عن المجتمعات في الأيام الأخيرة . واما ويكس الأمريكى الذى كان يصحبهم عادة في الرياضة فقد شرع في القيام برحلة في جنوب ألمانيا . وهكذا صار فيليب وحيدا في أغلب وقته

ثم دخل فيليب جامعة هيدلبرج، كما استمع لبعض محاضرات (كونوفيشر) اذ كان في أوج شهرته وكان يحاضر عن (شوبنهاور) في ذلك الشتاء . وكان ذلك أول اتصال لفيليب بالفلسفة . ولما كان ذهنه عمليا بطبعه فقد كان عسيرا عليه أن يتتبع المسائل النظرية . حتى اذا كتبت اليه السيدة كاري بالنيابة عن زوجها ، مذكرة اياه بأن قد حان الوقت لكى يعود الى انجلترا ، وافق على ذلك دون تردد وحدد يوم سفره

على ان السيدة كاري كتبت اليه ثانية تذكره بأن الأنسة ويلكنسن التى دلتها على نزل السيدة ايرلين في هيدلبرج ، ستأتى الى بلاكستيل لقضاء بضعة اسابيع . فاذا سافر يوم كذا فانه قد يلقاها في السفر فيأتيان الى بلاكستيل معا . ولكن خجله الطبيعى جعله يغير موعد سفره حتى لا يلقاها اذ تصور نفسه يسأل في القطار عن الأنسة ويلكنسن ثم يتوجه الى سيدة غيرها متوهما انها هى فيشتد ارتباكها ، وحتى اذا سهل عليه ان يعرفها فانه لا يدري ايحدثها طول الرحلة ، أم يقرأ احد الكتب ؟!

واخيرا غادر هيدلبرج غير آسف ، فقد كان طول الاشهر الثلاثة الاخيرة لا يفكر الا في مستقبله ، وقد اهدت الأنسة آنا اليه نسخة من كتاب (عازف الطبل في ساكنجن) واهدى اليها كتاب (وليم موريس) . وكان كلاهما أعقل من ان يقرأ كتابه !

دهش فيليب اذ رأى عمه وزوجته فانه لم يلحظ قبلا انهما عجوزان، وقد تلقاه القس بقلة اكتراثه المعتاد وان لم يخل لقاءه من مودة . . وراه أكثر بدانة وصلعا من قبل . اما العمة لويزا فقد تلقتة بالعناق والقبل، وانحدرت دموع الفرح على خديها وهى تقول له : « لقد طال غيبتك يا فيليب ! »

ثم نظرت اليه مليا وقالت : « لقد كبرت ، انك أصبحت رجلا الآن ! » وكان قد نما شاربه وصار يحق ذقنه، ثم قالت له : « لقد شعرنا بالوحشة في غيابك ! . . انك مسرور بأوبتك . الست كذلك ؟ »

وكان هو يؤمن برأسه موافقا ، بينما ينقل نظراته بينها وبين عمه، وكانت

هى قد بلغت من النحافة بحيث كاد جسمها أن يكون شفافا ، وصارت ذراعاها اللتان حاطته بهما بمثابة عظمتين ، وحفرت الفضون فى وجهها اخاديد !.. وقد أدرك فيليب أن هذين الشخصين قد انتهت الحياة بالنسبة لهما وصارا من شخوص الماضى فلا يعيشان الا انتظارا للموت . وخيل اليه فى قوته وشبابه أنهما لم يؤديا فى حياتهما شيئا وأنهما حين يموتان فكأنهما لم يوجد قط . وشعر بعطف شديد على العمة لويزا . ورأى نفسه يحبها فجأة لأنها تحبه !

ثم دخلت الأنسة ويلكنسن الى الغرفة بعد أن انتظرت حتى يحيى القس وزوجته قريبهما . وقالت له عمته : « هذ هى الأنسة ويلكنسن يا فيليب ! » فمدت هذه يدها اليه قائلة : « لقد عاد الابن الضال ! . ولقد أحضرت له وردة ليضعها فى عروة سترته ! » . ووضعت فى عروة سترته زهرة كانت قد التقطتها من الحديقة منذ لحظة . وكان يعلم أنها ابنة الرئيس السابق لعمه ، ويعرف بنات القسس حق المعرفة . . اذ يلبسن ثيابا غير مطابقة لأجسامهن وأحذية واسعة فى أرجلهن ، وشعرهن غير مرتب ولهن رائحة التيل المنشى ، ويحسبن الرشاقة النسوية غير لائقة ومظهرهن لا يتغير فى الشباب أو الكبر !

ولكن الأنسة ويلكنسن كانت تختلف عنهن اختلافا كبيرا ، فقد كانت ترتدى ثوبا من (الموسلين) الابيض الموشى بأزهار ، وزوجا من الاحذية العالية الكعوب وجوارب على أحدث طراز ، وكانت تقص شعرها الاسود بشكل بديع وتفرقه فى الوسط . كما كانت نحلاء العينين مستقيمة الأنف ، وإذا نظرت الى عارضيه خيل اليك أنها من الطيور الجارحة ولكن وجهها فى جملة حسن جذاب ، وكانت كثيرة الابتسام ولكنها كانت واسعة الفم ذات أسنان كبيرة صفراء ، فكانت تحاول اخفاءها حين تبسم . على أن الذى أدهش فيليب أنها كانت تكثر من المسحوق على وجهها ، وكان شديد التدقيق فى سلوك السيدات ولم يكن يثق بمن يتخذن المساحيق ، ولكن الأنسة ويلكنسن كانت ابنة قسيس ، وكل قسيس يعد سيدا (جنتلمان)

وقدر فيليب منذ البداية أنه سيفغضها بغضا تاما ، ولا سيما بعد أن لاحظ أنها تتكلم بلهجة فرنسية دون داع لذلك ما دامت قد ولدت ونمت فى انجلترا . وخيل اليه أن ابتسامها مفتعل ، وضايقه مرحها الذى تمزجه بشيء من الخفر . . وقد مكث يومين أو ثلاثة صامتا بآدى النفور ، ولكن الأنسة ويلكنسن مضت برغم ذلك تتودد اليه ، وكانت توجه كلامها اليه وحده وتتملقه بسؤاله عن رأيه كل حين . وكانت تغريه بالضحك أيضا ، ولم يكن يقدر أن يقاوم أحدا يسليه ، وكان يقدر أن يقول شيئا مليحا بين حين وآخر ويسرده أن يجد من يصفى اليه . ولم يكن القس ولا زوجته ميالين الى الفكاهة بل لم يكونا يضحكان من أية نكتة يقولها . ولما اعتاد مخاطبة الأنسة ويلكنسن وذهب عنه خجله بدأ يميل اليها ويستحسن لهجتها الفرنسية . ولما حضر معها حفلة أقامها الطبيب لاحظ أنها أحسن المدعوات هنادما !

وفي أحد الايام انتهز فرصة وجودها في غرفتها فسأل السيدة كاري عن سنّها فأجابته قائلة : « لا يجوز يا عزيزى أن يسأل أحد عن سن امرأة .. ولكنها بالتأكيد اكبر سنا من أن تصبح زوجة لك ! »

وابتسم القس وهو يسمع ذلك وقال : « انها ليست طفلة . فقد كانت كبيرة حين كنا في (لنكولنشير) . وكان ذلك منذ عشرين سنة ، وكان لها جديلة تتدلى على ظهرها ! »

فقال فيليب : « ربما كانت وقتئذ في العاشرة من عمرها ! »

فاعترض القس قائلا : « احسبها كانت وقتئذ قد بلغت العشرين ! »

وقالت زوجته : « كلا يا وليم ! . لقد كانت عمرها وقتئذ ست عشرة سنة او سبع عشرة على الأكثر ! »

فقال فيليب : « اى انها الآن قد تخطت الثلاثين ؟ »

وفي تلك اللحظة هبطت الأنسة ويلكنسن الدرج وهى تغنى أغنية لبنيامين جودار ، وكانت مرتدية قبعتها لأنها كانت متفقة مع فيليب على الخروج للرياضة معا، ومدت يدها اليه ليزرر لها قفازها فأدى هذه المهمة باضطراب . وكان الحديث قد بدأ يدور بينهما دون حرج فصارا يتكلمان معا عن كل شيء . وهما يتريضان . وأخذت تحدثه عن برلين ويحدثها عن أيامه في هيدلبرج . ثم سأله بمكر : « هل كانت لك علاقات غرامية في هيدلبرج ؟ »

فلما أجاب بالنفى أبت أن تصدقه وحسبته يخفى عليها سرا ، فاحمر وجهه وقال لها : « انك تريدان أن تعرفي أكثر مما يجب ! »

ف قالت : « لقد حسبت ذلك .. وان احمرار وجهك لذو دلالة ! »



وفي خلال الأسبوعين اللذين انقضيا منذ عودة فيليب من المانيا دارت مناقشات طويلة بينه وبين عمه حول مستقبله ، وقد رفض بتاتا أن يدخل جامعة اكسفورد ولما يئس من الحصول على اعانة دراسية اضطر عمه الى الاقرار بأن ابن اخيه لا قبل له بدخول الجامعة . لقد كانت ثروة فيليب كلها لا تزيد عن ألفين من الجنيهات ، وعلى الرغم من انها وظفت في رهون عقارية بفائدة خمسة في المائة فانه لم يقدر أن يعيش على هذه الفائدة وحدها ، وكان من الحق أن ينفق مائتى جنيه في السنة - وهو أقل مبلغ يكفيه اذا دخل الجامعة - فان ثلاث سنوات كانت تذهب بثروته دون أن يتخرج بعد ويستطيع ان يكسب معاشه !

على انه كان يتوق الى السفر الى لندن . وكانت السيدة لويزا تعتقد أن هناك أربع مهن فقط تليق بالجنّلمان ، وهى : الجيش ، والبحرية ، والقانون ، والكنيسة . وأضافت اليها الطب لأن أخا زوجها كان طبيا ، ولكنها لم تنس انها حين كانت صغيرة لم يكن أحد يعد الطبيب سيدا

(جنتلمان) . . . أما المهنتان الأوليان فكانتا خارج البحث بالنسبة لفيليب ،
وأما الكنيسة فقد أبى فيليب أن يصبح قسيسا . . . واقترح طبيب
الناحية أن يدرس فيليب الهندسة التي بدأ كثير من أبناء السادة يقبلون
على دراستها . . . ولكن السيدة لويزا عارضت هذه الفكرة ، وقال زوجها :
« ولماذا لا يصبح طبيبا مثل أبيه ؟ »

فرد فيليب قائلا : « انى أكره هذه المهنة ! »

كذلك أبعدت فكرة المحاماة لأنها تتطلب الحصول على شهادة جامعية بينما
فيليب لن يدخل الجامعة ، وأخيرا رأى أن يكتب المستر كارى الى « البرت
نيكسون » محامى الأسرة المشرف معه على تنفيذ وصية والد فيليب طالبه
اليه أن يعين فيليب تلميذا عنده

وبعد يوم أو يومين جاء منه الرد بأن ليس لديه محل خال له ، وكتب
يعارض الفكرة كلها ويقترح أن يصبح فيليب محاسبا قانونيا . ولم يكن
القسيس ولا زوجته يعرفان شيئا عن هذه المهنة ، ولم يسمع فيليب بأحد
يشتغل بها . ولكن سرعان ما وصل خطاب آخر من المحامى يقول فيه :
« ان نمو التجارة الحديثة وتكاثر عدد الشركات قد اديا الى وجود عدد من
المكاتب التى تقوم بمراجعة الحسابات ، وانه قبل بضع سنوات وضع سجل
ملكى للمشتغلين بهذه المهنة الجديدة ، وانها تزيد كل عام مكانة وربحا .
واتفق ان مكتب المحاسبة الذى يعامله منذ ثلاثين سنة عنده محل خال
لتلميذ وهو مستعد لأن يقبله على أن يدفع مصروفات قدرها ثلاثمائة جنيه
فى السنة ، ويرد اليه نصف هذا المبلغ فى شكل مرتب خلال سنوات التلمذة
الخمس »

ولم يكن ذلك ليرضى طموح فيليب ولكنه رأى الا بد له من أن يقرر
شيئا ، وقد سره أنه سيعيش فى لندن

وتقرر ان يسافر فيليب الى لندن فى منتصف سبتمبر ، فقال : « أمامى
الآن شهر كامل قبل السفر »

فردت الأنسة ويلكنسن قائلة : « وعندئذ تذهب انت الى الحرية وانا
الى العبودية ! »

وكانت مدة اجازتها ستة اسابيع وعليها أن تغادر بلاكستيل قبل يوم أو
يومين من سفر فيليب . ثم قالت له : « انى لأسائل نفسى : هل نلتقى
ثانية ؟ »

فقال لها : « ولم لا ؟ » . فقالت : « لا تتكلم بهذا الشكل العملى . انى لم
أر شيئا مجردا عن العاطفة مثل كلامك ! »

فاحمر وجهه خجلا وقد خشى أن تحسبه قليل الرجولة ، ورأى أنها
على أى حال شابة صغيرة وتبدو أحيانا جميلة حقا وهو قد قارب العشرين
من عمره . وكان من الحماقة ألا يتكلما الا فى الفن والأدب بينما ينبغى له أن
يفازلها . أجل لقد تكلما عن الحب ، فهناك الرسام الذى عاشت مع أسرته

زمانا طويلا حين كانت بباريس : لقد طلب اليها أن تكون نموذجا له ليرسمها ثم أخذ يطارحها الغرام بشكل عنيف جعلها تنتحل الأعذار لكيلا تجلس أمامه مرة أخرى . ولقد كان واضحا أن الأنسة ويلكنسن اعتادت ضروب الالتفات التي من هذا القبيل . . . ولقد بدت الآن بارعة الجمال وهي مرتدية قبعاتها الكبيرة من القش وكان الوقت بعد الظهر والجو حارا وقد سقطت نقط من العرق على شفتها العليا ، فرأى أمامه فرصة للغرام . وكانت أقرب الى أن تكون فتاة فرنسية فزاد هذا من امكان هذه المغامرة . ولما فكر في ذلك ليلا وهو في فراشه ثم نهارا وهو جالس يقرأ كتابا في الحديقة طرب لهذه الفكرة . . وما كادا يخرج جان في اليوم التالي للرياضة معا حتى استغرق في التفكير ، فسألته عما يفكر فيه ولكنه لم يجب ، لأنه انما كان يفكر في أن يقبلها توا دون مقدمة ، ولكنه خاف أن ترد عليه بلطمة على وجهه ثم تشكوه الى عمه وقد يخبر الطبيب فيسخر الجميع منه . وكانت العمة لويزا لا تفتأ تقول : « ان الأنسة ويلكنسن في السابعة والثلاثين من عمرها !

ولما عادت الأنسة ويلكنسن تسأله عما يشغل فكره أجابها قائلة : « لقد كنت أفكر فيك ! . . أوه ! . . انك تريد أن تعرفي أكثر مما يجب ! » فغمغمت قائلة : « أسكت أيها الولد الشقي ! »

وقد ساءه أن تذكره بصغر سنه بعد أن استنفر جراته وشرع يغازلها فبان عليه الغضب وقال : « وددت لو أنك لا تعامليني كأنني طفل ! » فسألته في رقة : « اغاضب انت ؟ » فقال : « كل الغضب ! »

فمدت اليه يدها قائلة : « لم أقصد ذلك » . وتناول هو يدها . وكان قد خيل اليه في المرة الأخيرة ، أنها حين تصافحه تضغط يده قليلا ، أما الآن فلم يبق لديه شك في ذلك !

وفي اليوم التالي جاءت بعد الظهر مرتدية ملابس التنس استعدادا للعب ، وقد أعجب فيليب برشاقتها وبحسن اختيارها لثيابها ، وبدت فتاة الى جانب زوجة الخوري وابنة الطبيب المتزوجة ، ولم يتمالك فيليب نفسه فقال لها : « انك تبدين فاتنة ! »

فقالت له : « يمكنني أن أبادلك المديح فانك تبدو خلابة ! »

وبعد تناول العشاء ، أصر على أن تصحبه في الخروج الى الحديقة . وكان بادي المرح فقالت له وهما جالسان بالحديقة : « ألا تعلم أن السيدة كاري قد أنبتني اليوم بسببك ؟ لقد قالت لي انني لا يصح لي أن ادعك تغازلني ! » فأحاطها فيليب بذراعيه وقبلها في فمها ، فضحكت قليلا ولم تحاول أن تبعده عنها . وبدأ الأمر طبيعيا وشعر فيليب بالرضا عن نفسه وود لو كان قد فعل ذلك من قبل . وعاد يقبلها فقالت له : « لا ينبغي لك أن تفعل هذا ! »

ولما سألتها : « لماذا ؟ » . ضحكت وقالت له : « لأنه يسرنى ! »
وبرهن فيليب في الأيام التالية على أنه عاشق متيم ، وأرضى غروره أن
علم أنها مغرمة به ، فقد أخبرته بذلك باللغة الانجليزية ثم باللغة الفرنسية ،
وصارت تمتدح شكله ، وقبل ذلك لم يسمع من أحد قط أن عينيه جذابتان
وأن شفثيه شهيتان . . ولم يكن يعبا بمظهره كثيرا . ولكنه الآن بدأ ينظر
الى نفسه في المرآة فيرتد بصره راضيا . . وكان اذا قبلها أحس قوة عاطفتها
نحوه . وقد أخذ يكثر من تقبيلها ورأى أن ذلك أيسر عليه من أن يقول لها
ما تود أن تسمعه منه
وأخيرا لم يبق أمامهما سوى ثلاثة أسابيع يرحلان بعدها ويفترقان
فقالت له :

— انى لا أقدر أن أفكر فى ذلك . انه يحطم قلبى . ومن يدري لعلنا
لا نلتقى فى المستقبل !
فقال لها : « لو كنت تحبيننى حقا لما قسوت على هذا الحد !
— لماذا لا تقنع بأن تسير الأمور كما هى الآن ؟ . ان الرجال كلهم سواء
لا يرضيهم شئ !



استيقظ فيليب ، باكدره الصباح بعد أن قضى ليلة أقضه فيها مضجعه ،
وأخذ يفكر فى الأنسة ويلكنسن وكانت قد دعتنه أن يناديه باسمها الاول
(ايميلى) ولكنه لا يدري ماذا جعله يحجم عن ذلك فكان لا يفكر الا على
انها (الأنسة ويلكنسن) . . . ولما أخذت تسخر منه لهذا السبب صار
لا يناديه بأى اسم . . . وعاد يفكر فى سنها ويقدر انها لا تقل عن الأربعين
. . وهذا الذى صير علاقته بها مضحكة . لقد كانت عاطلة من الجمال كبيرة
السن . وتصورها عجوزا عجفاء ذات غضون ، فشعر بأشمزاز وتمنى الا
يرأها ، وأحس أنه لا يمكنه أن يعود الى تقبيلها بأى حال . وسأل نفسه :
« أهذا هو الحب ؟ ! »

وقضى وقتا طويلا فى ارتداء ثيابه حتى يرجى لقاءها ، ثم ذهب أخيرا
الى غرفة الطعام وهو ممتعض ، وبعد تلاوة الصلاة المعتادة جلسوا جميعا
لتناول طعام الفطور

وقالت له الأنسة ويلكنسن بمرح ظاهر : « ما أكسلك ! »
ونظر اليها فرآها حسناء لا بأس بها . . . فعجب من نفسه كيف خطرت
له تلك الافكار السيئة عنها ، وأدهشه ما اعتراها من تغير ، فانها عقب تناول
الطعام صارحته بحبها له بصوت تغلبه العاطفة . ولما جلس بعد قليل لأخذ
درس الغناء وقعدت هى على كرسي البيانو فأسندت أحد خديها على نوتة
الموسيقى وقالت له بالفرنسية : « قبلنى ! » ثم حاطته بذراعيها حتى كادت

تخنقه وقالت له بالفرنسية أيضا : « آه ! أحبك !. أحبك !. أحبك !
وود فيليب لو كلمته باللغة الانجليزية ... ثم قال لها :

— الا يخطر ببالك أن البستاني قد يمر في أية لحظة فيرانا من النافذة ؟

فأجابته بالفرنسية : « لا أبالي البستاني ولا سواه ! »

وخيل الى فيليب أن ما هو فيه يشبه ما تحتويه إحدى الروايات الفرنسية ،
ولم يدر لماذا ضايقه ذلك .. وأخيرا قال لها : « حسنا !. انى أفكر فى الذهاب
الى الشاطئ؟ لا أستحم ! »

فقالت له : « أتركنى فى هذا الصباح ؟. فى هذا الصباح خاصة ؟! »

فلم يدر فيليب لماذا لا ينبغي أن يتركها ، ولكنه ابتسم وقال لها :

« أتريدى أن أبقي معك ؟ »

فقالت : « أجل يا حبيبى .. ولكن لا !. اذهب فانى احب أن افكر فىك

وانت تغالب الأمواج وتغسل أعضائك فى المحيط الفسيح ! »

فتناول قبعته وخرج وهو يقول : « ما أسخف ما تقوله النساء ! » .

ولكنه كان مبتهجا فقد أرضى غروره أن رآها متيمة به !

ومر الأسبوعان الباقيان بسرعة ، وكان مساء كل يوم يخرج معها الى

الحديقة بعد العشاء فتبدى أسفها لانقضاء يوم من الايام التى تمكنها معه ،

ولكنه لم يكن يلقي بالا الى ذلك .. وفى إحدى تلك الليالى أبدت له رغبتها

فى أن تستبدل بعملها فى برلين عملا مثله فى لندن فتستطيع أن تلقاه كل

حين ، فقال فيليب : « ان ذلك يكون شيئا بديعا » . ولكنه لم يشعر

بحماسة لهذا المشروع ، فقد كان يتوقع لنفسه حياة سارة فى لندن ، ولم

يرد أن يقيد شئ ، وحدثها بصراحة عن كل ما يريد أن يفعله فى لندن حتى

أدركت أنه يتوق الى السفر

وأخيرا حل اليوم الذى ترحل فيه ، ولما جاءت الى مائدة الفطور كانت

حزينة شاحبة الوجه وقد ارتدت ثياب السفر فبدت فيها فى مظهر المربية

القديرة .. وكانت ساكنة ، فسكت فيليب أيضا ولم يدر ما يقوله ، وقد

خاف أن يكثّر من الكلام فيخونه لسانه وتضعف ويلكنسن أمام عمه وزوجته

ويعرفا خافية الامر .. وكان قد ودعها فى الحديقة فى الليلة الفائتة وسره

الآن أنه لن يتاح له أن ينفرد بها . ومكث فى غرفة الطعام بعد تناول الفطور

خشية أن تصر على تقبيله على الدرج ، ولم يرد أن تفاجئه مارى آن معها

فى موقف غير لائق ، وقد أصبحت مارى آن امرأة نصفاً حادة اللسان وهى

لا تحب الأنسة ويلكنسن وتقول عنها أنها هرة عجوز .. وكانت العمّة لويّزة

معتلة الصحة فلم تقدر أن تذهب الى المحطة ، ولكن القسيس وفيليب صحبا

الآنسة ويلكنسن اليها ، ولما أوشك القطار أن يسير مالت من النافذة وقبلت

المستر كارى ثم قالت : « يجب أن أقبلك أنت أيضا يا فيليب ! »

فقال وقد احمر وجهه : « لا بأس ! »

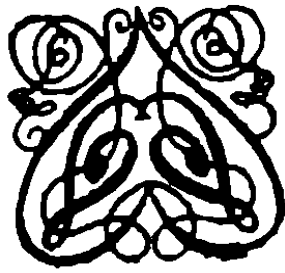
فقبلته قبلة سريعة وسار القطار وجلست فى ركن منه وهى تبكى بكاء

مرا : وشعر فيليب وهو عائد الى الكنيسة بسعور الفرج !
وقالت العمّة لويزا لزوجها : « هل صحبماها الى القطار ؟ »
فقال : « نعم : وكانت تغالب البكاء ، وأصرت على أن تقبلني وتقبل
فيليب ! »
فقالت : « في مثل سنّها لا بأس بذلك ولا ضير فيه ! »



قصي فيليب سنة في مكتب المحاسبة ، وكان خليقا أن يستقر في هذه
المهنة الجديدة لولا ما اتفق عليه من امكان رد نصف المصروفات المدفوعة اليه
إذا رأى ترك المكتب بعد سنة . وقد حسب أنه أهل لما هو أرقى من جمع
الأرقام

maktbtna.com



غرامه بالرسم

لم يرتح قسيس بلاكستيل الى المشروع الذى عرضه فيليب عليه فقد كان من رايه أن يثابر الانسان على عمل بدأ فيه وكان ككل رجل ضعيف ، يبالغ فى ضرورة عدم التغير والتبديل . وقال لفيليب : « لقد رأيت بمحض اختيارك أن تتعلم المحاسبة ، اليس كذلك ؟ »

فقال فيليب : « لقد اخترتها لأنها كانت الفرصة الوحيدة للاقامة بلندن ، غير أنى الآن أبغض لندن وأبغض العمل فى ذلك المكتب ولن أعود له أبدا ! » وقد جزع القسيس وزوجته من رغبة فيليب فى أن يصبح رساما ، وأكدوا له أن فن الرسم ليس مهنة جديده بل هو مهنة بوهيمية منافية للأخلاق وحسن السمعة ولا تليق بمقام أهله ، هذا الى أن الإقامة بباريس تتطلب نفقة لا طاقة له بها ، ثم قال له عمه :

— لا أستطيع قط أن أسمع لك بالأقامة بباريس ، كيف أخون الأمانة التى وضعها فى عنقى والداك الم حومان اذا تركتك تستهدف لضروب الاغواء التى فى باريس ؟ بعد أن رببتك لتكون مسيحيا كاملا مهذبا

فقال فيليب : « حسنا ! . انى لا أعد نفسى مسيحيا وقد بدأت أشك فى أنى جنتلمان !

واشتد الخلاف بينهما . وكان لا يزال أمام فيليب سنة ليبلغ بعدها سن الرشد ويحصل على ميراثه ، وأخيرا قال لعمه :

— لا حق لك فى أن تبدد مالى ، باصرارك على بقائى فى ذلك المكتب البغيض . وعلى أى حال أنه مالى وليس مالك ، وأنا لم أعد طفلا ، ولن يمكنك أن تحول دون ذهابى الى باريس اذا صممت على ذلك ولن ترغمنى على العودة الى لندن !

— ان كل ما أستطيعه هو أن أمنع عنك النقود الا اذا فعلت ما أراه مناسبا لك !

— لا أبالى ما تراه . لقد صممت على السفر الى باريس وسأبيع ملايىسى وكتبى والحلى التى تركها والداى !

وكانت العمه لويزا جالسة بادية القلق والأسف ، وقد رأت ان فيليب غير متمالك نفسه وان أى شىء تقوله سيزيد فى غضبه . وأخيرا ذكر له القس أنه لا يريد أن يسمع شيئا عن هذا الموضوع وترك الغرفة !

وبقيا ثلاثة أيام لا يكلم أحدهما الآخر ، وكتب فيليب الى هاوارد يطلب اليه معلومات عن باريس وقد اعتزم أن يسافر حين يجيئه الرد . وكانت

السيدة كاري تقلب الامر على وجوهه وقد شعرت بأن فيليب يلحقها
بزوجها في البغض الذي يكنه له وآلتها هذه الفكرة ، وأخيرا كلمته ناصحة
فقال لها :

— قد لا اكون صالحا للفن ، ولكنى أريد أن أجرب على الأقل ، ومهما يكن
الامر فلن اكون اشد فشلا مما كنت في مكتب المحاسبة ، وأنا اشعر بأننى
يمكننى أن اكون شيئا مذكورا في الرسم فأنى موقن بأن لى موهبة فيه !
وأخيرا ابدت له خوفها من ذهابه الى باريس ، ونصحت له بالبقاء في
لندن فقال لها :

— اذا اخترت الرسم مهنة لى فيجب ان احذقه ولا يتأتى لى ذلك الا في
باريس

وعرض عليها أن تكتب الى المستر نيكسون محامى الأسرة لتنبئه بعدم
ارتياحه الى مهنة المحاسبة فكتب اليها هذا يقول :

« عزيزتى السيدة كاري

« لقد قابلت المستر هربرت كارتر وأرأنى مضطرا لأن أصارحك بأن
فيليب لم يحقق الأمل الذى كان معقودا عليه ، فقد أبدى كراهية شديدة
لعمله ، وأرى أن من الخير أن ينتهز الفرصة المهيأة له لاسترداد نصف
المصروفات المدفوعة . وبديهي أننى مستاء ، ولكنك لا تعلمين أن الانسان قد
يذهب بجواد الى الماء ولكنه لا يستطيع أن يرغب على الشرب المخلص
البرت نيكسون »

ولما اطلع المستر كارت على هذا الخطاب زاد فى لومه لابن أخيه ، وأصر
على رفضه فكرة دراسته الرسم فى باريس ، وأكد أنه لن يعطيه بنسا واحدا
لهذا الغرض . وكان فيليب قد ورث عن أبيه وأمه بعض حلى ذهبية وفص
لؤلؤ فعزم على الذهاب الى (تركانبوري) بعد ظهر اليوم نفسه لى يبيعها ،
وقدر أن يبيعها بنحو مائة جنيه . وسرعان ما ارتدت السيدة كاري
ملابسها وخرجت دون أن تذكر الى أين هى ذاهبة وقد قصدت الى البنك
وعادت بعد ساعة فوجدت فيليب وحده يقرأ فى غرفة الطعام فابتسمت
له بخجل وقدمت له إحدى عشرة ورقة بنكوت من فئة الخمسة الجنيهات
وكيسا صغيرا به عدد من الجنيهات الذهبية وقالت له :

— هذه هدية صغيرة منى . فأنى لم أرد أن تبيع حلى والدك ، فجئت
بما ادخرته فى البنك وهو مبلغ يقل قليلا عن مائة جنيه

فتأثر فيليب حتى سقط الدمع من عينيه وقال لها : « شكرا جزيلا
يا عمتى ولكنى لا يمكننى اخذ هذا المبلغ ! »

وكانت السيدة كاري حين تزوجت تملك ثلاثمائة جنيه ولكنها أنفقت
الكثير منها لسد حاجات طارئة ولشراء هدايا لزوجها ولفيليب فى مناسبات

شتى . واخذ المبلغ يتناقص على كر السنين ولكن القسيس كان لا يزال يمازح زوجته بشأنه ويعدها امرأة غنية !

ولما رفض فيليب اخذ ذلك المبلغ الباقي بكت السيدة كاري وما زالت به حتى رضى ، فقبلها في خديها اللذين خط الكبر فيهما اخاديد . وشعرت بالسعادة تغمرها اذ استطاعت ان تؤدي هذه الخدمة لمن حل عندها محل الولد . وبعد بضعة أيام صحبتته الى المحطة مودعة وقبلته حين تحرك القطار ثم اخذت تلوح بمنديلها حتى غاب عن بصرها !

ولم يكد فيليب يجلس في مقعده بعربة القطار حتى نسيها او كاد ، لأنه كان يفكر في المستقبل . وكان قد كتب الى السيدة (أوتر) مديرة مدرسة الرسم ، وكان معه أيضا دعوة لتناول الشاي غدا وصوله الى باريس . وقد استأجر غرفة في (فندق المدرستين) بشارع يتفرع من شارع مونبارناس . وراح يجوب نواحي الحي اللاتيني حتى اذا أوى الى فراشه لم يستطع النوم الا مؤخرا

وفي اليوم التالي ذهب الى حيث تقيم السيدة أوتر ، وكانت امرأة عادية لا تلفت النظر في نحو الثلاثين من عمرها ، وقد علم فيليب انها درست في باريس ثلاث سنوات ، وانها قد انفصلت عن زوجها . وقد علق بعض لوحات من رسمها بغرفة الجلوس فأعجب بها فيليب وقال لها :

انى أسأل نفسي : هل يأتى يوم أقدر ان ارسم فيه بهذه البراعة ؟

فقالت بغرور : « هذا ما أتوقعه لك ! »

ثم قالت له : « سأذهب غدا الى مدرسة (اميرانو) في الساعة التاسعة صباحا ، واذا لقيتنى هناك في ذلك الموعد فسأعنى بأن أجد لك مكانا مناسباً » ثم نصحت له بأن يشتري أدوات الرسم فخرج يشتريها بدون ابطاء

وفي صباح الغد ذهب الى المدرسة فوجد السيدة أوتر هناك ، وكان يخشى أن يقابل بالسخرية بحسبان طالباً جديداً ولكنها أكدت له الا شئ من ذلك في هذه المدرسة ولا سيما أن نحو نصف الطلبة من الجنس اللطيف . وكان المرسم فسيحا تحيط به جدران عليها الصور التى حازت جوائز . وكانت فتاة جالسة كنموذج للرسم وعليها دثار مفكك ، وكان هناك بعض الطلبة من الذكور والاناث واقفين يتحدثون ، وآخرون لا يزالون يرسمون . وكانت تلك فترة الراحة الاولى للنموذج !

واشارت السيدة بوتر الى موضع ليضع فيه منصة الرسم الخاصة به ، ونصحت له بأن يبدأ بالسهل ولا يحاول الصعب بداءة ، وعرفته الى طالبة جالسة الى جواره اسمها (برايس) . ولما عادت النموذج ووقفت عارية على قدميها قالت الآنسة برايس :

— هذه وقفة حمقاء ، وما أدري لماذا اختاروا هذه الوقفة ؟ !

وقد نظر الطلبة الى فيليب بدون اهتمام ثم لم يلتفتوا اليه بعد ذلك . .

بدون ترتيب وكان بوجهها نمش ظاهر

ونظر الى الرسم الذى فى يد الأنسة برايس وكانت تعمل فيه منذ يومين فرآه خليطاً من كثرة المسح ، وقال لنفسه انه يمكنه ان يرسم احسن من ذلك . وبدأ يرسم رأس النموذج وسرعان ما رأى ان الأيسر عليه ان يرسم رأساً من مخيلته من رسم ذلك الرأس ، ونظر الى جارته فرآها تعمل باهتمام حتى لقد تصيب العرق من جبينها . وقالت لفيليب :

« لست أدري لماذا اتعب كل هذا التعب ولكنى أريد ان اتقن الرسم

ثم نظرت الى ما يرسمه فيليب وقالت له : وما حالك انت ؟ »

فقال : « انى لا اتقدم مطلقاً ! »

فقالت له : « أنك لا يمكن ان ترسم شيئاً بهذه الطريقة . يجب ان تأخذ

مقاسات ! »

وعلمته كيف يبدأ الرسم فأعجب فيليب بمهارتها ، وشكر لها نصائحها وعاد يبدأ الرسم من جديد . وفى خلال ذلك جاء طلبة آخرون واكثرهم من الذكور اذ كانت النساء يأتين مبكرات ، حتى امتلأ المرسوم أو كاد . وجاء شاب نحيل القد أسود الشعر ذو أنف ضخمة ووجه مستطيل فقالت له الأنسة برايس : « لقد جئت متأخراً ، ألم تستيقظ الا الآن ؟ »

فقال لها الشاب : « لقد رايت ان اليوم صحو جميل فاثرت ان ارقد فى فراشى وافكر فى جمال هذا اليوم ! »

فابتسم فيليب بينما حلت الفتاة كلامه بحمل الجد وقالت له :

« كان خيراً لك ان تقوم وتستمتع باليوم

ثم نظر الى فيليب وقال له :

« لقد جئت من انجلترا ولكن كيف عرفت الطريق الى مدرسة البرانه ؟ »

فقال فيليب : « انها المدرسة الوحيدة التى أعرفها ! »

فقال له : « أحسبك قد آتيت مؤملاً ان تتعلم هنا شيئاً تكون له أدنى

فائدة ! »

فاعترضت الأنسة برايس قائلة : « انها احسن مدرسة ، وهى المدرسة الوحيدة التى يدرس فيها الفن دراسة جدية ! »

فقال الشاب : « هل يصح ان يؤخذ الفن مأخذ الجد ؟ ان مدارس الفن

كلها سيئة ، ولا يدرس الانسان فيها شيئاً يذكر ! »

فسأله فيليب : « لماذا تأتى الى المدرسة اذن ؟ »

فقال : « لأنى ارى الطريق القويم ولا أسلكه . والأنسة برايس الواسعة

الثقافة تعرف ولا شك المثل اللاتينى الذى يعنى ذلك ! »

بعيدة عن حديثك ! »

فقال كلاتون : « ان الطريقة الوحيدة لدراسة الرسم هي أن يكون لك مرسم وتستأجر نموذجا وتكافح !.. انها طريقة سهلة ولكنها تحتاج الى مال ! »

ثم أخذ يرسم ، وأراد فيليب أن يعود الى الرسم فقالت برايس :
- لو استطاع المستر كلاتون أن يصمت قليلا فاني أساعدك قليلا !

فقال كلاتون : « انها تكرهني لأنني أحب المزاح وتزيد كرها لي لأنني ذو موهبة ! »

فردت برايس غاضبة وقالت : « انك الوحيد الذي ينسب اليك موهبة ! »
وأخذت تنتقد ما رسمه فيليب وترشده فقال لها :

- اني شاكر لك شديد عنايتك بي
فاحمر وجهها خجلا وقالت له :

- لا شيء . وقد لقيت مثل هذه المساعدة حين اتيت هنا اول مرة . وأنا كنت مستعدة لأن أقدم هذه المساعدة البسيطة لأي أحد

فقال كلاتون : « ان الآنسة برايس تريد أن تقول انها تفيدك من فيض علمها قياما بالواجب لا افتنانا بشخصك ! »

فنظرت اليه برايس نظرة غضب وانهمكت في الرسم . ودقت الساعة الثانية عشرة فهبطت النموذج درج المنصة بشعور ارتياح ، وعرض عليه كلاتون أن يذهب معه الى مطعم عنده لتناول الغداء فشكر له . وفي اثناء خروجهما مر بالسيدة أوتر فقالت له :

- هل ساعدتك فاني برايس ؟. لقد أجلستك بجانبها لأنني اعرف أنها تقدر أن تساعد اذا أرادت . وهي فتاة فظة شرسة ولكنها تعرف قواعد الرسم ويمكنها أن تفيد طالبا جديدا اذا شاءت !

ولما مضيا في الشارع قال له كلاتون : « لقد مالت اليك فاني برايس فحذار ! »

فضحك فيليب لأن تلك الفتاة كانت آخر من يود أن يميل اليه .. ثم دخلا مطعما صغيرا رخيصا به بعض الطلبة يأكلون ، ولما جلسا الى المائدة قال له كلاتون : « انك لم تخبرني باسمك ! »

فقال له : « اسمي كاري »

فقدمه الى اثنين من الطلبة هما : « فلانا جان » و « لوسون » . وأخذ الأربعة يتحدثون ويضحكون ، وكانوا يتكلمون عن كل شيء في وقت واحد ..

- ستجدني هنا مساء اليوم اذا شئت المجيء ، وسوف توقن أن هذا المطعم احسن مكان في الحى لكسب عسر الهضم بأرخص ثمن !

كان الأساتذة يأتون صباح كل ثلاثاء وجمعة الى مرسوم (امترانو) لينقدوا ما تم من رسم . وفي فرنسا لا يربح الرسام الا قليلا - اللهم الا اذا رسم صورة شخصية ووجد له نصيرا من الامريكيين الاغنياء . وكان الرسامون المشهورون لا يرون ضيرا في زيادة دخلهم بقضاء ساعتين او ثلاث مرة في الاسبوع بأحد المراسم العديدة . وكان يوم الثلاثاء هو اليوم الذي يأتي فيه (ميشيل رولان) الى مرسوم امترانو ، وكان رجلا مسنا ذا لحية بيضاء وقد رسم عدة صور بتكليف من الحكومة ، وكان تلميذا (لانجر) ولا يعترف بتقديم الفن ويعد مشاهير الفنانين الحديثين امثال (مانيه) و (ديجا) و (مونيه) و (سيسل) من الدجالين . . . ولكنه كان معلما بارعا مؤدبا مع تلاميذه ومشجعا لهم . اما فوانيه فكان يأتي المرسوم صباح كل جمعة . وكان انسانا فظا سيء معاملة تلاميذه ولا يحترم احدا . وكان في شبابه قد باع صورة الى (دوق لوكسمبورج) ولكنه ظل بعد ذلك خمسا وعشرين سنة وهو لا يفعل شيئا سوى ان يعيد رسم تلك المناظر الطبيعية التي جلبت له الشهرة . وكان يحسد كل انسان ناجح ويكره على الخصوص سادة الفن الحديث !

وكان (فوانيه) اول استاذ اتصل بم فيليب ، فقد وجدته في المرسوم حين جاء اليه اول مرة . وكان ينتقل من منصة للرسم الى اخرى ومعه السيدة اوتر تشرح ملحوظاته للطلبة الذين لا يتقنون اللغة الفرنسية ، وكانت (فاني برايس) جالسة الى جوار فيليب منهمكة في الرسم وهي في حالة عصبية ظاهرة . وقالت لفيليب وهي تشير الى الصورة التي رسمتها : « اتحسبها جيدة ؟ »

فقام فيليب وألقى نظرة على الرسم وقد تعجب في نفسه من رداءته : حتى ظن أن تلك الفتاة لا تبصر اطلاقا . . . ولكنه مع ذلك جاملها بقوله : « وددت لو استطعت ان ارسم هذا الرسم »

ف قالت له : « لا تتوقع ذلك لنفسك وانت ما زلت مبتدئا ! . ان من الغلو أن تأمل اجادة الرسم مثلي وانا التي أمضيت سنتين في دراسة الفن ! »

وقد تعجب فيليب من هذه الفتاة ، فان اغترارها بنفسها فاق كل حد ، وقد لاحظ أن كل زملائها يكرهونها ، ولم يدهشه ذلك لأنها كانت جافة الطبع سليطة اللسان . وما لبثت ان قالت له :

- لقد شكوت فوانيه الى السيدة اوتر فانه يقضي نصف ساعة يفحص رسمها ولا يعير رسمى التفاتة . ولكن لا عجب فانها مديرة الادارة . ولكن الا ادفع انا هنا مصروفات مثل أى طالب او طالبة ؟ !

وتناولت قطعة فحم ثم قذفت بها جانبا وهي تقول :

- لا يمكننى ان افعل شيئا الآن . ان اعصابى ثائرة !

وفي تلك اللحظة جاء فوانيه مع السيدة (اوتر) فجلس الى منصة طالبة

انجليزية تدعى (رث تشاليس) . فلم يقل لها كلاما كثيرا وانما تناول قطعة فحم واخذ يخط بها خطوطا يصحح بها ما رسمته . ثم جاء الى (كلاتون) فوقف لحظة امام منصته ونظر مليا الى رسمه ثم قال : « هذا بديع ! لقد بدأت تتعلم الرسم ! »

فلم يجب كلاتون وانما نظر الى الاستاذ نظرة السخرية وعدم الاكتراث . ثم قال له فوانيه : « لقد بدأت احسب ان بك أثرا من موهبة ! »

ثم جاء فوانيه الى فيليب ، وكان هذا بادی القلق فأرادت السيدة (أوتر) أن تجنبه أية ملاحظة قاسية منه وقالت لفوانيه :

— انه مبتدئ لم يسبق ان درس الرسم وقد جاء منذ يومين !

فقال لها : « هذا ظاهر ! »

ثم أشارت له الى الأنسة برايس قائلة : « وهذه هي الشابة التي حدثتك عنها »

فنظر الى الأنسة برايس نظرة اشمئزاز وقال لها : « لقد شكوت من اننى لا أعيرك الالتفات الكافى . اذن أرينى هذا الرسم الذى تريد منى أن التفت اليه ! »

فبدأ الكدر على وجه فای برايس وصعد الدم الى وجهها الشاحب فصار ازرق اللون . ولكنها لم تجب واكتفت بأن أشارت الى الرسم الذى عملت فيه عدة أيام ، فجلس فوانيه ونظر اليه ثم قال لها :

— ماذا تريد منى ان أقول ؟ . اتحسب اننى سأقول انه رسم جيد ؟ . . انه ليس كذلك ! . . اتحسب اننى سأقول لك انك ترسمين جيدا ؟ كلا ! . اتحسب اننى سأقول لك انه يدل على موهبة ؟ . كلا ! . اتريد منى ان ادلك على مواضع الخطأ فيه ؟ . انه كله خطأ ! . . فهيا مرقيه . اراضية انت الآن ؟ !

فاشتد شحوب وجهها وزاد في غيظها انه قال كل ذلك امام السيدة أوتر . وبرغم أنها قضت مدة طويلة وقد فهمت كل ما قاله فوانيه فانها لم تقدر ان ترد بكلمة . وانما قالت بالانجليزية :

— ليس له حق فى ان يعاملنى هكذا . انى ادفع مصروفات مثل أى أحد آخر . اننى ادفع لكى تعلمنى . وهذا ليس تعلیما !

فسأل فوانيه : « ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟ »

فترددت السيدة أوتر فى ترجمة ما قالت له ولكن برايس سارعت الى القول بالفرنسية : « اننى ادفع لك لكى تعلمنى ! »

فقال : « يا الهى ! . لكننى لا أستطيع ان أعلمك ! . . ان الايسر لى ان أعلم جملا ! »

ثم التفت الى السيدة أوتر وقال لها : « اسألها : أتفعل ذلك بغية التسلية أم تنتظر أن تكسب من ورائه رزقا ؟ »

وكان جواب الأنسة برايس إن قالت : « اننى سأخذ من الرسم مهنة وهنا قال فوانيه : « اذن أرى واجبا على ان اصارك بأنك تضعين وقتك . ليس من المهم أنك عاطلة من الموهبة ، فان الموهبة لا تمشى في الشوارع في هذه الأيام ، ولكن ليس عندك بداية لى استعداد . منذ متى وانت تتعلمين هنا ؟. ان طفلة في الخامسة من عمرها يمكنها بعد درسين اثنين ان ترسم خيرا منك . انى اقول لك شيئا واحدا . . يجب ان تتركى هذه المحاولة التى لا امل وراءها . انك أقرب الى كسب معاشك بالاشتغال خادمة منك بالاشتغال بالرسم ! »

ثم تناول قطعة فحم فتفتت فى يده من الغيظ ، وصار يرسم بها ويتكلم فى آن واحد قائلا لها :

– انظرى . . ان هاتين الذراعين مختلفتا الطول . . وهذه الركبة مضحكة . . انظرى . . انها لا تقف على قدميها !. هذه القدم !

واخذ مع كل كلمة يقولها يرسم خطا حتى صار الرسم التى جهدت فى رسمه اياما لا يعرف له شكل . واخيرا وقف وهو يقول لها :

– خذوها نصيحة منى يا آنسة : جربى حياكة الملابس ففقدت فتلحين فيها !. الساعة الآن الثانية عشرة . الى الاسبوع المقبل !

وجمعت الأنسة برايس ادواتها ببطء ، وتخلف فيليب عن الطلبة عند خروجهم لكى يقول لها كلمة عزاء فلم يجد ما يقوله سوى ابداء الأسف ، فالتفتت اليه بشكل شرس وصاحت :

– هذا انتظرت ؟. اذا احتجت الى عطفك فسأطلبه اليك . ارجو منك ان تغرب عن وجهى !

وحين مرت به وهى تغلق الرسم لم يجد ما يقوله سوى ان يهز كتفيه ومضى يعرج الى مطعم (جرافير) لتناول طعام الغداء !

ولما قص على رفاقه ما كان منها قال له الطالب لوسون :
– انها تستحق ذلك ، انها شرسة جدا !



بين الفن والفقر

لم يجد فيليب المعيشة في باريس رخيصة كما كان يتوقع ، وما وافى شهر فبراير حتى كان قد أنفق معظم المال الذي أعده للدراسة . ومنعته كبرياؤه أن يلجأ الى عمه ، كذلك لم يحب أن تعلم العمه لويزا أنه في ضائقة فتضيق على نفسها وترسل اليه القليل الذي عندها . وكان قد بقيت ثلاثة أشهر على بلوغه سن الرشد فيملك التصرف فيما بقى من ماله ، وكافح في هذه الفترة ببيع الحلوى القليلة التي ورثها عن أبيه

وفي ذلك الحين عرض عليه (لوسون) أن يستأجرا مرسما في أحد الشوارع المتفرعة عن (بوليفار اسبای) . وكان رخيص الاجرة وله غرفة ملحقة به يمكن اتخاذها للنوم ، ولما كان فيليب قبل ظهر كل يوم بالمدرسة فان (لوسون) يمكنه أن يستخدم الرسم وحده وقتئذ ، وكان هذا بعد أن تنقل من مدرسة للرسم الى أخرى ، قد استقر رأيه على أن يستقل بعمله وأن يستأجر نموذجا ثلاثة أو أربعة أيام في الاسبوع . وقد تردد فيليب اول الامر في قبول هذه الفكرة ولكنه ما لبث أن رأى أن نفقة هذا الرسم والمعيشة فيه لن تكون اكثر من نفقة الإقامة بفندق

وهكذا انتقل الاثنان الى ذلك الرسم ، واشتريا سريرين وبضعة كراسي وادوات منزلية . وكان الاثنان فرحين كأنهما طفلان . . وفي اليوم التالي ذهب الى المدرسة متأخرا فوجد فاني برايس في مكانها المعتاد فقال لها : « كيف حالك ؟ »

فردت عليه بغلظة قائلة : « وماذا يعنيك من امرى ؟ »

فقال لها : « لا داعى للشجار فاني انما اردت ان اكون مؤدبا معك ! »

فقالت : « لست بحاجة الى ادبك ! »

فقال : « أترين انه يجدر بك أن تتشاجرى معى ايضا ؟ انه لم يبق هنا

غير قليلين لم تتشاجرى معهم ! »

فقالت له : « هذا شأنى وحدى »

فانصرف الى الرسم قائلا : « صدقت ! » . لكنه اخذ يسائل نفسه : لماذا

تعمد هذه الفتاة دائما الى الشراسة ؟ واراد برغم ذلك ان يذهب عنها سورة الغضب فدعاها الى ان ترى رسمه ولكنها رفضت قائلة :

— الآن وقد ذهب لوسون تريد منى أن اساعدك ! لقد كنت مرتاحا الى مساعدتى اياك حين لم تكن تعرف احدا هنا ، ولكنك لم تكذ تعرف لوسون وغيره حتى رميتنى كقفاز خلق ، انى لا ابالى بك ولكنى لن اكون حمقاء مرة أخرى

فقال لها : « صدقيني . انى ما طلبت اليك نصيحتك الا لعلمى بأن هذا يسرك ! »

فارتاعت من هذه الصراحة وغلبها التأثير فانحدر الدمع على خديها .
واراد ان يعتذر لها . ولكنه خاف ان ترد بغلظتها المعتادة !

ومكثت بعد ذلك اسبوعين او ثلاثة لا تكلمه . وهى تأتى كل يوم الى المدرسة وتعمل فى جد واهتمام ! . . وذات يوم جاءت اليه وحمرة الخجل تملو وجهها وسألته : « هل أستطيع ان اكلمك بعد انتهاء الدرس ؟ »
فأجابها بلطف : « نعم »

ولما خرجا معا ، ومشيا دقيقتين او ثلاثا قالت له : « اتذكر ما قلته لى ذلك اليوم ؟ »

فقال لها : « بالله لاتدعينا نشاجر فان الامر لا يستحق الشجار »

فقالت : « انى لا اريد ان اناشجر معك . لقد كنت الصديق الوحيد الذى لى فى باريس ، وكنت احسبك قد ملت الى ، واشعر بأن هناك شيئا بيننا ، وقد جذبنى نحوك . . . ان بقدمك عرجا ! »

فاحمر وجهه احمرارا شديدا وحاول بالفريزة ان يكف عن العرج فى مشيته ، وكان يكره ان يسمع احدا يشير اية اشارة الى عاهته . وقد أدرك ما كانت تعنيه : لقد كانت عاطلة من الجمال خشنه المظهر فظنت ان عاهته قد تخلق بينهما عطفًا متبادلا ، وغازله ذلك ولكنه كظم غيظه ولم يتكلم ، ثم قالت له :

— لقد قلت انك ما كنت تطلب نصيحتى الا لان ذلك يسرنى ، أفتحسب ان رسمى ردىء ؟

فقال : « اننى لم أر سوى رسمك فى مرسوم امترانو ، ومن الصعب ان احكم على اساسه وحده ! »

فقالت : « لقد كنت أسائل نفسي اتأتى لترى رسومى الاخرى ؟ . . انى لم اطلب الى احد قط ان يلقي نظرة عليها وبودى لو تراها »

فقال لها : « هذا جميل منك ، وانا احب ان ارى رسومك هذه »

وقادته من شارع الى شارع حتى وصلت الى ناحية بها دكاكين رخيصة ، ثم دخلت به بيتا متواضعا ، وصعدا سلما طويلا حتى وصلا الى غرفة تحت السقف ، فلما فتحتها فاجت منها رائحة عفنة ، وكان الجو بها باردا ولا نار فيها ولا وقود ، واثاثها يدل على فقر وعوز . وعلى رف المدفأة فرشاة واللوان وفنجان وطبق قدر ووعاء شاي . ثم جاءت بنحو عشرين رسما وضعتها امامه على كرسى واحدا بعد آخر ، وقالت له : « ألا تعجبك ؟ »

فقال فى هدوء : « أحب أن أراها كلها أولا ثم أقول رأيى ! »

والواقع أنه تولاه الفرع فقد كانت الرسوم كلها على درجة كبيرة من القبح والاضطراب ، وكان الناظر اليها أول وهلة يحسبها من صنع طفلة

فى الخامسة من عمرها . وجعل يعمل فكره ليقول لها كلمة مجاملة وأخيرا قال لها : « انها حقا رسوم بديعة ! »

فاحمر وجهها الشاب قليلا وابتسمت قائلة : « لست بحاجة لأن تمتدحها اذا كانت لم تعجبك ! »

فقال : « بل الواقع انى معجب بها ! »

فسألته : « أليس عندك أى انتقاد لها ؟ » لعل بعضها مثلا أعجبك أكثر من بعضها الآخر ؟ ! »

فاختار رسما منها يمثل منظرا طبيعيا وأراد أن ينتقده ، ولكنها ابتدرته قائلة : « انه أحسن رسم لى ! انى واثقة من فنى . فالفن يوهب ولا يعلم ! »

فقال متلعثما : « الحق أنها كلها رسوم جميلة ! »

ولما كان الوقت قد تأخر بهما ، فقد دعاها الى الخروج معه لتناول الغداء فى مطعم، ولكنها ذكرت له ان عندها طعامها ، وفرح فيليب اذ أتيح له أخيرا أن يغادر تلك الغرفة بعد أن أصابه صدام من رائحة العفونة بها !



فى شهر مارس كان الطلبة يستعدون لارسال رسومهم المختارة لعرضها فى المعرض السنوى . ولم يكن (كلاتون) قد أعد شيئا من رسومه للعرض، ولكنه مع هذا سخر من صورتى رأسين كان (لوسون) قد رسمهما ، لأنهما برغم اتقانهما ، كانا يبدوان كأنهما من عمل طالب مبتدىء ! على أن نسخريته هذه سرعان ما ضعفت حين قبلت الصورتان فى المعرض !

وجرب (فلاناجان) حظه أيضا ، ولكن الصورة التى قدمها لم تقبل ! وأرسلت السيدة (أوتر) الى المعرض صورة سمتها (صورة أمى) . وكانت من الدرجة الثانية لكنها متقنة . فعلقت فى مكان مناسب !

وبعد يومين من ذلك أقام لوسون وفيليب حفلتهما فى المرسوم الخاص بهما ، وكان بين المدعوين اليها : « كلاتون ، وفلاناجان ، وبوتر ، وغيرهم . وتطوعت الانسة تشاليس للقيام بمهمة الطهى . . ومضت الليلة فى أكل وشرب ومرح !

وفى صباح يوم كان خارجا من بيته فناداه البواب قائلا : « ان عندى خطابا لك » . وكان لا يكتب اليه سوى العمة لويزا ، ولكن الخطاب الذى تسلمه كان بخط لا عهد له به . ولما فتحه قرأ فيه ما يلى :

« أرجو أن تأتى فورا حين تتسلم هذا الخطاب . لم أقدر أن أصبر أكثر مما صبرت . أرجو أن تأتى بنفسك فانى لا أطيق أن يلمسنى أحد سواك . وأريد أن تأخذ كل شئ . . لم أجد عندى ما آكله منذ ثلاثة أيام . . ف . . برايس »



فدرو، دف

«ودخلوا الغرفة ، فروعهم المنظر الذي رأوه أمامهم ، فقد كانت الفتاة معلقة بحبل»

وشعر فيليب بخوف يغمره ، لكنه سارع الى البيت الذي تسكنه الفتاة ، وكان له يرها منذ زمن حتى حسبها قد غادرت باريس ورجعت الى انجلترا . ولما وصل الى بيتها سأل عنها البواب فذكر له أنه لم يرها منذ يومين ، فصعد الدرج مسرعا وقرع باب غرفتها . ولكن لم يرد أحد ، ورأى أن الباب مغلق من الداخل فصاح قائلاً : « يا الهى ! » لعلها لم تأت أمرا فظيحا ! . واقترح على البواب أن يكسر الباب فخاف البواب أن يأخذ على عاتقه مسئولية ذلك ورأى ابلاغ الشرطة . فذهبا معا الى قسم البوليس وعادا مع أحد رجاله ومعهم كذلك حداد لفتح الباب . وفى الطريق علم فيليب من البواب أن الآتية برايس لم تدفع أجرة مسكنها منذ ثلاثة أشهر ، وأنها فى عيد رأس السنة لم تقدم له الهدية المعتادة مع جميع الساكنين !

وصعد الاربعة الدرج وقرعوا الباب دون جدوى . وعندئذ أعمل الحداد عدته حتى انفتح ودخلوا الغرفة فروعهم المنظر الذى رأوه أمامهم حتى لقد غطى فيليب عينيه بيديه كيلا يرى ، فقد كانت الفتاة المسكينة معلقة بحبل تدلى من حديدة معقوفة بالسقف وعلى الارض كرسى مقلوب من أثر ركلها . وقطعوا الحبل وأنزلوها فاذا هى جثة هامدة قد فارقتها الحياة من زمن !

maktbtana.com



الفصل الثالث

حيرة وقلق

لم يستطع فيليب أن يبعد تلك الصورة الرهيبة من ذهنه ، وجعل يفكر في عبث الجهاد الذي جاهدته صابرة مثابرة ، لقد كانت واثقة بنفسها كل الثقة ، ولكن الثقة بالنفس قليلة الجدوى ، فان كل أصحابه لهم نصيب كبير منها

انه هو أيضا يجرى وراء هدف ، فهل تراه كذلك مخدوعا ؟ . انه يرسم بعقله على حين يعلم أن الفن الذي يصح أن يسمى فنا لا يكون الا بالقلب ! ولم يبق من الثروة التي ورثها سوى ألف ومستمائة من الجنيهات فكان عليه أن يرعى أدق ضروب الاقتصاد اذ كان يقدر لنفسه أنه لن يستطيع كسب شيء الا بعد عشر سنوات . ان عليه أن يعيش عيشة العوز والحرمان ، وان الغاية التي يستهدفها لجديرة بذلك اذا كان حقا سينتج أثرا فنيا خالدا ، ولكنه يمتلكه الخوف والاشفاق من ألا يصل في المستقبل الى أكثر من مرتبة رسام من الدرجة الثانية . وقد أثار انتحار فاني برايس ، في ذهنه قصص أناس تولاهم اليأس ، وتذكر نصيحة فوانيه تلك الفتاة البائسة ، لقد كان خيرا لها لو اتبعت تلك النصيحة وتركت محاولتها الفاشلة !

وخيل الى فيليب وهو يفكر في هذه الأمور ، أن في الفنانين الموهوبين ، سواء أكانوا رسامين أم كتابا أم موسيقيين ، قوة خفية تدفعهم الى الانهماك في عملهم بشكل يخضع الحياة نفسها للفن ! وانتهى من ذلك كله الى أن قرر اتخاذ خطوة حاسمة في حياته . ومن حسن حظه أن اليوم التالي كان من الايام التي يأتي فيها فوانيه الى المدرسة ، فاعتزم أن يسأله مباشرة ودون لف : أيراه جديرا بأن يستمر في دراسة الرسم ؟

انه لم ينس قط نصيحته لفاني برايس . ولكنها كانت على قسوتها نصيحة سليمة !

ولما ذهب الى المدرسة استغربها لأن فاني برايس لم تكن هناك ! انه الآن بعد موتها أصبح يهتم بها ويفكر فيها أكثر مما كان يفعل وهي على قيد الحياة . وكان يحلم بها في نومه فيستيقظ مذعورا . انه لا يطيق أن يفكر في كل ما تحملته من ألم في سبيل غايتها !

وكان فيليب يعرف أن فوانيه يوم يزور المدرسة ، يتناول طعام الغداء في مطعم صغير بشارع (أوديسا) . فأسرع في تناول طعامه لكي يدركه ، وأخذ يسير رواحاً وجيئة في ذلك الشارع المزدحم حتى أبصره خارجاً من المطعم محنى الرأس قليلاً . وكان فيليب ثائر الأعصاب ولكنه تماثل جأشه وذهب إليه وقال له :

— معذرة يا سيدى أسمح لى أن أحدثك لحظة ؟

ولما رآه مصغياً إليه واصل كلامه قائلاً : « لقد تتلمذت عليك الآن زهاء سنتين ، وأريد أن تصارحنى . هل ترانى جديراً بأن أستمع فى الدراسة؟ » وكان صوت فيليب يرتعش قليلاً ، فمضى فوانيه معه دون أن يتكلم ثم قال له : « لست أفهم ما تريد »

فقال فيليب : « اننى فقير جداً ، فاذا رأيت انى لا أملك الموهبة اللازمة للرسم ، فانى أتركه الى شىء آخر ! »

فسأله فوانيه : « ألا تعزى من نفسك ان كنت ذا موهبة أم لا ؟ » فقال : « ان جميع أصدقائى يحسبون أنفسهم ذوى موهبة، ولكنى موطن أن بعضهم مخطئ ! »

فابتسم فوانيه وقال له : « أتمكن قريباً من هنا ؟ » ولما أخبره فيليب بالجهة التى يسكنها ، قال له فوانيه : « اذن هيا بنا لأرى ما لديك من رسوم »

وقال فيليب متلعثماً : « الآن ؟ ! » فقال فوانيه : « ولم لا ؟ ! » ولم يجد فيليب ما يقوله بعد ذلك ، ومشى صامتاً بجانب أستاذه الكبير، وقد أذهلته هذه المفاجأة إذ كان لا يتوقع أن يطلب هذا رؤية رسومه تواً ، وكان يقصد أن يأتى فى يوم مقبل بعد أن يعد هو رسماً لاثقال يعرضه عليه ولما وصلا الى البيت سلمه البواب خطاباً له فعرف خط عمه القس على الظرف ولكنه لم يفتحه ، وصعد مع فوانيه الى المرسوم فجلس بينما وقف فيليب يعرض عليه رسومه ، وكانت لا تزيد على صورتين لبعض النماذج ، وثلاث صور طبيعية ، وبعض الرسوم النظرية . وأخيراً قال وهو يضحك ضحكة عصبية : « هذا كل ما عندى ! »

فأخرج المسيو فوانيه سيجارة وأشعلها . وفكر لحظة ثم قال له : « تقول ان مواردك المالية قليلة ؟ »

فقال : « نعم ، بل هى قليلة جداً ، فليس لى ما يكفى للمعيشة ! » فقال فوانيه : « ليس هناك ما يحطم نفس الانسان مثل استمرار قلقه على وسائل العيش . اننى أحتقر أولئك الذين يزددرون المال ، فهم اما منافقون أو حمقى . ان المال هو بمثابة الحاسة السادسة التى بغيرها لا يمكن حسن الانتفاع بالحواس الخمس الأخرى ! » وبغير مورد كاف ينتفى نصف إمكانيات الحياة . وقد تسمع الناس يزعمون أن الفقر أقوى حافز للفنان

وكنهم لم يشعروا بعذاب الفقر في أنفسهم . انهم لا يدرون كيف يهوى
الفقر بالانسان ! . انه يعرضه لمهانة لا حد لها ويكسر جناحيه ويلتهم روحه
كالسرطان . وأنا لا أقول بضرورة الثروة ، ولكن لابد من وجود ما يكفي
لحفظ كرامة الانسان وجعله يعمل مطمئنا ويعيش كريما حرا مستقلا . انى
أعطف من كل قلبى على الفنان الذى يعتمد فى معاشه على فنه وحده ! »

فحمل فيليب صوره ورسومه بعيدا وهو يقول : « أخشى أن يكون معنى
ذلك أنك لا ترى أمامى فرصة للنجاح تستحق الذكر ؟ »

فهمز فوانيه كتفيه وقال له : « ان لك مهارة يدوية لا ريب فيها . وبالأجد
والثابرة يمكنك أن تصبح فنانا دقيقا غير عاطل من الكفاءة . وانك لو اجد
مثات من الرسامين يرسمون أسوأ مما ترسم ، ومثات آخرين يرسمون
بمثل اتقانك . غير أنى لم أتبين أية موهبة فى كل ما أريننيه . وانما تبينت
فيه الجد والذكاء . انك لن تكون الا رساما ضئيلا ! »

فقال له فيليب بصوت ضعيف يغلبه الأسى : « انى شاكر لك اهتمامك
بأمرى ! »

وقام فوانيه ليذهب ثم وضع يده فوق كتف فيليب وقال له :
- اذا أردت النصيحة فانى أنصح لك بأن تتذرع بالشجاعة وتحاول
عملا آخر . ان ذلك يبدو قاسيا ولكنى أصارحك القول بأنى أتمنى لو أن
أحدا نصح لى بمثل هذه النصيحة حين كنت فى مثل سنك

فنظر اليه فيليب مندهشا ، ولكن فوانيه ابتسم ابتسامة مرة وقال
بلهجة صارمة : « من المؤلم ألا يعرف الانسان ثقافته الا بعد فوات الوقت ،
وهذا ما يجعله تائر الأعصاب »

وضحك ضحكة قصيرة ثم خرج مسرعا



فى دراسة الطب

تذكر فيليب الخطاب الذى فى جيبه ففض غلافه وقرأ فيه ما يأتى :

« عزيزى فيليب

« آسف لأن أخبرك أن عمّتك العزيزة فارقت الحياة فى باكورة صباح اليوم . لقد ماتت فجأة ولكن فى هدوء تام . وكانت قد ساءت حالتها بسرعة لدرجة أننا لم نجد وقتا لاستقدامك . وكانت على أهبة كاملة لهذه النهاية وقد دخلت عالم الراحة بطمأنينة مستسلمة لمشيئة الرب . ولما كانت تود أن تشترك فى جنازتها فانى موقن أنك ستأتى بأسرع ما يمكنك . وقد ألقى الآن على عاتقى عبء كبير من العمل وأنا واثق أنك ستؤدى كل شئ لى . . . عمك المحب وليم كارى »

وفى الغداة وصل فيليب الى بلاكستيبيل . وكان منذ وفاة أمه لم يمت له أحد وثيق الصلة به . فأحزنه موت زوجة عمه وأدخل فى قلبه شيئا من الرعب . ولم يدر كيف تكون حياة عمه بعد موت زوجته التى أحبته ورعته مدة أربعين سنة . وكان يتوقع أن يراه محطّم القلب قد هده الأسى . ولهذا كان يخشى هذا اللقاء ويعرف أن عمه لن يقول شيئا مفيدا ، واستعد للرد على ما يقوله

ودخل الأبرشية من الباب الجانبى وقصد الى غرفة الطعام فوجد عمه جالسا يقرأ إحدى الصحف . فنظر اليه وقال : « لقد وصل القطار متأخرا ! »

وكان فيليب مستعدا لبدء الحزن ولكن هدوء عمه أذهله . وناوله الجريدة التى يقرأها قائلا : « لقد كتبت (بلاكستيبيل تيمس) فقرة طيبة عنها » فقرأها فيليب بطريقة آلية ، ثم قال له عمه : « أتحب أن تصعد لتراها؟ » فأوماً فيليب بالإيجاب ، وصعد الاثنان الدرج ، وكانت العمة لويزا راقدة وسط سرير كبير وحولها أزهار . ثم قال له عمه : « ألا تحب أن تؤدى صلاة موجزة ؟ »

وركع على ركبتيه فاضطر فيليب الى أن يحذو حذوه . ونظر الى وجه الميتة المجدد ولم يطرق فكره سوى عبث الحياة التى عاشتها ! وبعد دقيقة سعل المستر كارى وقام واقفا . ثم دعا فيليب الى تناول الشاي فى غرفة الطعام ، وجلس القسيس عند أقصى المائدة التى اعتادت زوجته أن تجلس إليها معه ، وصب الشاي دون حفاوة . وعجب فيليب اذ رآه يأكل بشهية، ومكثا ساكتين برهة ثم قال القس :

- لقد تغيرت الأمور كثيرا منذ كنت خوريا . ففي أيام شبابي كان الناس في العزاء يعطون قفازا أسود وقطعة من حرير أسود توضع على القبعة . وكانت لويزا المسكينة تحيك من تلك القطع ثيابا لها ، ولا تفتأ تقول : « ان اثنتي عشرة جنازة تهيب لها حياكة ثوب جديد ! »

ثم أخبر فيليب بأسماء من بعثوا بأكاليل الزهر ، وقال انه سيتولى صلاة الجنازة بنفسه وانه وعد زوجته ألا يدفنها سواء . ثم تذكر الخادمة وقال وهو يقضم فطيرة :

- ان ماري آن تجيد صنع الفطائر . وما أحسب أحدا غيرها يستطيع أن يصنعها مثلها

فسأله فيليب : « هل هي ذاهبة من هنا ؟ » . وكان قد اعتاد أن يرى ماري آن بالكنيسة منذ كان طفلا صغيرا . وقد اعتادت أن تقدم له هدية في كل عيد ميلاد له . وكان يحبها حبا صادقا

فقال عمه : « أجل ، انها ستذهب من هنا . فاني لا أرى ابقاء امرأة مثلها في البيت ! »

- ولكنها تخطت الأربعين من عمرها !

- أجل ولكنها كانت مزعجة في الفترة الاخيرة اذ صارت تميل للانفراد بالرأى وأرى أن هذه فرصة لانذارها بالخروج

- انها ولا شك فرصة نادرة !

وأخرج سيجارة ولكن عمه منعه من اشعالها الى ما بعد الجنازة ، احتراماً للمتوفاة

وبعد الجنازة تناول (جوزيا جريفز) وحارس الكنيسة ومدير البنك طعام الغداء في الأبرشية ، وشعر فيليب بشيء من الارتياح للانتهاء من دفن زوجة عمه ، اذ كانت وهي جثة راقدة في الطابق الأعلى تؤثر في الأحياء بالبيت تأثيرا محزنا

ولما أصبح وحده مع حارس الكنيسة في غرفة الطعام قال هذا له :

- آمل أن تمكث بعض الوقت في البيت مع عمك ، فاني أحسبه لا يستطيع أن يكون وحيدا في الوقت الحاضر !

فرد عليه قائلا : « انى لم أضغ لنفسي خطة بعد ، فاذا كان عمى يريدنى فانى يسرنى أن أبقى ! »

وبعد بضعة أيام أبدى عمه أمله في أن يمكث بضعة أسابيع في بلاكستيل فقال له : « ان هذا يناسبنى تماما ! »

فواصل عمه كلامه وقال : « ستستطيع بعد ذلك أن تعود الى باريس في سبتمبر »

فلم يجب فيليب اذ كان مترددا بين العمل بنصيحة فوائيه وبين الاستمرار

فى دراسة الرسم . وقد أيقن أنه لن ينبغ فى هذا الفن ولكنه كان عنيدا ولم يرد أن يعترف بالهزيمة ويستهدف لسخرية أصحابه منه . ثم ما لبث أن رأى نفسه كارها لباريس وما فيها ، غير مبال ما سوف يقوله أصدقائه عنه ، فكتب الى لوسون يرجو منه أن يرسل اليه جميع حوائجه فأرسلها اليه !

وكان عمه تواقا لأن يرى الصور التى رسمها فأطلعه عليها وهو يفرغ خقائبه . واذا كان قد عارض كثيرا فى ذهابه الى باريس ودراسته الرسم فانه الآن قد استسلم للأمر الواقع . وجعل يسأل فيليب عن حياة الطلبة . وكان فى الواقع يشعر بشيء من الفخر لأن ابن أخيه رسام وصار ينظر باهتمام الى صور النماذج التى رسمها . وما لبث أن قال له :

— ما دمت لا تجد هنا شيئا تفعله فلعلك ترسمنى ؟
— ألا يضايقك الجلوس أمامى مدة طويلة ؟
— بل أحسب ذلك من دواعى التسلية !
ولما ألح عليه صارحه بأنه ترك الرسم . فدهش عمه وسأله عما دعاه الى ذلك فأجاب قائلا :

— لقد أيقنت أنى لن أكون الا رساما من الدرجة الثانية
— انى فى عجب منك ! . فانك قبل أن تذهب الى باريس كنت موقنا أنك عبقرى !

— لقد كنت مخطئا
— كنت أحسبك قد اتخذت لنفسك مهنة تفخر بها . ان ما ينقصك هو خلق المثابرة !

فلم يجب فيليب واستنورد عنه يقول :
— انك لم تعد غلاما . ويجب أن تستقر . ان شئونك المالية لم تعد تعيننى فانت الآن سيد نفسك . ولكن يجدر بك أن تعلم أن ما بقى لك من مال لا يكفيك العمر كله . ثم ان عاهتك لا تسهل لك كسب العيش
وكان فيليب قد اعتاد من كل من يتكدر منه أن يعيره بعرجه . ولكنه اعتاد كذلك ألا يبدى كثير اهتمام بذلك . فقال لعمه :

— لقد صدقت اذ قلت انى أصبحت سيد نفسى الآن
— ولكن ينبغى لك أن تعترف أنى كنت على حق حين عارضت فى ذهابك الى باريس لتدرس الرسم
: — ان الانسان يتعلم من الخطأ الذى يقع فيه أكثر مما يتعلم من الصواب الذى يفعله

— ان خير ما تفعله الآن هو أن تدرس مهنة أبيك وتصبح طبيبا
— من العجيب أن هذا بالضبط ما عزمتم عليه !

ملدرید

كان الامتحان الذى أداه فيليب عند بدء التلمذة لمهنة المحاسبة ، مؤهلا كافيا لقبوله فى كلية الطب ، وقد اختار كلية (سانت لوك) لأن أباه كان طالبا بها . واستأجرا مسكنا له فى منزل حقير على مقربة من المستشفى . وكانت فكرة فيليب عن طلبة الطب مبنية على ما صوره (ديكنز) فى بعض مؤلفاته فى منتصف القرن التاسع عشر ، وسرعان ما رأى أن (بوب سوير) اذا كان قد وجد فعلا فانه يختلف كل الاختلاف عن طلبة الطب فى العصر الحاضر !

لقد كانوا خليطا لا يخلو من الكسلان والمتهور ، وهم يحسبون دراسة الطب أمرا هينا ، وكانت موارد بعضهم تنتهى قبل أن يتموا الدراسة ، اذ يأبى أهلهم أن يستمروا فى الانفاق عليهم ، وهناك آخرون يجدون الامتحانات أصعب مما حسبه فيفقدون تكرر الرسوب ثقتهم بأنفسهم حتى اذا مثلوا أمام لجنة الامتحان نسوا كل ما حفظوه من قبل ، وبعدئذ يبقون سنة بعد أخرى موضع سخريه الطلاب الجدد ، ومنهم من يتحول الى دراسة الصيدلة ، أو يختصر الطريق ويعمل مساعدا لطبيب ، وهو مركز لا يحتاج لمؤهلات ، وشاغله تحت رحمة من يستخدمه

على أن أكثر طلبة الطب هم فى العادة مجدون وينتمون الى الطبقة الوسطى ، فلهم موارد تكفى لأن يعيشوا العيشة المحترمة التى ألفوها . وكثير منهم أبناء أطباء نشأوا فى بيئة طبية . ومستقبلهم مضمون فانهم ما يكادون يؤدون الامتحان النهائى حتى يعينوا فى بعض المستشفيات (وربما يتلو ذلك رحلة الى الشرق الأقصى لممارسة الطب فى السفن) ، ثم يلحقون بآبائهم ويقضون بقية حياتهم فى عيادات بالريف . وقد ينبغ واحد أو اثنان منهم ويكسبان جوائز مع حق مواصلة الدراسة للتخصص ، وبعد ذلك يفتح كل منهما عيادة فى شارع هارلى ويصبحان من البارزين الاغنياء ذوى الألقاب !

اتخذ فيليب اذن مسكنه فى ذلك البيت ورتب كتبه وعلق ما عنده من صور ورسوم . وكان يعيش فى المسكن الذى فوقه طالب طب بالسنة الخامسة يدعى (جريفيث) ولكن فيليب كان لا يراه الا قليلا ، لأن هذا كان مشغولا بالعمل فى أقسام المستشفى من جهة أخرى لأنه من خريجي جامعة او كسفورد وكان الطلبة الذين تخرجوا فى جامعات يجتمعون معا بمعزل عن الآخرين ليشعروا الآخرين الذين لم ينالوا ذلك الحظ بأنهم أقل منهم شأنًا . وكان جريفيث شابا طويل القامة ذا شعر أحمر أجعد

وعينين زرقاوين وبشرة بيضاء وشفقتين حمراوين . وكان من أولئك المجدودين الذين يحبهم كل من يتصل بهم إذ كان دائم الاستبشار والمرح . وكان يعزف على البيانو ويغنى بعض الاغانى الفكاهية . وكان فيليب وهو يطالع فى غرفته الموحشة يسمع ضحكات حريفيث وأصدقائه فى الطابق الأعلى ، فذكره ذلك بأصبيات سارة فى باريس إذ كان يجلس فى المرسى مع لوسون وفلانا جان وكلاتون

وقد تعرف فيليب فى الكلية الى كثير من الزملاء ولكن دون أن يوطد الصلة بهم . وخيل لهم أنه بدأ يعيد التجربة القاسية التى مر بها بالمدرسة فى صغره من حيث انفراده بنفسه وعدم الاختلاط برفاقه ، ولا سيما أن دراسة الطب تتيح الوحدة لمن يريد

ولم يلتبس فيليب صداقة (دنز فورد) وإنما سعى الأخير اليه إذ كان أول من عرفه فى كلية الطب . ولم يكن لدنزفورد أصدقاء فى لندن فصار يذهب مع فيليب مساء كل يوم سبت الى إحدى قاعات الموسيقى أو أحد المسارح . وكان قليل الذكاء ولكنه طيب القلب ، واسع الصدر ، لا يشعر قط باهانة . . . وقد جعل فيليب منه أضحوكة ولكنه مع ذلك مال اليه لسداجته ولطف معشره !

وكانا كثيرا ما يتناولان الشاي بمشرب فى شارع البرلمان ، لأن به ساقية (جرسونة) أعجب بها دنزفورد . ولم ير فيها فيليب شيئا جذابا فقد كانت طويلة القامة نحيفة الجسم ولها صدر كصدر غلام . . . وقال فيليب لصاحبه باحتقار : « لو كانت فى باريس لما نظر اليها أحد ! »

فقال دنزفورد : « ان لها وجها فاتنا ! »

فرد عليه قائلا : « ماذا يجدى الوجه وحده ؟ »

وكان لها ملامح منتظمة وعينان زرقاوان وحاجبان عريضان منخفضان مما كان الرسامون فى عهد فكتوريا ، أمثال اللورد ليتون وألما وتادما وكثيرون غيرهم ، يحسبونه الطراز الأمثل للجمال الاغريقى . وكان لها شعر غزير تعنى بعقصه ، كما كانت بشرتها رقيقة لونها أمليل الى الخضرة دون حمرة فى خديها . وكان لها أسنان جميلة منتظمة . وتحرص على ألا يفسد العمل جمال يديها الصغيرتين البضتين ، وكانت تمارس عملها بشكل يدل على الضجر !

ولم يكن دنزفورد جريئا مع النساء ، ولم ينجح قط فى فتح باب الحديث معهن ، فطلب الى فيليب أن يساعده فى التعرف الى تلك الفتاة وقال له : « ان كل ما أحتاج اليه هو البداية وبعدئذ يمكننى أن أسلك الطريق ! »

وأراد فيليب أن يسره فأبدى لتلك الساقية بعض الملاحظات ولكنها لم ترد الا بالفاظ مقتضبة . ولحظ (دنزفورد) أنها تغير التفاتها رجلا ذا شارب كثيف . يبدو عليه أنه المانى ، كلما جاء الى المشرب ، فعندئذ لا تأتى اليهما

لا اذا نادياها مرتين أو ثلاثا . وكانت تعامل الزبائن الذين لا يعرفهم ببرود وتبجح ، واذا كانت تتحدث مع صديق لها أهملت الزبائن الآخرين . وكانت تعامل النساء بتلك الطريقة نفسها دون أن تدع لهن مجالا للشكوى منها !

وفى أحد الايام قال (دنزفورد) لفيليب : « ان اسم تلك الفتاة هو ملديريد » فقال له : « ما أشنعه اسما ! »

– لماذا ؟ انى أراه اسما محببا

– انه يدل على الادعاء والغرور

وفى أحد الايام لم يأت صديقها الالماني فلما أحضرت الشاى لهما قال فيليب وهو يبتسم : « ان صديقك ليس هنا اليوم »

فردت ببرود : « لا أدري ماذا تعنى ؟ »

فقال : « أعنى ذلك الرجل ذا الشارب الكثيف . هل تركك الى آخرى ؟ »

فقالت له : « ان بعض الناس يحسنون صنعا اذا شغلوا بشئونهم الخاصة عن شئون غيرهم ! »

وتركتها وذهبت . ولما لم يكن هناك زبائن تخدمهم فقد جلست على مقعد تقرأ جريدة مسائية كان أحد الزبائن قد تركها . فقال دنزفورد لفيليب : « من الحماسة أن تدعها تدير لنا ظهرها هكذا ! »

– انى فى الحقيقة لا أكثرث لعمودها الفقرى !

ولكن فيليب كان فى الواقع فى غيظ شديد . ولما جاءت أحيرا لتقبض ثمن ما شرباه ابتسم لها قائلا : « هل نحن متخاصمان ؟ »

فقالت : « انى هنا لتلقى طلبات الزبائن وخدمتهم ، وليس عندى ما أقوله لهم ، ولا أريد منهم أن يقولوا لى شيئا ! »

وتركت ورقة الحساب ثم مضت الى الكرسي الذى كانت جالسة عليه ، بينما اشتد به الكدر حتى احمر وجهه . وقال له دنزفورد : « هذه لطمة لك يا كارى ! »

فقال له : « انى لا أبالى هذه المرأة الحمقاء . ولن أعود الى هذا المشرب ثانية ! »

وكان تأثيره كافيا لأن يغرى صاحبه بالذهاب الى مشرب آخر فى الايام التالية ، وسرعان ما وجد دنزفورد فتاة أخرى يغازلها . ولكن الاهانة التى لحقت بفيليب من تلك الفتاة كانت أعيق من أن تنسى . ولو أنها عاملته بأدب لما اهتم بها كثيرا ، ولكن من الواضح انها كانت أدنى الى كرهه وقد جرح هذا كبرياءه . ولم يطق صبرا حتى يحاسبها حسابا عسيرا وحاول جهده أن يرد هذا الخاطر عن ذهنه ولكن دون جدوى ، وبعد أن تأخر ثلاثة أيام أو أربعة على الانقطاع عن ذلك المشرب أثر أن يذهب اليه ليراها ، وبعدئذ ينساها بقية العمر . وخجل أن يصارح دنزفورد بما يعتزمه واعتذر له

بأنه على موعد بعد الظهر . وذهب توا الى ذلك المشرب الذى كان قد آلى على نفسه أن لا يدخله قط ورآها حين دخل وجلس الى احدى الموائد ، وكان يتوقع منها أن تبدى أية اشارة الى انقطاعه منذ أسبوع ، ولكنها لما جاءت لتلقى طلبه لم تقل شيئا ولم يبد منها ما يدل على أنها رآته من قبل . ! وأراد أن يستوثق من أنها لم تنسه فلما وضعت صحيفة الشاى أمامه سألها :

— ألم يأت صديقى هذا المساء ؟

فقالت : « كلا ! . انه لم يأت منذ بضعة أيام ! »

وأراد أن يتخذ من ذلك بداية للحديث معها ، ولكنه كان ثائر الاعصاب ولم يجد ما يقوله ، وهى أيضا لم تدع له فرصة للحديث فتركته توا . وبعد حين أراد أن يدفع حسابه فلما جاءت قال لها : « ان الجو ردىء . أليس كذلك ؟ »

فقالت : « لست أكثرث للجو ما دمت طول اليوم هنا ! »

وكان فى صوتها صلف زاد فى غيظه وأراد أن يسخر منها بالفاظ لاذعة ولكنه كظم غيظه وقال لنفسه : « حبذا لو قالت لى شيئا خارجا عن حد الأدب ، فأشكوها وأنتقم منها ! »

ولم يستطع فيليب أن يبعد صورتها عن ذهنه ، وصار يضحك من نفسه غاضبا من حماقته ، فقد كان من الجهالة حقا أنه يهتم هذا الاهتمام بساقية مصابة بفقر الدم (الانيميا) ، ولكنها أهانته . وإذا كانت هذه الإهانة لا يعلم بها سوى دنزفورد — ولا شك أنه نسىها — فانه مع ذلك لن يطمئن بآله حتى يمحو تلك الإهانة . وقد عزم أن يذهب الى ذلك المشرب كل يوم . ولم يفته أنه ترك لنفسه عندها أثرا سيئا ، ولكنه حسب أن له من الكياسة ما يجعله يزيل ذلك الأثر . وقد آلى على نفسه أن يحرص فى كلامه حتى لا يخدش احساسها !

ولقد اتبع ذلك بحذافيره ولكن دون جدوى ، فكلما دخل المشرب وحياتها تحية المساء ردت التحيات بمثلها ، ولما ترك التحية عمدا ليرى ما تقوله . لم تقل شيئا ، وقد أخذ يسبها فيما بينه وبين نفسه سبابا لا يقال عن امرأة فى بيئة مهذبة وصار بدلى اليها بطلباته وهو صامت عابس وقد عزم ألا يوجه اليها كلمة ، وصار يعادر المحل دون أن يحييها تحية المساء المعتادة . وكان يعد نفسه ألا يعود الى هناك لكنه لا يلبث حتى يأتى فى اليوم التالى . وصار مشتت الذهن لا يقدر أن يفكر الا فى تلك الفتاة . ثم يقول لنفسه :

— لا ضير فى أن أذهب الى هناك ما دمت أريد الذهاب !

واستمر يجاهد نفسه حينا حتى اذا وافت الساعة السابعة مساء دخل المشرب وجلس الى احدى الموائد . فقالت له : « حسبتك غير قادم »

فأحس قلبه يقفز بين ضلوعه واحمر وجهه وأجاب : « كنت مشغولا ولم أقدر أن آتى قبل الآن ! »

فسألته : « أنت طالب ؟ أليس كذلك ؟ »

فقال : « أجل » . ولكنها لم تزد ، وكأن هذا الحوار الموجز قد أشبع فضولها فانصرفت ، ولما لم يكن هناك زبون تخدمه فقد جلست تقرأ فى رواية صغيرة ، وكان ذلك قبل أن تظهر طبقات رخيصة من الروايات المشهورة . وكان هناك مدد دائم من الروايات الرخيصة يكتبها مؤلفون بائسون ليقرأها أنصاف الأميين !

وكان فيليب مبتهجا فقد بادأته الكلام ، ورأى أنه قد قرب الوقت الذى يصارحها فيه برأيه فيها ، وكان لا يريح أعصابه إلا أن يبدى لها كل احتقاره . ونظر إليها فأيقن أن وجهها جميل حقا ، ولكنه وجه بارد كالرخام لا أثر فيه لعاطفة . وكانت بشرتها ذات الحضرة الباهتة تنبىء عن اعتلال صحتها . وكانت جميع الساقيات يرتدين زيا موحدا ويشمل ثوبا أسود عليه منزر أبيض وطرفان أبيضان للكمين وقلنسوة بيضاء كذلك . وأخرج من جيبه ورقة وأخذ يرسمها وهى جالسة تقرأ فى الرواية (وكانت تحرك شفيتها بالكلمات التى تقرأها ٠٠٠) ، ثم ترك هذا الرسم على المائدة حين خرج

ولما عاد فى اليوم التالى، ابتسمت له وقالت : « لم أكن أعرف أنك ترسم ! » فقال لها : « لقد كنت أدرس الرسم فى باريس مدة سنتين ! » فقالت : « لقد أطلعت المديرية على الرسم الذى تركته الليلة الفائتة فأعجبت به . هل كنت أنا المقصودة به ؟ »

maktbtina.com

فقال : « أجل »

ولما ذهبت لتحضر الشاي جاءت اليه ساقية أخرى وقالت له : « لقد رأيت الرسم الذى رسمته للآنسة ملديرد . انه صورة لها طبق الأصل ! » وكانت هذه أول مرة عرف فيها اسم الفتاة ، فلما أراد دفع الحساب ناداها به فقالت له : « أراك تعرف اسمي ؟ » فقال : « لقد أخبرتنى به زميلتك ! »

فقات : « انها تريد منك أن ترسمها . ولكن لا تفعل . فانك اذا وافقتها لم تخلص منهن جميعا ! » ثم أردفت قائلة :

— أين صديقك الشاب الذى كان يأتى معك ؟ هل سافر ؟

— عجيب أن تتذكره !

— لقد كان شابا وسيما !

فشعر فيليب بشعور غريب لم يعرف كنهه . ورأى نفسه يحسد (دنزفورد) على وسامته . ثم قال لها ضاحكا : « انه مغرم باحدى الفتيات الحسان ! »

وفى اليوم التالى تولاه قلق ، وفكر فى أن يتناول طعام العشاء فى ذلك المشرب ، ولكنه خاف أن يكون مزدحما بالزبائن فلا تتاح له فرصة للتحدث

مع ملديريد . وكان قد نجح في التخلص من دنزفورد وصار يذهب وحده الى المشرب عند منتصف الساعة الرابعة بعد ظهر كل يوم . ولكنه رأى ملديريد وقد أدارت له ظهرها اذ كانت تتحدث مع ذلك الرجل الالماني الذي انقطع عن المجيء منذ أسبوعين . وكانت تضحك من شيء يقوله لها ذلك الرجل ، وآلمه ذلك وناداه مرتين فلم تجب فاشتد به الغضب وقرع المائدة بعصاه وعندئذ جاءت اليه عابسة ، فقال لها : « كيف حالك ؟ »

ف قالت : « يبدو أنك على عجل ؟ » ونظرت اليه نظرة التبعج التي يعرفها منها حق المعرفة . فقال لها : « ماذا دهاك ؟ »

- هل تريد شيئا ؟

- أريد شايًا وكعكا !

واشتد كدره منها وكان معه جريدة (ستار) . فلما جاءت بالطلب تغافل عنها بقراءة تلك الجريدة . ثم قال لها : « أريد حسابي الآن حتى لا أزعجك مرة أخرى ! »

فكتبت مبلغ الحساب على رقعة الورق وتركتها على المائدة وعادت الى حيث كانت تجلس مع صديقها الالماني . وأخذت تتحدث معه باهتمام ظاهر . وكان رجلا متوسط الطول ، له رأس مستدير كمواطنيه ، ووجه شاحب وشارب كثيف الشعر ، وقد تدلت على بطنه سلسلة ذهبية سميكه . وخيل الى فيليب أن الساقيات الاخريات يرددن البصريينه وبين ملديريد وصديقها الالماني ويتغامزن . وشعر بأنهن يضحكن منه ، فغلي الدم في عروقه . وفي تلك اللحظة أبغض ملديريد من كل قلبه . وأدرك أن خير ما يفعله هو أن ينقطع عن المجيء الى هذا المشرب ، ولكنه لم يطق فكرة الهزيمة وصار يفكر في طريقة يظهر بها احتقاره لها !

وفي اليوم التالي جاء فجلس الى مائدة أخرى وطلب الشاي من ساقية غيرها . وكان صديق ملديريد هناك وهي تتحدث معه دون أن تعير فيليب التفاتا . ولما خرج أخيرا مر بها ونظر اليها كأنه لم يرها من قبل . وكرر ذلك ثلاثة أيام متوالية ، وقد ظن أنها لا تلبث حتى تقول له شيئا وتسأله لماذا لا يجلس الى احدي موائدها ، وأعد لذلك جوابا يبدى فيه كل بغضه لها . لقد كان يعرف أن من الحق أن يهتم بها كل هذا الاهتمام ولكنه أمر فوق ارادته . لقد غلبته مرة أخرى . وانقطع الالماني عن المجيء ولكن فيليب ظل يجلس الى مائدة خارجة عن نطاقها ، فلم تلتفت اليه ، حتى أدرك أخيرا أنها لن تكثر له وان استمر على ذلك الى يوم القيامة ! . وقال يحدث نفسه : « اننى لم أنته بعد ! »

وفي الغد جاء فجلس في كرسية القديم حتى اذا جاءت لتلقى طلباته حياها تحية المساء كأنه لم يقاطعها أسبوعا كاملا . وكانت ملامحه لا تنم عن اضطراب ولكن قلبه كان يدق دقا سريعا . وفي ذلك الحين كانت الروايات الهزلية الموسيقية قد بدأت تجذب الجمهور ، فكان موقنا أن

ملدريد تود نو تشاهد احداها ، فقال لها فجأة : « انى أسألك نفسى ألا تحبين أن تتناولى العشاء معى ليلة من الليالى ثم نذهب لمشاهدة رواية (حسناء نيويورك) . سأشتري تذكرتين ؟ »

ف قالت بدون اكتراث : « لا مانع ! »

فسألها : « متى تأتين ؟ » . فقالت : « انى عادة أخرج مبكرة مساء كل يوم خميس ! »

واتفقا معا . وكانت ملدريد تعيش مع خالة لها فى (هيرن هيل) ، فاقترحت أن تقابله فى غرفة انتظار الدرجة الثانية بمحطة فكتوريا ، ولم تبد أى سرور بالدعوة ولكنها قبلتها وكأنها تسدى اليه جميلا !

وجاء فيليب الى محطة فكتوريا قبل نصف ساعة من الموعد الذى حددته ملدريد وجلس ينتظر فى غرفة الانتظار الخاصة بالدرجة الثانية ، ولكنها لم تأت ! . فبدأ يقلق ، ومشى فى المحطة يرقب القطارات القادمة من الضواحي ثم ذهب الى غرفة الانتظار الاخرى فدهش اذ وجدها هناك وقالت له حين رآته :

– لقد كنت أهم بالذهاب !

– ولكنك ذكرت اننا نتقابل فى غرفة انتظار الدرجة الثانية !

– لم أقل شيئا من ذلك . وكيف أجلس فى غرفة الدرجة الثانية اذا كان يمكننى أن أجلس فى غرفة الدرجة الأولى ؟

وكان فيليب موقنا أنه لم يخطئ ولكنه مع هذا لم يعترض ! . ثم نادى عربة وركب معها الى مطعم (أدلفى) وهناك جلسا الى مائدة فنظرت حولها نظرة الرضا وقد سرتها الاغطية الحمراء التى حول الشمعدانات الموضوعة فوق الموائد والزينة المذهبة على الجدران والمرايا وغيرها مما أضفى على القاعة مظهرا فخما . فابتسمت لفيليب وقالت له « لم آت الى هنا من قبل ! »

وخلعت معطفها وكانت مرتدية ثوبا أزرق مفتوحا فتحة مربعة عند الرقبة وكان شعرها مرتبا بكثير من العناية . وطلب شمبانيا فلما جاء بها الساقى لمعت عيناها سرورا

ولم يذر الحديث بينهما سهلا لأنها لم يكن لديها كثير تقوله . وكان فيليب متوتر الاعصاب لشعوره بأنه لا يسليها ، وصارت تصغى دون اهتمام الى ملاحظاته وتردد بصرها فى الجالسين الى الموائد الاخرى وكأنها غير مكترثة له . وقال نكتة أو نكتتين ولكنها حملتهما محمل الجد . . وانما بدا عليها الاهتمام مرة حين تكلم عن السباقات اللاتى يشغلون معها فى المشرب . وكانت تمقت المديرية فحدثته عن فعالها معها !

ولما انتهى من تناول طعام العشاء ذهب الى المسرح ، وكان فيليب كثير الثقافة فتتبع الرواية الفكاهية باختقار وقد رأى نكاتها مبتذلة وموسيقاها عادية ، وخيل اليه أن مسارح باريس تزيد أمثال هذه الرواية اتقاناً ،

ولكن ملدريد كانت شديدة السرور والمتعة وصارت تضحك حتى يوجعها جنبها ثم تصفق بأشد ما تستطيع عند ختام كل فصل . وقالت له بعد الفصل الأول : « هذه سابع مرة أشهد فيها هذه الرواية . ولست أكره أن آتى سبع مرات أخريات ! »

وقد اهتمت بالسيدات الجالسات في المقاعد الأخرى ولم تعجبها واحدة منهن . . . وكلما تكلمت عن أحد قالت عنه كلمة سوء . وكان فيليب قلقا اذ حسبها ستنبئ رفيقاتها غدا بأنها خرجت معه وأنها ضجرت منه أشد الضجر . لقد أبغضها ومع ذلك كان لا يدرى لماذا يحب أن يكون برفقتها! . وفى أثناء عودتهما قال لها : « آمل أن تكونى مسرورة »

فقالت : « انى مسرورة جدا ! » . ولما سألها : « أخرجين معى مساء يوم آخر ؟ » . قالت : « لا مانع ! » . ولم يسمع منها خيرا من مثل هذا التعبير . . . ولهذا كاد يجن لعدم اكترائها له !

ولما أوى الى فراشه لم يستطع أن يصدق أنه مغرم بملدريد روجرز . . . وراح يحدث نفسه بأن اسمها نفسه مضحك وبأنه لا يعدها جميلة وقد كره شدة نحولها . ولحظ فى هذه الليلة بالذات كيف أن عظام صدرها تبرز من ثوب المساء . وأخذ ينقد ملامحها تفصيلا فلم يعجبه شكل فمها واشماز من لون بشرتها الدال على المرض . واستعاد ضحكها المبتذلة من نكات الرواية الفكاهية . وتذكر قلة تهذيبها وكثرة وقاحتها حتى لقد كان يود لو يلطمها أحيانا على أذنيها . وبغته تذكر هاتين الأذنين الدقيقتين الجميلتين فأحس شوقا الى الفتاة وجعل يفكر فى احتضان جسمها النحيل وتقبيل فمها الشاحب ولمس خديها المخضرين بأصابعه . لقد كان يريد لها !

كان من قبل يحسب أن الحب شعور يغمر الانسان فيجعله يرى العالم كله ربيعا والحياة كلها سعادة ، ولكن ما يشعر به بعيد عن السعادة فانه لم يكن الا جوعا تحسه روحه وصبوا أليما وعذابا مرا ، مما لم يعرفه من قبل . وحاول أن يعرف متى أحس هذا الشعور أول مرة ولكنه لم يعرف ، وانما تذكر أنه بعد أن ذهب مرتين أو ثلاثا الى المشرب الذى تعمل فيه صار يشعر بألم فى قلبه كلما دخل المشرب ، وتذكر أنه كلما كلمته أحس كأن نفسه ينقطع ، واذا تركته تملكته التعاسة واذا عادت اليه تولاه اليأس !

وتمدد فى سريره ، وعجب من نفسه كيف يطيق كل هذا الألم الممض الطويل !



الهزيمة في الحب

اشترى فيليب تذكرتين لدخول المسرح مساء السبت ، ولم يكن من الأيام التي تخرج ملدريد فيها مبكرة من المشرب فتجد وقتا للذهاب الى البيت وتغير ملابسها. ولكنها كانت قد وعدت بأن تأخذ معها الى المشرب في الصباح ثوبا ترتديه حين تغادره في المساء . وقدرت انها تستطيع الانصراف منه في الساعة السابعة اذا كان مزاج المديرة معتدلا . فاتفقت مع فيليب على ان ينتظروها امام المشرب منذ الساعة السابعة والربع

وانتظر هو هذه المقابلة بصبر نافذ ، وقد اعتزم ان يقبلها في العربة التي تقلهما من المسرح الى المحطة ، وكانت العربة تسمح للراكب بأن يحيط رفيقته بذراعه (وهي ميزة لعربة الركوب على سيارة التاكسي في عصرنا الحاضر) ، وكانت تلك المسرة توازي ما ينفقه في تلك الليلة !

وفي عصر اليوم الموعود توجه الى المشرب ليتناول الشاي ويؤكد ذلك الموعد ، ففوجيء لدى وصوله برؤية ذلك الالماني ذي الشارب الكثيف خارجا من المشرب ، وكان قد عرف انه يدعى (ميللر) وانه تجنس بالجنسية الانجليزية بعد ان عاش سنوات عديدة في انجلترا ، ثم سعه يتكلم باللغة الانجليزية باتقان وطلاقة كما لو كان انجليزيا أصيلا . وكان فيليب موقنا انه يغازل ملدريد ، ويشعر بغيرة شديدة منه ، على انه كان قد اطمأن الى ما لمسه من برود طبعها وحمود عاطفتها ، وقدر ان منافسه ليس موقفه منها خيرا من موقفه ، ومع هذا خشي ان يؤثر مجيء ميللر المفاجيء في لقائهما الموعود الذي اشتد اليه شوقه ، فدخل المشرب وجلا ، وسارعت هي اليه بالشاي الذي طلبه وقالت له :

— انى شديدة الأسف ، لاني لا أستطيع ان اخرج معك الليلة !

وسألها : « لماذا ؟ » فضحكت وقالت له :

— لا تكن عبوسا الى هذا الحد ! . ان الامر ليس بيدي . لقد مرضت خالتي في الليلة الماضية ، وعلى ان امضي الليلة عندها لأسهر على راحتها ، فالיום هو موعد الراحة الاسبوعية لخادمتها ، ولا يصح ان اتركها وحدها . أليس كذلك ؟

فقال لها : « لا بأس ! . سأوصلك الى مسكن خالتك بدلا من المسرح »

وسكتت هي قليلا، ثم سألته : « ألم تشتري التذكرتين لدخول المسرح ؟ . . »

وهنا اخرج التذكرتين من جيبه ومزقهما أمامها ، فقالت له : « لماذا فعلت

ذلك ؟ »

فقال لها : « اتحسين انى اذهب وحدى لنساهدة كوميديا موسيقية سخيفة؟! .. انى به اشتر التذكربين الا لاحلك ! »

فاطرت هنيهة ثم قالت : « لكن ليس فى الامكان ان تصحبنى الى البيت! » فابتسم ساخرا وقال : « لماذا ؟ هل فى ذلك ما لا يتفق مع برنامج آخر ؟ » فبان الكدر والضجر فى وجهها وقالت له :

— ماذا تعنى ؟. انك انانى متل غيرك لا تفكر الا فى نفسك! .. هل ترانى أخطاء لان خالتى مرضت فجأة ؟

ثم كتبت حسابه على رقعة الورق وتركته !

وكان فيليب لا يعرف الكثير عن النساء ، ولولا ذلك لآثر ان يتقبل منها مثل هذه الاكذوبة . فنهض وانصرف بعد ان دفع الحساب ، وفى عزمه ان يراقبها ليتحقق خروجها مع صاحبها الالمانى !

ومنذ الساعة السابعة وقف على الرصيف المواجه للمشرب ، ومضت عشر دقائق دون ان يظهر الالمانى . ثم بدت هى خارجة من المشرب ، وقد ارتدت المعطف الذى كانت ترتديه حين ذهب بها الى مسرح شافتسبورى . وكان واضحا انها ليست ذاهبة الى بيتها . وابصرته قبل ان يجد وقتا للذهاب ، فجفلت لحظة ثم ذهبت اليه وقالت له : « ماذا تفعل هنا ؟ »

فقال : « لا شىء! .. انى اشم الهواء النقى هنا ! »

فقالت محتدة : « انك تتحسس عا ايها الوغد القدر الصغير . لقد كنت احسب انك جنتلمان ! » maktbtina.com فصعد الدم الى وجهه ولكنه اجاب فى هدوء : « هل حسيت ان اى جنتلمان يرضى ان يهتم بمثلك ؟ »

فقالت : « ان من حقى ان اغير راىى اذا اردت . ولست مرغمة على الخروج معك . انى اقول لك انى ذاهبة الى البيت ولا احب ان يتبعنى او يتجسس على احد ! »

وهنا سألها : « هل قابلت مبلر اليوم ؟ »

فقالت : « ليس هذا من شأنك . والواقع انى لم اقابله ، وهكذا اخطأت مرة اخرى ! »

فقال : « لكنى رايتيه بعد ظهر اليوم خارجا من المشرب ! »

فقالت : « حسنا! .. وماذا فى ذلك ؟ ان لى ان اخرج معه متى شئت ولا ادرى ما شأنك فى هذا ؟ »

فقال : « انه يدعك تنظرينه . أليس كذلك ؟ »

فقالت : « انى اوثر ان انتظره على ان تنظرنى انت! .. فضع هذا فى ذهنك وافهمه .! والآن هيا عد الى بيتك ولا تتدخل فى شئون غيرك فى المستقبل ! » وتبدل غضبه بأسا . وقال لها بصوت مرتعش :

— لا تعاملينى بهذه القسوة !.. انك تعلمين انى احبك من كل قلبى . الا
تغيرين راىك ؟. لقد كنت اتوق الى قضاء هذا المساء معك . أنظرى : ان
صاحبك لم يأت وهو لا يكثرث لك اطلاقا . سأشترى تذكرتين آخرين
ونذهب الى اى مكان يعجبك !

فقلت : « لا يمكن ان اذهب معك ، ولا فائدة لك من الكلام ! »

ونظر اليها وقلبه يتمزق من الالم ، وراى الناس يمرون بهما على الرصيف
والعربات تمضى بجلبه وراها تنظر بعينها خشية ان يفوتها بللر اذا جاء .
فقال لها :

— لا يمكنى البقاء هكذا . انه امر مهين . وانا اذا ذهبت الآن فلن ترىنى
ابدا

— يبدو انك تظن ذلك امرا يشق على ! الواقع انى اسر للخلاص منك !
— اذن وداعا .

واوما لها براسه ثم مضى يعرج ببطء . وعند عمود النور التالى وقف ينظر
اليها من فوق كتفيه وقد حسب انها ستشير اليه ليعود — وكان على
استعداد لان ينسى كل شىء ليعود اليها ذليلا خاضعا — ولكنها كانت قد
مضت فى سبيلها وكأنها لم تهتم به اطلاقا !



نام فيليب نوما متقطعا فى تلك الليلة . وكان اليوم التالى يوم احدى فآراد
ان يسندكر علم الحياة ، ولكنه صار يقرأ فى الكتاب دون ان يفقه شيئا اذ كان
مشتت الذهن وكل فكره متجها الى ملدريد . ثم يئس من جدوى الاستذكار
تلك الساعة وخرج للرياضة . وكانت الطرق فى ذلك الحى تكاد تكون خالية
من السابلة والحوانيت مغلقة . وخيل اليه ان اليوم لن ينتهى . واخيرا نام
متعبا

وفى يوم الاثنين اقبل على الحياة بعزم جديد ، وكان عيد الميلاد قد قرب
فسافر كثير من الطلبة الى الريف لقضاء اجازاتهم بين اهليهم . وقد رفض
فيليب ان يلبي دعوة عمه لقضاء الاجازة عنده معتذرا بقرب الامتحان ولكنه
فى الواقع كان لا يريد الابتعاد عن لندن وملدريد . وكان قد اهمل دراسته
حتى لم يبق امامه سوى اسبوعين اثنين ليستوعب فيهما منهاجا يتطلب
ثلاثة اشهر . واقبل على المذاكرة بجده ، وخف الالم النفسانى الذى كان
يعانيه . اخذ يحلل موقفه ويراجع شعوره فى الاسابيع الماضية
ولكنه لم يجد احيانا يرى فى الطريق فتاة تشبه ملدريد فيحس كأن قلبه يكاد
يقف عن النبض ، ثم يسرع ليدركها واذا به يجدها فتاة غيرها !

ثم عاد الطلبة من اجازتهم وذهب مع (دنزفورد) لتناول الشاي فى احدى
المشارب ، ولما راى الساقيات فى زيهن المؤلف لم يقدر على الكلام . وخشى

أن نكون ملدريد قد انقلبت الى العمل في ذلك المشرب فيواجهها بغتة . و أثر
أن يدع ا دنز فورد ، يتحدث وبوده لو يدعو الى الصمت !

ثم جاء يوم الامتحان . ولما حل دور فيليب ذهب الى منضدة الممتحنين
وهو ممتلىء ثقة بنفسه ، واجاب عن ثلاثة أو أربعة من الاسئلة . ثم أروه
عدة نماذج وكان لم يحضر إلا عددا قليلا من المحاضرات فما كادوا يسألونه
عن أشياء لا تعرف عن الكتب حتى ارتبك ولكنه بذل جهده ليعطى جهله
وظن أنه ناجح لا محالة . ولكنه في اليوم التالي لم يجد اسمه ضمن أسماء
الناجحين . وكان (دنز فورد) معه فحاول أن يعزيه عن سقوطه ، ولكنه
تظاهر بعدم الاكتراث ذاكرا أنه سيعيد الامتحان في شهر يوليو

على أنه بعد أن خلا الى نفسه شعر بالاسى . واشتدت به الرغبة في رؤية
ملدريد حتى ولو لم تكلمه . انها على أى حال ساقية في مشرب وعليها أن
تخدمه . لقد كانت الشخص الوحيد في العالم الذى يهتم به ولم يقدر أنه
يخفى هذه الحقيقة عن نفسه ، وصار يقول لنفسه كل لحظة : « يجب أن
أراها ! يجب أن أراها ! »

واشتدت به هذه الرغبة حتى لم يطق صبرا على المشى فركب عربة رغم
أخذه بأسباب الاقتصاد . ثم وقف خارج المشرب دقيقة أو دقيقتين .
وتطرق الى ذهنه الخوف من أن تكون قد تركت المشرب فدخل توا ، وما أن
جلس حتى جاءت اليه فقال لها : « فنجان شاي وفطيرة من فضلك »

وكان يتكلم بصعوبة وقد خاف أن يغلبه البكاء ، فقالت له : « لقد كدت
أظن أنك مت ! »

وكانت تبسم . أجل تبسم ! وبدأ أنها نسيت موقفها الأخير معه وان
كان قد استعاده في ذهنه مئات المرات !

وقال لها : « لقد ظننت أنك إذا أردت أن ترينى ستكتبين الى ! »
فقالت : « ان عندى من الشواغل مالا يدعى أفكر في كتابة الخطابات ! »
لقد كانت لا تقدر ان تقول كلمة طيبة ! ولعن فيليب القدر الذى ربطه
الى مثل هذه الفتاة

ولما جاءت بالشاي والفطيرة قالت له : « اتحب ان اجلس معك لحظة ؟ »
ثم جلست وسألته : « أين كنت طول هذه الفترة ؟ »

فقال : « كنت في لندن ! »
فقلت : « حسبك سافرت في الاجازة ، ولماذا لم تأت اذن ؟ »

فنظر اليها فيليب نظرة حائرة وقال لها : « الا تذكرين انى قلت لك انى
لن أراك أبدا ؟ »

فقلت : « وماذا تفعل الآن ؟ »
وبدا انها تريد أن يشرب كأس الدل حتى الثمالة ، ولكنه كان يعرف انها

تتكلم دون احتياط في كلامها ، فهي كانت تجرحه دائما بلا قصد . ولم يجب عن سؤالها . فقالت له :

— لقد كان رديثا منك ان تتجسس على كما فعلت . لقد كنت دائما احسب انك جنتلمان !

— لا تكوني قاسية على يا ملدريد . اني لا اطيق ذلك !

— انك شاب مضحك ولست افهمك !

— ان الامر بسيط : لقد بلغ بي الحق ان احبك من كل قلبي ، وانا اعلم انك لا تكثرين لي مطلقا !

— لو كنت جنتلمان حقا لاتييت في اليوم التالي واستسمحتنى وبدا له ان قلبها لا ينطوي على اى رحمة . ونظر الى عنقها ففكر في فصله عن جسدها بالسكين التى يقطع بها الفطيرة . وكان يعرف من علم التشريح ما يمكنه من استخراج الشريان من عنقها . . وفي الوقت نفسه كان يشعر بالرغبة في ان يغطى بقبلاته وجهها الشاحب النحيل !

ثم قال لها : « لو اننى استطعت ان ابين لك كيف احبك ! »

فقطعت كلامه قائلة : « انك لم تستسمحنى بعد ! »

فعاد وجهه شاحبا ، وهم بأن يقول لها ان تذهب الى الجحيم ، ولكنه لم يجرؤ فقد تغلبت عليه عاطفته ورأى نفسه راضيا باى ذل حتى لا يفقدها .

وقال لها : « انى شديد الاسف يا ملدريد وارجو منك الصفع ! »

فقالت له : « الآن وقد قلت ذلك لا ارى مانعا من ان اقول لك انى اتمنى لو كنت خرجت معك تلك الليلة ، لقد كنت احسب ميللر جنتلмана ولكن لم البث حتى ادركت خطاى . وقد تركته وشأنه ! »

فشهق فيليب ثم قال لها : « الا تخرجين معى الليلة يا ملدريد ؟ . . دعينا نخرج ونتناول طعام العشاء في اى مكان تريدين »

فقالت : « لا يمكننى ذلك فان خالى تنتظرنى فى البيت ! »

— سأرسل اليها برقية . يمكنك ان تقولى انك ستمكثين فى المشرب . بالله تعالى معى فانى لم ارك منذ مدة طويلة واريد ان اتحدث معك !

فنظرت الى ملابسها فقال لها :

— لا تبالى ما تلبسين . سنذهب الى مكان لا يهتم احد فيه بالثياب ثم نذهب الى قاعة موسيقى . . ارجو ان توافقى فان ذلك يسرنى كثيرا

فترددت لحظة وظل ينظر اليها نظرة توسل . ثم قالت له : « لا مانع ! »

ومنع نفسه بصعوبة من ان يمسك بيدها توا ويغمرها بالقبلات !



لم ينجح فيليب فى امتحان التشريح فى نهاية شهر مارس . وكان قد اسند

هذا العلم مع (دنزفورد) على جمجمة يملكها فيليب ، وصارا يسأل أحدهما الآخر حتى استوعبا العلم بحذافيره . ولكن فيليب تملكه الاضطراب في الامتحان وعجز عن الاجابة الصحيحة عن الأسئلة لفرط خوفه من الخطأ في الاجابة وعرف أنه راسب لا محالة فلم يكلف نفسه مؤونة السؤال عن نتيجة الامتحان . وكان هذا الرسوب الثانى سببا في حسبه بين الطلبة الكسالى غير الأكفاء من فرقته

ولكنه لم يبال كثيرا ، فقد كان لديه ما يشغله عن ذلك . لقد أخذ يحدث نفسه بأن ملدريد لها ولا ريب حواس مثل غيرها من الناس ، ولكنها تحتاج الى ايقاظها ، وانها لا بد ستلين اخيرا حيال الاحاح والمثابرة . فعليه ان يترقب الفرص وأن يكظم غيظه ويكون صبورا واسع الصدر . وصار يحدثها عن العلاقات التى بين أصدقائه فى باريس والحسان اللاتى يعجبون بهن ، ويصف لها ما يعرفه من مغامراتهم الغرامية ومن حياتهم العجيبة التى تجمع بين الفقر والجمال . . . ولم يصده عدم اكترائها لما يقول ، ولا شعوره بأنه يضجرها ، بل حاول جهده أن يكون معها ظريفا مسليا . . . وكان لا يبدى لها جانب الكدر ولا يطلب اليها شيئا . واذا اتفقت معه على موعد وأخلفته لا يؤنبها قط ، واذا اعتذرت له بأى عذر واه قبله منها دون مناقشة . . . ولم يدعها تشعر بأنها تؤلمه بمسلكها بل صار يخفى عليها احساسا يظنه يضايقها لقد كان بطلا فى صبره !

وقد أثر فيها ذلك كله وان لم تعترف ، فأصبحت اكثر ثقة به وصارت تسر اليه همومها - وكانت دائمة الشكوى من مديرة المشرب ، ومن زميلاتهما فى العمل ، ومن خالتها . . . وقد أصبحت الآن طلفة اللسان معه ، بينما هو يصفى الى سخافاتهما باهتمام !

وقالت له يوما : « انى اشعر بميل اليك حين لا تطارحنى الغرام ! »

فضحك وقال : « هذه ظاهرة غير مشجعة ! »

فقالت : « لا ابالى ان تقبلنى بين حين وآخر فان ذلك لا يؤذنى ويسبب لك السرور ! »

واحيانا كانت تطلب اليه ان يذهب بها الى احد المطاعم لتناول العشاء فكان هذا الطلب الذى يأتى من جانبها يملأ قلبه غبطة . ثم تقول : « ما كنت لاطلب ذلك الى غيرك ولكنى موقنة انى استطيع ذلك معك ! »

فيقول لها : « ليس هناك ما يسرنى اكثر من هذا . ! »

وفى مساء أحد الايام طلبت أن تتعشى معه ، وتركت له اختيار المطعم الذى يذهبان اليه

وحسب انها بدأت تحبه . وكان الجو صافحا واليوم من أيام الربيع المبهجة . فشجعه ذلك وقال لها :

- حين يأتى الصيف نذهب الى (سو هو) كل يوم احد ونأخذ معنا غداءنا فى سلة ونمضى اليوم على ضفة النهر !

فابتسمت وتركت يدها في يده . ثم قال لها : « يخيّل الى أنك بدأت تميلين الى ؟! »

فقالت له : « ما أحملك !. ألم تكن تعرف انى أميل اليك ، اننى لولا ذلك ما كنت معك هنا ! »

وكانا قد أصبحنا عميلين قديمين فى ذلك المطعم الصغير بضاحية (سوهو) فابتسمت لهما المديرة حين رأتها داخلين . وبعد أن جلسا الى المائدة قالت له : « دعنى اطلب العشاء الليلة »

فناولها بيان الالوان ، واخذت تختار ما تحبه . وحسبها فيليب تلك الليلة اظرف منها فى أى وقت مضى ، واخذ يمتع بصره بالنظر الى وجهها الجميل . ولما انتهيا من تناول العشاء اخرجت سيجارة واشعلتها وكان من النادر أن تدخن وترددت لحظة ثم قالت : « هل أدهشك انى طلبت اليك الليلة ان تأخذنى الى مطعم ؟ »

فقال : « لقد سررت ولم ادهش ! »

فقالت : « ان عندى ما أقوله لك يا فيليب ! »

فنظر اليها وهو يحس أن قلبه سقط من مكانه ولكنه تجلد وقال لها : « هيا قولى ما لديك »

فقالت : « أرجو ألا تغيبك الحماقة حين تسمع النبأ : اننى... سأتزوج ! »

فقال : « حقا ؟ » . ولم يجد كلمة أخرى يقولها !. وكان قد خطر له انها قد تتزوج وساءل نفسه مرارا ماذا يفعل فى هذه الحالة ، وفكر فى اليأس الذى يتولد لو حدث ذلك حتى لقد فكر فى الانتحار ، غير أن توقع الحادث كان قد أنهك احساسه واستنفد امه . فكان شأنه كشأن المريض بمرض خطير قد ضعفت حيويته حتى صار لا يبالي بالعاقبة . ثم استطردت قائلة :

– اننى الآن فى الرابعة والعشرين من عمري . وقد حان الوقت لان استقر !

فسكت ولم يجب ، ونظر الى المديرة جالسة عند منضدة الدفع واستقر بصره على ريشة حمراء فى قبعتها . فغاظ ملدربد سكوته وقالت له :

– يمكنك على الأقل ان تهثنى !

– هذا صحيح . غير انى لا اكاد اصدق النبأ...! لقد حلمت بذلك مرارا .

ومن عجب انى فرحت اذ طلبت الى ان اخرج معك الليلة ! ومن ذا الذى ستتزوجين ؟

فقالت وقد علت وجهها حمرة خفيفة : « ميللر ! »

– ميللر ؟! ولكنك لم تريه منذ عدة اشهر

– لقد جاء لتناول العشاء فى احد ايام الاسبوع الماضى وطلب الى ان أتزوجه

وهو يكسب مالا وفيرا ، اذ لا يقل مرتبه عن سبعة جنيهات فى الاسبوع وامامه مجال واسع للتقدم !

فعاد فيليب الى الصمت ، وتذكر انها كانت دائما ميالة الى ميللر . ثم قال لها :

– احسب انه لم يكن هناك مفر من ذلك . فانك لا شك تقبلين من يدفع اكثر من غيره . ومتى يعقد القران ؟

– يوم السبت المقبل . وقد اخبرت المشرب بعزمي على الاستقالة

فشعر فيليب بألم يحز في قلبه وقال : « بهذه السرعة ؟! »

فقالت : « سنتزوج في مكتب تسجيل العقود فان اميل يفضل ذلك »

احس فيليب تعباً مفاجئاً وود لو يخلص منها واعتذر لها بأنه سيأوى الى فراشه وطلب رقعة الحساب ثم قال لها : « سأركبك عربة تذهب بك الى محطة فكتوريا ، وليس امامك طويل وقت لانتظار القطار ! »

فسأله : « الا تاتى معي ؟ »

فقال : « افضل الا آتى اذا كان ذلك لا يكدرك ! »

فقالت : « كماتشاء !. احسب اننا سنتقابل غدا وقت تناول الشاي ؟ »

فقال : « كلا !. بل أرى ان ننهي الامر الآن . ولست ارى حاجة لأن اظلم اخلق لنفسي الشقاء !. لقد دفعت اجرة العربة ! »

واوماً لها براسه تحيه وابتسم ابتسامة مقتضبة ثم ركب سيارة عامة

maktbtna.com



صديق

استيقظ فيليب صباح يوم فوجد نفسه مريضا وكانت كل أعضائه ترجعه ويرتعث من البرد . ولما جاءت ربة البيت بطعام الفطور كالمعتاد ذكر لها أنه معتل الصحة وطلب اليها أن تحضر له فنجان شاي ، ولم تمض دقائق حتى جاء (جريفيث) وكانا قد عاشا في بيت واحد زهاء سنة ولكن لم تزد الصلة بينهما على أن يوميء أحدهما للآخر تحية اذا تقابلا على الدرج . وقال له جريفيث : « سمعت أنك منحرف الصحة فجئت لأرى ما بك ! »

فاحمر وجه فيليب وذكر له أنه ليس به شيء ، وأنه سيقوم بعد ساعة أو ساعتين . ولكن جريفيث قاس درجة حرارته فوجدها مرتفعة فنصح له بملازمة الفراش وذهب يستدعي له الدكتور ليكون ، وجاء هذا بعد برهة وفحصه فوجده مصابا بالانفلونزا . ونظر الطبيب حوله في الغرفة المتواضعة ثم قال له :

— ألا ترى أن الأفضل لك أن تذهب الى المستشفى ؟ سيخصصون لك ممرضة وستلقى من العناية أكثر مما يتاح لك هنا !

فقال فيليب : « أؤثر أن أبقى حيث أنا ! » وكان يكره التغير ويخجل دائما من أية بيئة جديدة عليه ، ولم يقدر أن يتصور الممرضات يعنين به

وهذا قال جريفيث للطبيب : « سأعنى به يا سيدي » وكتب الطبيب الدواء ثم ذهب . ووضع جريفيث يده على جبهة المريض ثم قال : « سأذهب الآن الى الصيدلية لأحضار الدواء ثم أعود اليك ! » وعاد جريفيث بعد قليل ، وأعطاه جرعة من الدواء ثم صعد الى غرفته في الطابق الأعلى لأحضار كتبه وقال :

.. أحسب ألا مانع عندك في أن أشتغل هنا ؟ سأترك الباب مفتوحا بين هذه الغرفة وبين غرفة الجلوس حتى اذا اجتجت الى شيء ناديتني !

واستغرق فيليب في النوم ثم استيقظ بعد حين على صوت جريفيث يحدث صديقا له في الغرفة الأخرى وسمعه يقول له : « الأفضل أن لا تأتي الليلة ! »

وبعد لحظة جاء صديق آخر فأبدي تعجبه من وجود جريفيث هناك فقال له :

— اني أعنى بطالب بالسنة الثانية يسكن هاتين الغرفتين وقد أصيب بالانفلونزا ، فلن ألعب بالورق الليلة !

وإذا دخل جريفيث عند فيليب قال هذا له : « انك ترجىء حفلة محددا لها الليلة ؟ »

فقال له : « ليس هذا بسببك ، بل يجب أن أستذكر الجراحة ! »
فقال فيليب : « لا ترجىء حفلتك . انى على ما يرام . ولا تشغل نفسك بى . » ولكن جريفيث أكد له أن ليس هناك ما يدعو الى الخروج
ثم ساءت حالة فيليب وصار يهدى طول الليل . ولكنه أصبح وقد تحسنت حالته ، وأبصر جريفيث يقوم من كرسى كبير وينحنى على ركبتيه ويضع قطعة من الفحم بعد أخرى فى الموقد ، وكان مرتديا منامته (البيجاما) .
فسأله : « ماذا تفعل ؟ ؟ »

فقال له : « هل أيقظتك ؟ انى أحاول أن أشعل الموقد دون أن أزعجك ! »
فسأله : « ألم تأو الى فراشك ؟ »
فقال : « لقد أثرت أن أجلس الليلة فأحضرت هذا الكرسي من عندى . ونو انى فرشت مرتبة على الارض لأغرتنى بالنوم العميق فلا أسمع نداءك اذا أردت شيئا ! »

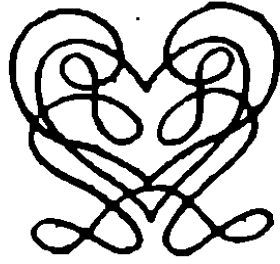
فقال فيليب : « لماذا لم تنم ؟ . كم الساعة الآن ؟ »
قال : « حوالى الخامسة صباحا »
فقال : « بودى لو لم تعطف على الى هذا الحد . انى أخاف عليك العدوى ! »
قال : « عندئذ تعنى أنت بى ! »
ثم أزاح الستار الذى على النافذة وساعده فى غسل وجهه ويديه وصدره وظهره برغم معارضته . وبعدئذ أخذ يحدثه حديثا وديا ، وهو يغير ملأة السرير . وقال له أخيرا :

« وددت لو رأتنى الأخت « الممرضة » آرثر ! سيعودك الدكتور (ديكون) فقال فيليب : « لماذا تتعب نفسك من أجل الى هذا الحد ؟ »
فقال جريفيث : « انه تمرين نافع لى على كل حال . أليس كذلك ؟ »

وبقى فيليب ملازما الفراش خمسة أيام . وبرغم أن جريفيث كان فى مثل سنه فقد اتخذ منه موقف الأم الرؤوم من ولدها مع الفكاهة والظرف . غير أن الحالة التى يمتاز بها هى حيويته التى تغمر كل من يتصل به ، ولم يكن فيليب قد اعتاد التدليل الذى ينعم به الناس فى صغرهم من أمهاتهم وأخواتهم ولذا أثرت فيه رقة ذلك الشاب . ثم تحسنت صحته ، وظل جريفيث فى غرفته يقص عليه مغامراته الغرامية . وكان ممن يميلون لمغازلة الحسان ، وقد تكون له علاقة حب بثلاث أو أربع منهن فى آن واحد . وكان مغرما بالديون ، وقد رهن كل شىء ذى قيمة لديه ولكنه مع ذلك كان دائم السرور كريما مسرفا . وكان بطبيعته مغامرا ويميل الى ذوى المهن المريبة وأصحاب الحيل . وكان يعرف نساء خليعات يسرن الى بهومهن ، ويعرف من يغشون فى الميسر ويقترض منهم . . . وكان يرسب فى الامتحانات

مرة بعد أخرى ولكنه يقابل الرسوب بابتسام ولا يتكدر لسماع لموم
والتفريع من والده - وكان طبيبا له عيادة في مدينة (ليدز)
وما استعاد فيليب صحته حتى كانت الصداقة قد توطدت بينه وبين
جريفيث ، وكان هذا يحب أن يجلس الساعات معه فيضيع وقته في حديثه
الشائق . وصار فيليب يأخذه معه بين حين وآخر الى حانة على مقربة من
شارع (ريجنت) حيث يلقي أصحابه ، ولما علم أن (ماكاليستر) سمسار
في البورصة أخذ يسأله عن الاوراق المالية فأخذ هذا يبين كيف يمكن
الانسان أن يكون ثروة من الاسهم والسندات اذا عرف متى يشتري ومتى
يبيع فود جريفيث لو جنى بعض المال بهذه الطريقة السهلة . وأخيرا قال
السمار : « حين تلوح لي فرصة مناسبة سأخبرك »

maktbtna.com



مفاجأة

عاد فيليب بعد ظهر أحد الايام من المستشفى الى مسكنه ليغتسل ويغير ملابسه استعدادا لتناول الشاي كالمعتاد ، فقالت له ربة المنزل : « لقد جاءت سيدة وهي بانتظارك »

فدهش فيليب وقال : « تنتظرني أنا ؟ »

فقالت : « ما كان لي أن أدعها تدخل ، ولكنها جاءت ثلاث مرات تسأل عنك وبان عليها الا لم ، اذ لم تجدك في كل مرة فلم يسعني الا أن أدعوها للدخول ! »

ودخل مسكنه مسرعا واذا به يجد ملديد أمامه . ولم تتحرك حين رآته أو تتكلم . واشتدت به الدهشة حتى لم يدر ماذا يقول ، ثم سألها بجفاء : « ماذا تريدين ؟ »

فقالت وهي تبكي : « يا ليتني مت ! »

ثم سكتت ، فتركها فيليب واقفة حيث هي ، وكانت ركبتاه ترتجفان ، ثم سألها : « ماذا جرى ؟ »

فقالت : « لقد تركني ميلر ! »

فخفق قلبه وأدرك أنه لا يزال يحبها . وكانت واقفة أمامه بذلة وانكسار فود لو يضمها توا الى صدره وأن يمحو دموعها على خديها بالقبل

ثم جر كرسيا الى مقربة من الموقدة ودعاها الى الجلوس ، ومزج لها بعض الويسكي والصودا وناولها كأسا لتشرب ، وكانت تنظر اليه بعينين مملوءتين أسى وقد بان تحتها خطوط سوداء ، وقد أصبحت أكثر بياضا ونحوها مما كانت حين رآها آخر مرة . ثم قالت له : « ليتني تزوجتك حين طلبت الى ذلك ! »

فوضع يده على كتفها وقال : « يؤلمني أن أراك في ضائقة ! »

فأسندت رأسها على صدره وأخذت تبكي ، ولم يكن يتصور أنها تبكي هكذا ، فأخذ يقبلها ويغمرها بالقبل فقالت له :

« لقد كنت دائما شقيقا بي يا فيليب ! »

فقال لها : « أخبريني ماذا حدث ؟ ! »

فعادت تبكي وتقول : « لا أقدر ! لا أقدر ! » لكنه زكع بجانبها ووضع يده على خدها وقال لها : « اني لن ألومك قط ! »

فشرعت تقص عليه حكايتها شيئا فشيئا ، وأحيانا كانت تنتحب وسط الكلام فلا يفقه شيئا . وقالت له :

- يوم الاثنين منذ أسبوع سافر الى برمنجهام ، وقد وعدنى أن يعود يوم الخميس ولكنه لم يعد حتى يوم الجمعة ، فكتبت اليه أسأله ماذا حدث ، ولكنه لم يجب على خطابى . ثم كتبت اليه ذاكرة أننى اذا لم أتلق منه ردا سريعا فسأسافر الى برمنجهام. واليوم صباحا جاءنى خطاب من محاميه ذكر فيه أنى لا حق لى قبله ، واننى اذا أزعجته بعد اليوم فانه سيطلب حماية القانون ! »

• فصاح فيليب قائلا : « ولكن هذا أمر غير معقول ! ان أى رجل لا يستطيع أن يعامل زوجته هذه المعاملة القاسية ! .. هل تشاجرت معه ؟ »

فقالت : « أجل ، لقد تشاجرنا يوم الاحد . وذكر لى أنه ضجر منى ، لأنه كثيرا ما قال ذلك من قبل ثم عاد الى . ولقد تولاه الفزع لانى قلت له انى أنتظر طفلا ، وكنت قد كتبت ذلك عنه أطول وقت مستطاع ثم أصبح لزاما على أن أنبئه . فذكر لى أن ذلك خطأ كان ينبغى أن أتجنبه . آه لو سمعت ما قاله لى ! .. لقد تحققت انه ليس بجنتلمان . لقد تركنى دون بنس واحد ولم يكن قد دفع ايجار المسكن وأنا لا أملك مالا أدفعه منه فوجهت الى صاحبة البيت الفاظا شنيعة وكأنى لصه !

فقال لها فيليب : « لقد حسبك ستسكنين (شقة) كما ذكرت لى ! »
فقالت : « كان يقول لى ذلك . ولكننا اتخذنا مسكنا مفروشا فى (هايبورى) لقد كان بخيلا وكان يتهمنى بالاسراف دون أن يعطينى من النقود ما يصح أن أكون معه مسرفة ! »

فقال فيليب : « ما كنت أظن أن بين الرجال أحدا بهذه الدناءة ! »
فقالت : « انك لا تعرفه ، انى لن أعود اليه الآن حتى وان ركع أمامى على ركبتيه . لقد كنت حمقا اذ اهتممت به . ثم انه لا يكسب ذلك القدر من المال الذى أخبرنى به ، ما أكثر ما حاك لى من أكاذيب ! »

وتأثر فيليب لنكبتها حتى لم يعد يفكر فى نفسه وقال لها : « أتحبين أن أسافر الى برمنجهام وأقابله وأصلح الأمور ؟ »

فقالت : « لا فائدة من ذلك . انه لن يعود الى . وأنا موقنة من ذلك ! »
فقال : « ولكن يجب أن ينفق عليك . ولن يستطيع الفرار من ذلك . وأنا لا أدري شيئا عن هذه الامور . والافضل أن تستشيرى محاميا »
فقالت له : « أنى ذلك وأنا لا أملك مالا ؟ »

فقال لها : « سأدفع للمحامى أتعابه . هل تؤثرين أن أكتب الآن خطابا الى المحامى الذى كان منفذا لوصية أبى وهو رجل شهم . أم أذهب اليه معك الآن ولعله لا يزال فى مكتبه ؟ »

فقالت : « كلا ! .. بل أعطنى الخطاب وأنا أذهب اليه »
وكانت قد هدأت قليلا . فجلس وكتب لها خطاب توصية الى محاميه ،

ثم تذكر أنها لا تملك نقودا وكان قد صرف شيكا بالبنك أمس فأعطاه
خمسة جنيهات . فقالت له : « انك طيب معي يا فيليب ! »
فقال لها : « اني سعيد اذ أستطيع أن أؤدي خدمة لك ! »
فسأله : ألا تزال تحبني ؟ «

فقال : « كما أحببتك في الماضي وكما سأحبك دائما ! »
فمدت اليه فمها وقبلها ، وبدا عليها استسلام لم يعهده فيها من قبل .
وكان في ذلك وحده جزاء له على كل العذاب الذي قاساه !
وحين غادرته بعد ستاعتين ، كان يشعر سعادة لا حد لها . وصار يقول
لنفسه : « مسكينة ! مسكينة ! »

وكانت ملدريد قد أنبأته أنها ستأتي عند الساعة الرابعة بعد الظهر ،
وما كان له أن يقول لها ان ذلك الوقت غير مناسب . وجلس ينتظرها
بالنافذة ثم فتح لها الباب بنفسه وسألها : « هل قابلت المحامي نيكسون ؟ »
- أجل وقد قال لي انه لا فائدة ، ولا يمكن عمل شيء ! «

ثم جلست وقد بدا عليها التعب فقال لها : « هل أبدى لك سببا ؟ »
فناولته خطابا وقالت له : « ها هو ذا خطابك ، اني لم أذهب به الى
المحامي . . . لم أقدر أن أخبرك أمس . . . حقيقة لم أقدر . ان ميلر لم
يتزوجني . وما كان يمكنه ذلك وهو متزوج وله ثلاثة أولاد ! »

فشعر فيليب بغتة بالغيرة والا لم . لقد كان الامر أكثر مما يطيق . ثم
استطردت قائلة : « لهذا لم أقدر أن أعود الى حالتني . ليس لي ملاذ سواك ! »
فسألها بصوت واهن : « وما الذي جعلك تذهبين معه ؟ »

فقالت : « لا أدري . لم أعلم في البداية أنه متزوج ، ولما أخبرني بذلك
صارحته برأبي فيه . وبعد ذلك لم أره عدة أشهر ، ولما عاد الى المشرب
وطلب الى أن أذهب معه لا أدري ماذا دهاني فقد شعرت بأني لا يمكنني أن
أرفض ! »

فقال لها : « أكنت مغرمة به ؟ »

قالت : « لا أدري ! . . لقد كنت أسخر من الكلام الذي يقوله لي . ولكنه
أكد لي أنني لن أندم على تلك الخطوة ووعد بأن يعطيني كل أسبوع سبعة
جنيهات من الخمسة عشر جنيها التي يكسبها ، لكنه كان كاذبا . ثم أنني
كنت قد ضجرت من الذهاب الى المشرب صباح كل يوم ولم أكن على وفاق
مع خالتي . فقد أرادت أن تعافلني كخادمة لا كقريبة لها . آه ليتني لم
أفعل . ولكنه لما جاء الى المشرب لم أستطع مقاومة اغرائه ! »

فتنحى فيليب عنها جانبا وجلس الى منضدة وقد أخفى وجهه بين راحتيه ،
وكان يشعر بمهانة شديدة . فسأله بحزن : « هل أنت غاضب علي ؟ »
فأجاب دون أن ينظر اليها : « كلا ! وانما أشعر بجرح كرامتي ! »

ولما سألته : « لماذا ؟ » . قال لها : « لقد كنت متيما بك . وفعلت كل ما فى استطاعتي لاثير اهتمامك بى . وحسبتك لا تقدرين أن تحبى أحدا ، ان من الفظاعة أن أعلم أنك ضحيت كل شىء من أجل شخص لا أدري ماذا أنجبك فيه ! »

فقالت ملديريد : « انى شديدة الاسف يا فيليب . أوكد لك أنى ندمت فيما بعد أشد الندم »

ثم قامت فأحاطت عنقه بذراعها وقالت : « لن أنسى انك عرضت على الزواج يا فيليب »

فأمسك بيدها ونظر اليها فانحنت وقبلته وقالت له « اذا كنت لا تزال تريدنى فانى أفعل كل ما تحبه . انى أعرف أنك جنتلمان حقا »

فكاد قلبه يقف عن الحفقان ، وأحس شيئا من الإشمئزاز نحوها وقال : « هذا جميل منك ولكن لا أستطيع ! »

فقالت له : « ألا تحبى الآن ؟ »

قال : « أحبك من كل قلبى . ولكنك . . لا تفهمين ما أعنى . لقد أحببتك منذ رأيتك . وقد وقف ذلك الرجل حائلا بيننا . وانا للأسف لى خيال حى . ومجرد التفكير فى ذلك يملأ نفسى تفرزا ! »

فقالت له : « انك مضحك ! »

وظلا يتكلمان حتى عادت اليهما ألفتهم الماضية . وتأخر بهما الوقت فاقترح فيليب أن يذهبا الى مطعم لتناول العشاء ثم يدخلوا مسرحا لمشاهدة رواية فكاهية ، وترددت هى قليلا اذ حسبت ذلك غير مناسب لما هى فيه من نكبة وشقاء . وأخيرا طلب اليها فيليب أن تذهب معه لا لشيء سوى أن تدخل السرور على قلبه

فطلبت اليه أن يتناولوا العشاء فى المطعم الصغير الذى بضاحية (ر هو) والذى ذهبا اليه مرارا من قبل . وحمد لها فيليب هذا الراى . وفى أثناء العشاء بدت أكثر جودا وكان للنبيذ أثر فى ذلك . ثم قال لها : « أحسبك لا تملكين نقودا ؟ »

فقالت : « لا يزال معى المبلغ الذى أعطيتنيه أمس . وعلى أن أدفع منه ثلاثة جنيهات أجرة لمسكنى »

فقال : « الأفضل أن أعطيك عشرة جنيهات لتصرفى منها . وسأقابل محامى وأحشه على الكتابة الى ميللر لعلنا نقدر أن نرغمه على دفع شىء لك . واذا حصلنا منه على مائة جنيهه فانها تكفى حتى يولد الطفل »

فقالت : « انى لن أقبل بنسا واحدا منه ، بل أوتر على ذلك أن أموت جوعا ! »

وكان موقف فيليب حرجا فانه كان مضطرا الى مراعاة جانب الاقتصاد بأقصى ما يمكنه حتى يتخرج ، ويجب أن يفيض شىء يكفيه خلال سنة

التمرين بالمستشفى . ولكن ملدريد كانت قد قصت عليه أمثلة من بخل ميلر ، فلم يشأ أن يعارضها حتى لا تتهمه بالبخل هو أيضا

ثم قالت له : « على أى حال قد بحثت لى عن عمل قبل أن ألجأ اليك ، غير أن العمل يضر بى فى حالتى هذه . ان الانسان يجب أن يراعى صحته . أليس كذلك ؟ »

فقال فيليب : « لا تفكرى فى الحاضر . ولن أدعك بحاجة الى شىء حتى تصبحى فى حال تمكنك من استئناف العمل »

فقالت : « كنت واثقة من انى يمكننى أن أعتد عليك . وكنت أقول لأميل انى لست وحيدة فى العالم . وذكرت له انك جنتلمان »

ووقف فيليب تدريجا على الطريقة التى تم بها الانفصال بينهما : فالظاهر أن زوجة ميلر وقفت على العلاقة التى بينهما فى زياراته للندن فذهبت توا الى مدير الشركة التى يعمل فيها وهددت بطلب الطلاق منه . فقال المدير لها انه فى هذه الحالة سيفصل من عمله . وكان ميلر شغوبا بأطفاله ولم يطق فكرة الانفصال عنهم . فلما خير بين زوجته وخليلته آثر زوجته . وكان دائم الحرص على ألا ينشأ من تلك العلاقة طفل فيزيد الموقف تعقيدا . ولما أخبرته ملدريد أنها حامل ، بعد أن عجزت عن اخفاء هذا الأمر عنه تخلكه الرعب وافتعل شجارا معها وهجرها

وسألها فيليب : « متى تنتظرين الوضع ؟ »

فقالت : « بعد ثلاثة أشهر »

وكان لزاما عليهما أن يتدبرا الأمر فذكرت له ملدريد أنها ستنتقل من مسكنها فى (هايبورى) ورأى فيليب ان الافضل أن تسكن قريبا منه ووعده بأن يبحث عن مسكن لها غدا . واقتترحت أن يكون فى طريق (بوكسهول بريدج) قائلة : « وسيكون أيضا قريبا فيما بعد »

فقال لها : « لا أدري ماذا تقصدين ؟ »

فقالت : « لن أمكث فى هذا المسكن الجديد سوى شهرين . وبعدئذ أذهب الى بيت محترم أعرفه تدفع الواحدة فيه أربعة جنيهات فى الاسبوع ولا يزيد سوى أتعاب الطبيب . وقد ذهبت صديقة لى الى هناك وهى تقول ان السيدة انتى تديره سيدة كاملة . وسأقول لها ان زوجى ضابط بالهند وانى جئت الى لندن قبيل الوضع مراعاة لصحتى ! »



الفصل الرابع

فى صباح اليوم التالى . شاهدت ملديرى مسكنها الجديد فرضيت به ، وبعد تناول طعام الغداء مع فيليب ذهبوا معا لنقل متاعها وترتيبها . وركب معها عربة فى شارع فكتوريا

وكان سعيدا لوجوده مع ملديرى وقد سره أن يساعدها فى تفريغ حقائبها وترتيب أمتعتها . وشعر بالكبرياء اذ أسكنها هذا المسكن الذى يدفع ايجاره من ماله . ولم يدعها ترهق نفسها ، بل سره أن يحمل عنها عبء الحقائق وترتيب الأمتعة ، وكانت هى لا تحب أن تؤدى عملا يرغب غيرها فى أن يؤديه عنها . . ولما كانت لا تريد الخروج فى ذلك اليوم فقد خلع لها ثيابها كذلك وألبسها ثياب المنزل حتى لم تتمالك نفسها فقبلت يديه عرفانا لجميله !

ولما أتم ترتيب كل شىء وعلق الصور وجد آنية الزهر فخرج ليشتري أزهارا يضعها بها

وتناول عشاءه مع ملديرى فى مسكنها الجديد ، وقد أحس راحة وطمأنينة ثم قال لها : « ماذا تريدن أن نفعل غدا ؟ »

فقلت له : « انى ذاهبة الى (تولى هيل) . اذكر مديرة المشرب هناك ؟ لقد تزوجت ودعتنى لأن أمضى عندها يوما . وهى بالطبع تحسبنى متزوجة كذلك ! »

فأحس قلبه يسقط من بين أضلعه وقال لها : « ولكنى رفضت دعوة لكى أمضى يوم الاحد معك ! »

وكان يتوقع منها - اذا كانت تحبه حقا - أن تعود فتقرر تمضية اليوم معه ولكنها لم تزد على أن قالت : « كان ذلك حماقة منك ! » لقد وعدتها أن أمكث معها ثلاثة أسابيع أو أكثر ! »

فسألها : « كيف تذهبين وحدك ؟ »

وقالت : « سأدعى أن (اميل) سافر لانجاز بعض أعماله . . ان زوجها يشتغل بتجارة القفازات وهو رجل ممتاز ! »

فسكت فيليب والالء يكاد يمزق قلبه . وعندئذ نظرت اليه بمؤخرة عينيه وقالت له : « أتستكثر على هذه المسرة الصغيرة يا فيليب ؟ » انها آخر مرة تسمح لى فيها حالتى بالسفر ، ثم انى وعدت ! »

فقال لها : « لا أستكثر عليك أى مسرة يا عزيزتى . بل أريد أن تستمتعى
بوقتك الى أقصى ما فى الامكان »
وحانت منه التفاتة فرأى كتابا صغيرا مفتوحا على الأريكة فتناوله دون
اهتمام واذا به رواية من الروايات التى تباع ببئسین . وقالت له ملدريد :
– انى أحب هذه السلسلة من الروايات . وقد قرأتها كلها !

maktbtna.com



منافس خطير

ظل فيليب طول الاثني عشر الشهر التالية يزور ملدريد في مسكنها كل يوم ، وكان يأخذ كتبه معه ويشعر في الاستذكار بعد تناول الشاي ، بينما كانت ملدريد ترقد على أريكة وهي تقرأ روايات . . . وكان أحيانا يرقبها لحظة فترتسم ابتسامة سعيدة على فمه ، فاذا التفتت اليه قالت له : « لا تضع وقتك بالنظر الى يا أحمق . استمر في عملك ! »

وكانت في قرارة نفسها تتمنى لو يولد طفلها ميتا ، وقد أشارت الى ذلك إشارة خفية ذات مرة فارتاع فيليب أول الأمر ، ثم ما لبث أن رأى أن ذلك أفضل للجميع ! . وقالت له :

– من السهل أن تقول هذا وذاك . ولكن أصعب الأشياء أن تكسب فتاة معاشها فما بالك اذا كان لها طفل رضيع ؟

فتناول فيليب يدها وقال لها : « ولكن ها أنذا ويمكنك أن تعتمدى على ! » فقالت له : « لقد كنت رحيما بى يا فيليب ، وليس لدى أن شىء أقدمه لك فى مقابل كرمك معى ! »

فقال : « انى لا أريد منك شيئا . وما فعلت ما فعلت الا لأنى أحبك . وأنت لست مدينة لى بشىء . ولا أحب أن تهينى شيئا الا اذا كنت تحبيننى ! »

وقد ارتاع لاعتقادها أن جسدها سلعة يمكنها أن تقدمها دون اكتراث فى مقابل خدمة أداها لها ! ثم عادت هى فقالت له : « لكنى أريد ذلك يا فيليب . لقد كنت طيبا معى »

فقال : « لن يضيرنى أن أنتظر ! . وحين تضعين وتستعيدين صحتك يمكننا أن نسافر لقضاء شهر العسل ! »

فابتسمت وقالت : « أنت ولد شقى ! »

ثم حان الوقت الذى تدخل فيه دارا للولادة . وكان لا يتاح لفيليب أن يزورها الا بعد الظهر . وقد غيرت ملدريد حكايتها فزعمت أنها زوجة جندي سافر الى الهند للحاق بفرقة وقدمت فيليب الى رئيسة الدار على أنه أخو زوجها !

وقالت لفيليب : « يجب أن أكون على حذر مما أقوله ، فان بالدار سيدة أخرى زوجها موظف مدنى فى حكومة الهند ! »

فقال لها : « لو كنت مكانك ما أزعجنى ذلك ، فانى موقن أن زوجك وزوجها قد ذهبا الى الهند فى سفينة واحدة ! »

ووضعت ملديريد حملها بسلام . ولما سمع فيليب بأن يراها وجد وليدتها بجانبها . وكانت ملديريد بادية الضعف ولكن سرها أن انتهى الأمر . وأرته الطفلة وهي تنظر اليها بفضول وقالت له : « انها شئ صغير مضحك ولا أكاد أصدق أنها طفلتى ! »

وابتسم فيليب حين نظر اليها ولم يدر ما يقوله ، وقد أربكه ذلك لأن الممرضة صاحبة الدار كانت واقفة بجانبه ، وخيل اليه أنها لم تصدق قصة ملديريد المعقدة وأنها تحسبه والد الطفلة !

وسأل فيليب ملديريد : « ماذا تسمينها ؟ »

فقالت : « لا أدري . . أأسميها مادلين أم سيسيليا ؟ »

وتركتها الممرضة وحدهما قليلا ، فانحنى فيليب على ملديريد وقبلها فى فمها قائلا :

– يسرنى أن الأمر انتهى بسلام

فأحاطت عنقه بذراعيها وقالت : « لقد كنت ركن الامان لى يا عزيزى فيليب ! »

فقال : « الآن أشعر أخيرا بأنك لى . لقد طال انتظارى لك يا عزيزتى ! » وسمعا الممرضة تدخل فوقف فيليب مسرعا . وكان على ثغر الممرضة ابتسامة خفيفة !

maktbtina.com

بعد ثلاثة أسابيع ودع فيليب ملديريد وطعلتها عند سفرهما الى (بريتون) وكانت قد استردت صحتها واعتزمت الذهاب الى نزل سبق أن عاشت فيه بضعة أسابيع مع (ميللر) . وكتبت بداءة الى صاحبة ذلك النزل تزعم أن زوجها سافر الى ألمانيا لبعض شئون عمله وأنها قادمة مع طفلتها ، وكانت تسر من اختراع الاكاذيب وتبدى براعة فى خلق تفاصيلها . وقد أملت أن تجد فى بريتون امرأة ما تودعها طفلتها . وقد راع فيليب عدم اكترائها للافتراق عن ابنتها واصرارها على الخلاص منها بأسرع ما تستطيع ، وكان يحسب أن غريزة الأمومة عندها لا تلبث أن تبعث بعد أن احتضنت الطفلة ثلاثة أسابيع وبعد ذلك يغريها بابقائها معها . ولكن شيئا من ذلك لم يحدث . ولم تكن غير شفيقة على ابنتها بل كانت تؤدى كل خدمة اليها بنفسها ، وكانت أحيانا تجدها سببا للتسنية وتكثر من الكلام عنها . ولكنها كانت فى قرارة قلبها غير مكترثة لها ولا تشعر بأنها جزء منها . بل بدأت تتوهم أنها تشبه أباهما وكانت لا تفتأ تسأل ماذا تفعل حين تكبر، ولا تنفك تلوم نفسها لأنها حملت بها . وكانت تسخر من فيليب لاهتمامه بالطفلة وتقول له

– ما كنت لتعنى بها أكبر من هذه العناية لو كنت أباهما ، يا ليت ميللر يهتم بها بعض هذا الاهتمام !

وقال لها فيليب حين تحرك القطار : « لا تنسى أن تكتبى الى يا عزيزتى ، فقالت له : « اهتم بامتحانك قبل كل شيء ! »

ولم يكن باقيا على الامتحان سوى عشرة أيام . وكان يهمه أن ينجح فيه ليوفر على نفسه جهدا ومالا – اذ كان المال ينزلق من بين أصابعه فى الاشهر الاربعة الاخيرة بسرعة لا تصدق – ولأن هذا الامتحان كان نهاية للتعب المضنى وبعده يدرس التطبيب والولادة والجراحة وكلها أكثر تسلية من التشريح وعلم الحياة اللذين كان يدرسهما حتى الآن . ثم أنه خاف أن يرسب فتتهبط قيمته فى عينى ملدريد ولاسيما انها كانت تعبر عما لا يسرها بشكل مهين !

ونجح فى الامتحان على صعوبته ، فسارع الى ارسال برقية بذلك الى ملدريد ، وفى اليوم التالى أرسل اليها حوالاة بخمسة جنيهات وكتب اليها معربا عن رجائه فى أن توافق على سفره اليها لقضاء نهاية الاسبوع معها . ولكنها أصرت على ألا تغير برنامجا وضغته لنفسها ، وكتبت اليه مبدية أسفها ، معذرة انها كانت قد وعدت بالذهاب الى قاعة موسيقى مساء يوم السبت قبل أن تعلم برغبته فى القدوم ، ثم ان الناس فى المنزل يشور فضولهم اذا جاء وبات معها . وذكرت فى ختام خطابها أنه يستطيع أن يسافر اليها صباح الاحد ويمضى معها اليوم ثم يعود فى مساءه . وفى هذه الحالة يتناولان طعام الغداء معا فى مطعم وبعدئذ تريحه المرأة التى اتفقت معها على أن ترعى طفلتها !

وقد بارك فيليب يوم الاحد الذى يلقاها فيه بعد ذلك الفراق . وكان الجو صحو . ولما وصل القطار رأى ملدريد تنتظره فشكر لها ذلك . ولما لحظ تقدم صحتها رغبت اليه أن يتركها حيث هى أطول مدة ممكنة ، وقالت ان الناس الذين نعيش بينهم قوم ظرفاء ، وأنها تحتاج الى مثل هذه التسلية بعد الوحدة الموحشة التى عانتها فى الشهور الماضية !

وصارا معا على شاطئ البحر ، وتذكر فيليب أنه لم يمش معها منذ مدة طويلة فاهتم بغتة بما فيه من عرج ومشى معتدلا قدر امكانه ليخففه . ثم قال لها وقد غلبه الحب :



– أمسرة أنت لرؤيتى ؟

– بالطبع ولا حاجة بك لأن تسألنى !

– على فكرة . . ان جريفيث يبعث اليك معى بحبه !

– ما أصفق وجهه !

وكان قد حدثها كثيرا عن جريفيث ونوادره ومغامراته الغرامية . وكانت تصفى الى حديثه عنه أحيانا باستياء ولكن غالبا بفضول . وأفاض فيليب

أيضا في وصف وسامته وظرفه . وقال لها : « انى موقن أنك ستحبينه كما أحبه . فانه ظريف ومسل ، علاوة على طيب قلبه ! »

ثم حكى لها كيف عنى به في مرضه وكيف كان له بمثابة أم رؤوم مع أنهما في ذلك الحين لم يكونا صديقين بعد . ثم قال لها : « ان الانسان يحبه على الرغم منه ! »

فقالت : « ولكنى لا أحب الرجال ذوى الوسامة ، انهم يكونون عادة مغرورين بأنفسهم ! »

فقال : « انه يريد أن يتعرف اليك . وقد حدثته عنك كثيرا ! » فسألته : « وماذا قلت عني ؟ »

وكان فيليب لا يجد أحدا غير جريفيث ليحدثه عن غرامه بملدريد ، وقد حكى له كل قصته معها ووصفها له خمسين مرة . وقد علم جريفيث أن فيليب أنفق عليها قبل وضع بنتها وبعده ، وانه مسافر اليها في نهاية الاسبوع وقال له :

— حقا انك تستأهل جزاء على كل ما فعلت . لقد كلفتك كثيرا . ومن حسن حظك أنك وجدت ما تنفقه عليها ! فقال له فيليب : « لا أبالي ذلك ! »

وبعد تناول العشاء صحبتته الى المحطة وقد تأبطت ذراعه وجعل ينبئها بما اعتزمه من أخذها الى فرنسا ، وبأنه استأجر لهما غرفة في باريس وكان تواقا لان يشتري تذكريتي السفر في أقرب وقت ولكنها أرجأت العودة الى لندن أسبوعا آخر . فقال لها : « أحسبك تميلين الى العودة . أليس كذلك ؟ » فقالت : « طبعا ! »

فقال لها : « انك لا تدريين كيف أنتظر اليوم الذى يجتمع فيه شملنا ! انى من فرط لهفتى أخاف أن يحدث حادث يمنع اجتماعنا ! »

ثم أخذ يحدثها عن باريس ومتاحفها وملاهيها حتى وصلا الى المحطة ، ووجد أن القطار أوشك أن يغادرها فقبلها قبلة سريعة وقفز الى احدى العربات !

عادت ملدريد الى لندن في يوم السبت التالى واحتفل فيليب بعودتها فاشترى تذكريتين بأحد المسارح وتناول معها طعام العشاء وشربا شمبانيا ، وكانت بادية السرور . ثم ركبا عربة لتوصلها الى مسكنها الذى استأجره لها في (بليكو) فلحظ أنها تلتصق به فقال لها : « يخيل الى انك مسرورة بلقائى ! »

فضغطت يده بلطف ولم تجب . وكانت البوادر العاطفية عندها نادرة . . . ثم قال لها : « لقد دعوت جريفيث لتناول العشاء معنا غدا »

فقالت : « يسرنى ذلك فانى اريد ان اراد ! »

ولم يكن هناك مكان من اماكن اللهو يمكن أن يذهب اليه يوم الاحد مساء ،

وخاف ان هو قضاة معها وحده ان يملكها الضجر عنه لقضاء اليوم بطوله معه . وكان جريفيث مسليا فلا شك أنه يساعد على تمضية ذلك المساء في حبور ومرح . ثم ان فيليب كان شغوفاً بهما كليهما وقد تاق لأن يعرف كلا منهما بالآخر . ثم ترك ملدريد وهو يقول لها : « بقيت ستة أيام نسافر بعدها الى باريس ! »

وكانا قد اتفقا على تناول طعام العشاء في مطعم (رومانور) مساء يوم الاحد ولم يلبث جريفيث أن وافاهما اليه ، فقال لملدريد وهو يصافحها : « لقد سمعت كثيرا عنك »

ف قالت له : « ليس بقدر ما سمعته انا عنك ! »

فقال فيليب : « وليس أسوأ . ! »

فسألها جريفيث : « هل كان يفتابني عندك ؟ »

وضحك جريفيث فلفت نظرها بياض أسنانه وانتظامها وشدة وسامته حين يبتسم !

وقال لهما فيليب : « يجب أن تشعرنا كأنكما صديقان قديمان فقد حدثت كلا منكما عن الآخر كثيرا . وكان جريفيث رائق المزاج فقد نجح في الامتحان النهائي وعين مساعد جراح في مستشفى شمالي لندن على أن يتسلم العمل في بداية شهر مايو ، وكان معتزما السفر للراحة الى ان يحين ذلك الموعد . وكان ذلك آخر اسبوع يمضيه في المدينة فاعتزم ان يستمتع بوقته الى اقصى ما يمكن . وبدأ يتحدث حديثه السار الفارع الذي طالما ارتاح اليه فيليب ، ولم يكن فيما يقوله شيء غير عادي يلفت النظر ولكن حيويته كانت تضيف على حديثه حرارة وبهجة . وكانت ملدريد اكثر حيوية مما عهدتها فيليب قبلا ، فسرد نجاح فكرته في ترتيب هذا المساء . وكانت هي نفسها مسلية وقد اخذت ضحكاتها ترتفع وولى عنها البرود والحذر اللذان كانا بمثابة طبيعة ثانية لها !

ثم تجرا جريفيث وعرض عليها وعلى فيليب ان يدعوها باسمها الاول (ملدريد) بدلا من السيدة ميلر . . . فوافق الاثنان على ذلك بحماسة على ان تدعوه هي ايضا باسمه الاول (هاري) بدلا من المستر جريفيث !

وكان فيليب صامتا وهو يستمع الى حديثهما المرح ، وقد سره ان يراهما فرحين هكذا . ولما بدأت انوار المطعم تنطفئ تنبهت وقالت : « لقد مضى المساء سريعا ! . لقد حسبت ان الساعة لا تزيد على منتصف التاسعة ! »

وقاموا . حتى اذا صافحت جريفيث ملدريد قالت له : « سأتناول الشاي عند فيليب غدا فتعال اذا استطعت ! »

فابتسم وهو يعدها بالمجيء !

وفي خلال عودتها الى (بليكو) لم تحدث فيليب الا عن جريفيث ، وقد سحرها جماله وظرفه وأناقته . فقال لها فيليب : « يسرني أنك ارتحت له اذكرين كيف كنت لا تودين ان تعرفيه ؟ »

فقلت : « انه نعم الصديق لك يا فيليب ! »
ثم ادنت منه وجهها ليقبله ، وكان ذلك شيئا نادرا منها . وقالت وهي
تودعه عند منزلها :

— لقد كانت أمسية جميلة يا فيليب . ولقد استمتعت بها حقا . شكرا
جزيلا !

وفتحت الباب وقبل ان تلجه التفتت اليه وقالت : « قل لهارى انى متيمة
حبا به ! »

فضحك فيليب وقال : « لا بأس ! »

وفي اليوم التالى جلس معها لتناول الشاي ، فجاء جريفيث وحياهما
بشاشة وجلس يشاركهما الشاي

ولم يفت فيليب ان كلا منهما معجب بالآخر ، فسرده ذلك لأنه هو نفسه
معجب بهما كليهما . ولم يسؤد انهماك ملدريد في الحديث مع جريفيث ،
فقد كان مثله كمثل الزوج المخلص الواثق من محبة زوجته له، والذي يروقه
ان يرى أحدا يمتدحها ويثنى عليها باخلاص . وعند منتصف الساعة السابعة
قام فيليب وقال لمدريد : « لقد حان الوقت لان نذهب لتناول العشاء »

فقال جريفيث : « لم اكن احسب ان الوقت قد تأخر بنا الى هذا الحد .
انى ذاهب ! »

ولكن ملدريد قالت له : « هل لديك موعد الليلة ؟ »

فقال : « كلا ! » . فقالت : « اذن لماذا لا تأتى لتناول العشاء معنا ؟ »

فنظر الى فيليب واجابها ضاحكا : « لقد تناولت العشاء معكما امس ولا
احب ان اضايقكما ! »

فقلت ملدريد : « كلا ! . بل الامر على عكس ذلك تماما » . ثم التفتت
الى فيليب وقالت له : « قل له يأت معنا يا فيليب ! »

فتورط فيليب واضطر الى ان يدعو . وقبل جريفيث الدعوة لكنه
صعد الى مسكنه هنيهة ليستعد . ولما خرج من الغرفة التفت فيليب الى
ملدريد غاضبا وقال لها : « لماذا دعوته لتناول العشاء معنا ؟ »

فقلت : « لقد رايت من واجب المجاملة ان ادعوه »

وسكتت لحظة ثم قالت : « انى احتاج الى شيء من التسلية احيانا . فانى
امل اذا بقيت وحدى معك دائما ! »

وجاء جريفيث فلحق بهما ، وذهبا الى المطعم . وظل فيليب اكثر الوقت
صامتا ولكنه حاول ان يخفى كدره ، وصار يكثّر من شرب النبيذ ليخفف
ما يشعر به من ألم ، ثم اخذ يتكلم على غير رغبته . وكانت ملدريد قد
ادركت انها اساءت إليه بما قالته فأخذت تتودد اليه قدر امكانها . حتى
سرى عنه ولام نفسه على ما كان من غيرته من صديقه . وبعد العشاء ركبا
عربة الى احد المسارح وجلست ملدريد بين فيليب وجريفيث واذا بها تمسك

بيد فيليب من تلقاء نفسها وعندئذ ولى عنه كل اثر للغضب والغيرة . غير أنه ما لبث ان شعر بأنها تمسك يد جريفيث بيدها الاخرى . . . وعندئذ فقط اخذ يسائل نفسه : هل وقع كل منهما في غرام الآخر ؟ . ولكنه مع ذلك بدا وكأنه لم يلحظ شيئا وظل يتكلم ويضحك !

ثم ثارت بنفسه ، من فرط اليأس . رغبة عجيبة في تعذيب نفسه ، فقام وزعم انه يريد الخروج لكى يشرب ، وهو لا يريد الا ان يتركهما وحدهما ، وكانا لم ينفردا بنفسيهما قط من قبل . واراد جريفيث ان يخرج معه زاعما انه كذلك يريد ان يشرب ولكن فيليب رفض بحزم وقال له : « امكث هنا لتسلى ملدريد ! »

ولم يذهب فيليب الى المشرب الذى بالمرح ولكن الى الشرفة حيث يمكنه ان يراقبهما دون ان يرياه . فرآهما وقد حادا يبصرهما عن المرح وأخذ كل منهما يبتسم للآخر وكان جريفيث يتحدث بطريقة المرحه وهى لا تحيد بنظرها عنه . وشعر فيليب بصداع شديد ، ووقف حيث كان بلا حراك . ورأى انه ان عاد فسيقف في طريقهما ، وتولاه الخجل من ان يعود . وكان موقنا انهما نسياه او كادا وهو الذى دفع ثمن العشاء واجرة العربة وثمر التذاكر . وود لو يتركهما وحدهما ويغادر المرح ، ولكن معطفه وقبعته كانا عندهما ، فلا بد ان يعود اليهما . وقد رأى بارقة انزعاج فى عينى ملدريد حين راته ، فزاد ألمه . . . وقال له جريفيث مبتسما : « لقد غبت كثيرا ! » فقال : « قابلت بعض الاصدقاء فوقفنا نتحدث قليلا ! »

ولما خرجوا ونادى فيليب عربة ، قال جريفيث للمدريد : « سنوصلك كلانا الى بيتك ! »

فأدرك فيليب ان ملدريد رتبت معه ذلك كيلا ينفرد بها في عودتها . وفى الطريق لم تمسك بيده ولا هو حاول ان يمسك بيدها !

ولما عاد مع جريفيث كان كدره اشد من ان يخفيه فسأله فجأة : « هل انت مغرم بملدريد ؟ »

فضحك جريفيث وقال له : « اهذا ما جعلك مضحكا هكذا طول الليلة ؟ . بالطبع لا احبها ! »

واراد ان يتأبط ذراعه ، ولكن فيليب سحبها منه . ثم غلبه الضعف وقال له :

— ان الامر لا يهمنى يا هارى . فان لك صديقات كثيرات . ولكنها بالنسبة لى كل حياتى فلا تأخذها منى . لقد تحملت الكفاية من العذاب !

— انك تعلم حق العلم انى لن آتى شيئا فيه ادنى اساءة لك . لو كنت احسب انك ستنظر الى الامر هذه النظرة لكنت اكثر حذرا !

— اهذا صحيح ؟

— انى لا أكثر مطلقا لصاحبتك . واقسم لك بشرفى على ذلك !

فأحس فيليب بشيء من الراحة . ووقفت العربة امام البيت الذى يسكنانه !

ذل وهوان

كان فيليب في اليوم التالي بادی الانسراح ، وقد عزم ألا يضجر ملديد بطول رفقته ولما رتب معها أن يزورها في وقت العشاء - لا قبل ذلك - ولما ذهب اليها وحدها تسعده للخروج معه وكانت مرتدية ثوبا جديدا اشتراه من قبل . ولكن اعترضت على بعض شيء فيه وقالت انها ستعيده الى الحائك لاصلاحه فقال لها : « اذن يجب أن نسرع حتى يمكنك أن تأخذه معك الى باريس ! »

ثم قال لها : « لم يبق أمامنا الا ثلاثة أيام . وسنسافر بقطار الحادية عشرة ! »

فقالت : « اذا شئت . »

ونظر اليها وكأنه يملأ عينيه بمنظرها ثم قال لها مبتسما : « لست أدري ماذا أراه فيك ! »

فقالت له : « جمين منك أن تقول لي ذلك ! »

وكان جسمها نحيفا حتى ليكاد الناظر يرى هيكلها العظمي ، وصدرها مسطحا كصدر علام وفيها بشفتيه الرفيعتين قبيح المنظر ، وبشرتها خضراء باهتة

ثم قال لها ضاحكا : « حين نسافر الى باريس سأعطيك حبوب (بلود) بوفرة لتصيرى سميحة متوردة ! »

فقالت له : « لا أريد أن أسمن ! »

ولم تتكلم عن جريفيث ولكنه في أثناء تناول العشاء قال لها بخبث : « يبدو لي أنك تغازلت كثيرا مع هاري في الليلة الماضية ! »

فضحكت وقالت : « ألم أقل لك اني متيمة في حبه ؟ ! »

فقال لها : « ينسرنى أنه لبس مغرما بك ! »

قالت : « وكيف علمت ذلك ؟ »

قال : « لقد سألته ! »

فترددت لحظة ، ثم لمعت عينها . وأخرجت خطابا وناولته اياه قائلة :

- أرجو أن تقرأ هذا الخطاب الذي مقبلتمته منه صباح اليوم !

وكان خطابا من ثماني صفحات ، حسن الأسلوب صريحا خلافا ، وفيه يبيها جريفيث حبه ، ويقول انه وقع في غرامها منذ رآها لأول مرة ، وانه قاوم نفسه مراعاة لفيليب وذكر أنه في خجل من نفسه . ويلى ذلك ثناء

على محاسنها . وشكر لها على قبولها تناول الغداء معه غدا وأنه ينتظر ذلك بصبر نافذ !

ولحظ فيليب أن الخطاب مكتوب بتاريخ أمس . فلا بد أنه جريفيث كتبه بعد أن تركه ، وأنه سهر الليل على كتابته بينما كان يحسبه مستغرقا في النوم . وقد قرأ فيليب الخطاب متألما ، ولكنه لم يبد أية دلالة على دهشته . ثم أعاده اليها وقال لها : « هل استمتعت بتناول الغداء معه ؟ »

فقالت : « لا شك ! »

وشعر بيديه بترتشان فأخفاهما تحت المائدة ثم قال لها - لا ينبغي لك أن تحملى حبه لك محمل الجد . فانه كالفراشة التي تنتقل من زهرة الى زهرة !

ونظرت هي الى الخطاب وقالت : « لست أدري ماذا دهاني أنا أيضا . فقد وقعت في غرامه من أول نظرة ! »

فقال : « أحسب أن موقفى صار حرجا ! ألبس كذلك ؟ »

فقالت : « انك تتلقى الأمر بهدوء عجيب ! »

فقال : « وماذا كنت تنتظرين منى ؟ أكنت نريدين أن أشد شعري وأمزق ثيابي ؟ »

قالت : « كنت موقنة أنك ستتكرر منى على الأقل ! »

فقال : « المدهش أنني لست متكدرا قط ، فقد كان جديرا بى أن أتوقع حدوث ما حدث . وكنت أحقق ان جميعكما معا . وأنا عارف أنه يمتاز على فى كل شيء : فهو أجمل وأظرف بمراحل ، ويمكنه أن يتحدث بطلاقة عن أشياء تسليك وتضحكك ! »

فقالت : « لست أدري ماذا تعنى بذلك . اذا لم أكن ذكية فان الأمر ليس بيدي ، ولكنى لست غبية الى الحد الذى تحسبه . انك طبعا أكثر علما معرفة منى ! »

فقال لها : « أتريدى أن تتشاجرى معى ؟ »

قالت : « كلا ! ولكنى لا أريد أن تعاملنى على أنني لا أدري شيئا ! »

فقال لها : « آسف اذا كنت قد أسأت اليك . على أنى أردت أن أتلقى الأمر بهدوء . لقد رأيته تنجذبين نحوه وبدأ ذلك لى أمرا طبيعيا . واكل ما ألقى حقا أنه شجعك مع علمه بشدة حبي لك ، وعلى كل حال لم يكن تصرفا حميدا منه أن يكتب اليك بعد أن أكد لى أنه لا يكثر لك مطلقا ! »

فقالت له : « اذا حسبت انك ستقلل حبي له بدمه فانك تكون مخطئا »

فسكت فيليب قليلا ثم قال : « لا أرى من الحكمة أن تضحى كل شيء فى سبيل ولع لا يمكن أن يدوم . وعلى أى حال فان جريفيث لا يعبأ بأية امرأة أكثر من عشرة أيام ، لكن ما دمت مغرمة به فليس باليد حيلة ، وأحسب أن

إذا لا يمنع أن تبقى العلاقة بيننا ، ولعلك لا تنكرين أنى لم أسىء سلوكى معك . أليس كذلك ؟ لقد كنت أعرف دائما أنك لا تحبيننى ولكنك لا تكرهيننى . وأنا واثق أنك حين نسافر الى باريس ستنسرين جريفيث وكل ما يتعلق به ، وإذا عزمتم على ابعاده عن فكرك فلن تجدى ذلك أمرا شاقا !

فلم تجب ، واستمرنا فى تناول العشاء . ولما طال الصمت بدأ فيليب يتكلم فى شؤون أخرى ، وتظاهر بأنه لم يلحظ أنها غير مصغية اليه وأنها تجيب اجابات مقتضبة . وأخيرا قالت له :

- أخشى يا فيليب ألا أستطيع السفر يوم السبت ! ان الطبيب ذكر لى انه لا ينبغى لى أن أسافر !

وعرف انها تكذب ولكنه مع ذلك سألها : «ومتى اذن تستطيعين السفر؟» فنظرت الى وجهه الجامد وشعرت بشىء من الخوف منه . ولكنها تجرأت وقالت له : « من الخير أن أصرحك بأنى لن أسافر معك مطلقا ! »

فقال لها : « حسنا ! » . لقد أدركت أنك تدورين حول ذلك . ولكن قد فات الوقت لتغيير رأيك . فقد اشتريت تذاكر السفر ومعداته !

فقالت : « أنك صرحت لى بالأ تطلب منى السفر الا اذا كنت راغبة فيه ! » فقال : « نعم كان هذا رأيى ، ولكنى لن أسكت على مثل هذه الالاعيب . ويجب أن تسافرى معى ! »

فقالت : « الواقع انى أأمل اليك كثيرا كصديق . لكنى لا أحبك بالطريقة التى تريدها . . . ولا أطيق ذلك ! »

فقال : « لقد كنت جد راغبة فى السفر منذ أسبوع . أليس كذلك ؟ » قالت : « كان الحال يختلف عنه الآن ! »

فقال : « هذا لانك لم تكونى قد عرفت جريفيث بعد ! » قالت : « لقد قلت انت نفسك انه ليس باليد حيلة ما دمت قد شغفت به حبا ! »

وكانت عابسة الوجه ولا تنظر الا فى الطبق الذى أمامها . ثم قالت له : - ما فائدة سفرى معك ؟ . اننى سأظل أفكر فى هارى طول الوقت . ولن أكون سببا لمسرتك بأنى حال !

فقال لها : « هذا شأنى أنا ، وهو خير لى ! » ففكرت لحظة ثم قالت : « ولكن هذه أنانية منك ! »

فقال : « أنانية منى أنا ؟ . . . فلتكن ! »

فقالت : « كنت أحسبك جنتلمان حقا »

فقال : « لا شك فى أنك كنت مخطئة ! »

وضحك على الرغم منه وهو يقول ذلك . فقالت له وهى تنحب :

- بالله لا تضحك ! لأننى لا يمكننى أن أسافر معك يا فيليب . وأنا
أسف كل لأسف . انى أعرف انى لم أسلك معك الطريق القويم ، ولكن
الإنسان لا يمكنه أن يرغم نفسه !

فقال لها : « أنسيت أنك لما كنت فى ضيق فعلت كل شىء لأجلك ؟ »
نقد بددت مالى فى الانفاق عليك حتى ولدت طفلتك ، ودفعت أتعاب الطبيب
وكل شىء ، ودفعت لك نفقات سفرك وإقامتك ببريتون ، ولا أزال أدفع
نفقة ابنتك وثمان ثيابك ، وقد دفعت ثمن كل ما فوق جسدك الآن ! »
فقالت : « لو أنك جنتلمان ما عيرتنى بذلك ! »

فقال فى غضب : « لو أننى كنت جنتلمان حقا لما ضيعت وقتى مع امرأة
ساقطة منك ، انى لا أكثرث لحبك ، أو بغضك لى ، ولكنى لن أكون مغفلا
بعد اليوم . وستأتين معى الى باريس يوم السبت والا تحملت العاقبة ! »
فاحمر وجهها من الغضب وقالت : « انى لم أشعر بأى ميل اليك ، ولكنك
فرضت نفسك على فرضا ! ولقد كنت أشمئز من قبلاتك وما كنت لأدعك
تلمسنى لولا أنى كنت أعانى الجوع ! »

وحاول فيليب أن يزدرد الطعام الذى أمامه ، ولكن عضلات زوره وقفت
عن أداء وظيفتها . وكان يرتعش من رأسه الى قدميه . وتوقع أن تذهب
ولكنها لم تتحرك وظلت تحملق فى غطاء المائدة الابيض ، وسكتا برهة ثم
قال لها بهدوء : « ألا تذهبين الآن ؟ »

فلم تجب ولكنها جمعت حاجاتها وقفازها وارتدت معطفها . ثم قال لها :
« متى تقابلين جريفيث ؟ » فقالت : « غدا » .
قال : « أرى أن تكلميه بشأن السفر الى باريس »

ثم فتحت خقيبة يدها وأخرجت منها رقعة ورق وقالت : « هذه فاتورة
الحائكة عن هذا الثوب »
- وما شأنى بها !

- لقد وعدتها أن أدفع لها حسابها غدا ، وأكبر ظنى أنك لن تتخلى عنى !
فقال : « لن أدفع ثمن هذا الثوب ! »

فاحمر وجهها وقالت : « سأطلب ثمنه من جريفيث ! »
فقال : « سيكون مسرورا لمساعدتك ، على انه مدين لى بسبعة جنيهات .
وقد رهن ميكروسكوبه فى الاسبوع الماضى لانه لم يكن معه بنس واحد ! »
- انك لا تروعنى بذلك . انى قادرة على أن أكسب معاشى بنفسى !

فقال لها : « هذا أحسن شىء تفعلينه . لانى عزممت ألا أعطيك شيئا بعد
الآن ! »

ففكرت فى أجرة مسكنها التى يجب أن تدفعها يوم السبت ، وفى نفقة
طفلتها ، ولكنها لم تقل شيئا . وبعد أن غادرا المطعم . قال لها فيليب
فى الشارع :

— أأنادى عربة ؟ اننى سأمشى قليلا !

ففالت : « ليس معى نقود اطلاقا فقد دفعت حسابا بعد ظهر اليوم ! »
قال : « لن يضيرك أن تمشى . واذا أردت أن تقابلينى غدا فبساكون
بالبيت وقت الشاى ! »

وخلع قبعته تحية لها ومشى . ثم التفت وراءه فرآها لا تزال واقفة حائرة
حيث تركها ، فعاد اليها وضحك وهو يضع قطعة نقود فى يدها ، ثم قال
لها : « هاك شلنين لتذهبى بهما الى البيت ! » ومضى فى سبيله قبل أن
يقول أية كلمة !



كان فيليب جالسا فى غرفته بعد ظهر اليوم التالى وهو يسأل نفسه :
ترى أتأتى ملدريد ؟ وكان قد نام الليلة الماضية نوما قلقا . ثم قضى صباح
اليوم فى نادى كلية الطب يقرأ جريدة بعد أخرى . وكان الطلبة اذ ذاك
فى اجازة ولم يبق منهم الا قليل فى لندن ولكنه وجد طالبا أو اثنين يتحدث
معهما ويلعب الشطرنج لقتل الوقت !

وبعد تناول العشاء شعر بتعب شديد فذهب الى مسكنه وتمدد فى
فراشه ، ثم حاول أن يقرأ فى رواية . ولم يكن قد رأى جريفيث فى الليلة
الماضية ، فلما سمع وقع خطاه بين غرفتيهما أجفل ، لكن هذا لم يمر عليه
كعادته !

maktbtina.com

وفى صباح اليوم التالى غادر جريفيث الدار متفاديا لقاءه . ولم يمض
قليل حتى سمع فيليب قرعا ضعيفا على الباب ، فأهاب بالقادم أن يدخل ،
ولكن الباب بقى مغلقا ، فقام هو وفتحته واذا به يرى ملدريد أمامه ! فدعاها
الى الدخول والجلوس . وبعد أن ترددت هنيهة قالت له : « شكرا لك على
اعطائى الشلنين ليلة أمس ! »

فقال : « هذا شىء لا يستحق الشكر »

فابتسمت ابتسامة خفيفة ثم قالت له : « لقد تناولت العشاء أمس مع
هارى جريفيث »

فقال بدون اهتمام : « حسنا ! »

ففالت : « اذا كنت لاتزال تحب أن أبتاع معك يوم السبت فانى مستعدة
لذلك ! »

وأحس لذة الفوز ، ولكنه لم يلبث أن غلبه الشك فقال لها : « من أجل
النقود ؟ »

ففالت : « ربما ! ان هارى لا يمكنه أن يصنع شيئا ، فهو مدين بأجرة
مسكنه لمدة خمسة أسابيع ، ومدين لك بسبعة جنيهات ، والحائك الذى

يعامله يلح في طلب ما عليه ، وقد رهن كل ما يمكن رهنه . وقد لقيت صعوبة جمة في مماطلة الحائكة بشأن أجرة حياكة ثوبى ، ويوم السبت على أن أدفع أجرة سكنائى . وأنا لا أستطيع أن جد عملا فى خمس دقائق . وكلما سألت عن عمل قيل لى : انتظرى حتى يخلو محل ! »

وكانت تقول كل ذلك بلهجة ثائرة وكأنها تعدد مظالم القدر ! وسكت هو قليلا ثم سألها : « أهذا ما اتفقت عليه مع هارى ؟ » فأجابت بقولها : « ان هارى لم يقل الا أنك كنت مرفأ الامان لنا كلينا ، وأنك فعلت من أجل ما لا يفعله أى رجل آخر فى مثل موقفك . ولهذا فهو يرى انه يجب أن نلزم جادة الاستقامة معك . وقد اعترف من تلقاء نفسه بما ذكرته أنت من عدم ثباته على الحب ، وأكد أننى أكون حمقاء اذ استبدلنا بك ، لأنه لن يكون لى وفيا مثلك ! »

فسألها فيليب : « وأنت أراغبة فى السفر معى حقا ؟ » فقالت : « نعم ، لا مانع عندى من ذلك الآن ! » فقال لها : « لقد مكثت أنتظر بكل جوارحى ذلك اليوم الذى أسافر فيه معك ، وكنت أقول لنفسى انى سأنعم بالسعادة أخيرا بعد طول العذاب الذى قاسيته . . . و . . . »

وقبل أن يتم كلامه أخذت ملدريد تبكى فجأة ، وصار جسمها النحيل يهتز من التشنج ، فآلمه منظرها وتبددت عزيمته وقام فأحاطها بذراعيه وأخذ يهمس فى أذنيها بكلمات رقيقة . وقال لها : « هل أنت تعسة الى هذا الحد ؟ »

فقالت : « يا ليتنى مت فى أثناء الوضع ! » وكانت قبعتها قد وقعت على الارض فأخذها فيليب ووضعها جانبا ، ثم أراح رأس ملدريد على ظهر الكرسي وجلس على كرسي أمامها وقال لها : - ان الحب قاس ! أليس كذلك ؟ تصورى أن بعض الناس يسعون اليه بأنفسهم !

ثم تولاهما الأعياء وسكتت عن النحيب . فقال لها : « أتحبينه الى هذا الحد ؟ »

ولم يكن يتصور أنها قادرة أن تحب ، ولذا أدهشه أن يراها كذلك . وشعر بعاطفة من الرحمة تغمر قلبه فقال لها : « انى لا أريد لك التعاسة ، ولا ضرورة لأن تسافرى معى اذا كنت لا ترغبين فى ذلك . وسأعطيك المال اللازم على أى حال ! »

فهزت رأسها قائلة : « كلا ! لقد قلت انى مسافرة معك وسأسافر ! » فقال لها : « ما الفائدة اذا كنت متيمة به هكذا ؟ » فقالت : « أجل انى مريضة بحبه . وأنا أعلم أن صلتى به لن تستمر ، كما يعلم هو ذلك ، ولكن فى الوقت الحاضر . . . »

وأغمضت عينيها وكأنها مشرفة على الأعماء . فخطر لفيليب خاطر عجيب وصارحها به تورا فقال : « لماذا لا تسافرين معه ؟ »

فقالت : « واني لى ذلك ولسنا نملك مالا ؟ »

فقال : « سأعطيكما المال الذى تحتاجان اليه ! »

فنظرت اليه متسائلة مستنكرة وقالت : « أنت ؟ ! » . ثم اعتدلت فى جلستها وعاد الدم الى وجهها . . فقال لها :

– لعل أحسن حل هو أن تذهبي وتشبعي عاطفتك ثم تعودي الى
فقلت : « وكيف يتأتى لنا ذلك بمال تمدنا به ؟ ان هارى لن يقبل هذا أبدا ! . . »

فقال لها : « بل يقبله اذا أغريته أنت بقبوله ! »

وجعله اعترضها يزيد اصرارا وهو فى قرارة نفسه يتمنى لو ترفض !
فقلت له والدمع يترقرق فى عينيها :

– أتعنى ذلك حقا يا فيليب ؟ . . آه لو تركتنا نساfer حقا ؟ . . انى اذن
أحبك فيما بعد بكل قلبى . . وسوف أفعل كل ما تريده منى . . انى موقنة
أنى سأتغلب على حبي لجريفيث اذا تركتنى أسافر معه . أصبح انك
ستمدنا بالمال ؟

فاوما يرأسه موافقا وقال : « نعم أمدكما بالمال اللازم لسفركما »

وسرعان ما تغيرت سحنتها من الكآبة الى البشر ، وأخذت تضحك ، ثم
قامت وركعت بجانب كرسيه وأمسكت بيديه قائلة : « أنت شهم يافيليب !
أنت أفضل شخص عرفته فى حياتى . ألا تتكدر منى فيما بعد ؟ »

فhez رأسه نفيا ، وكان يبتسم والالهم يمزق أحشاءه !

فقلت له : « أأذهب الآن الى هارى لآخبره ؟ وهل أذكر له أنك لا تبالى؟
انه لن يقبل الا اذا أكدت أنت أنك لن تغضب . آه . انك تعرف عظيم حبي
له ! وفيما بعد أفعل كل ما تريده منى ، وسأسافر معك يوم الاثنين الى
باريس أو الى أية جهة تختارها »

وقامت ولبست قبعتها فقال لها : « انى لا أريد أن أرى جريفيث الآن ،
فان ذلك يؤلمنى كثيرا . يكفى أن تذكرى له انى غير حائق عليه أو شيئا
من هذا القبيل : »

فقلت : « حسنا ! وسأخبرك بما يقوله » . ثم نهضت وانصرفت !



تناول فيليب طعام الغداء فى مشرب كلية الطب ، ثم ذهب الى مسكنه ،
ولما رأى صاحبة البيت سألها : « هل المستر جريفيث فى غرفته ؟ »

فقلت له : « كلا يا سيدى . . لقد خرج صباح اليوم عقب خروجك ولم يعد حتى الآن » .

فسألها : « أتعرفين متى يعود ؟ » . فقلت : « انه لن يعود يا سيدى فقد أخذ متاعه معه ! » .

فمجب فيليب من ذلك ، وتناول كتابا وشرع يقرأ فيه . وكان كتاب بيرتون : « رحلة الى مكة » وقد استعاره فى ذلك اليوم من مكتبة « وستمنستر » وقرأ الصفحة الاولى من الكتاب ولكنه لم يفقه شيئا فقد كان طول الوقت يصغى لعل جرس الباب يدق . وتمنى فى نفسه لو أن جريفيث سافر الى بيتهفى (كمبولاند) دون أن يأخذ ملديرد معه . وتوقع أن تأتى ملديرد لتأخذ منه المال اللازم . وجمع ارادته وعاد يقرأ ولكن دون جدوى . فقد عاد فكره الى جريفيث وملديرد ، وندم على ما وعداها به من اعطائها مالا لتسافر به مع منافسه . ثم خطر له أن يخرج ولا يعود حتى منتصف الليل ، وبذلك لا يمكنهما السفر . وتصورهما يسألان كل ساعة : هل عاد ؟

وسره ما تصوره من كدرهما حينذاك . ولكنه عاد يقول لنفسه : « كلا ! بل يأتيان ويأخذان النقود ، وعندئذ أكون قد دفعت بهما الى هوة سحيقة من النذالة ! » .

ثم جاءت ربة البيت وقالت له : « ان السيدة ميلر تريد مقابلتك يا سيدى » .

فقال : « دعيها تدخل » .

وتمالك نفسه حتى لا ترى ملديرد آية دلالة على شعوره ، وبوده لو يركع أمامها ويمسك يديها ويتوسل اليها ألا تسافر مع جريفيث . ولكنه يثس من مثل هذه المحاولة ، وأيقن أنها جديرة بأن تنبئ جريفيث . فحجل من نفسه . واكتفى بأن قال لها : « ماذا قررتما فى شأن النزهة البسيطة ؟ » . فقلت : « سنسافر ، وهارى ينتظرنى الآن فى الخارج . وقد أخبرته بأنك لا تريد أن تراه . ولكنه يريد أن يقابلك دقيقة واحدة لكى يسلم عليك ! » .

فقال : « كلا ! لن أراه ! » .

وأراد يخلص منها بسرعة فأعطاه ورقة بنكنوت بخمسة جنيهات . فأخذتها شاكرة وهمت بالذهاب فقال لها : « متى تعودين ؟ » .

فقلت : « يوم الاثنين ، ان هارى سيقول الى أبويه بعد ذلك ! » . وكان يعلم أن ما سيقوله فيه حطة له ، ولكنه كان أسير الغيرة والرغبة معا فقال لها بلهجة الرجاء : « وعندئذ أراك . . أليس كذلك ؟ » .

فقلت : « نعم ، وسأخبرك بعودتى فى حينها ! » .

ثم صافحته وخرجت ، فوقف ينظر من النافذة وراء الستار ، ورآها نركب عربة كانت منتظرة أمام البيت . فلم يشك فى أن جريفيث كان

بالسا بها . فارتمى على سريريه وأخفى وجهه بين يديه وتساقط الدمع من عينيه وأحس حنقا على نفسه !



استطاع فيليب أن ينتظر على نار حتى حل يوم الاثنين ، موعد رجوع ملدريد وجريفيث، وقد عجب من نفسه اذ شعر بأنه شديد البغض لجريفيث فى حين ما زال على حبه لملدريد ورغبته فيها برغم كل ما حدث !

وعند المساء رأى نفسه يمشى الى البيت الذى تقطنه ثم ينظر الى نافذة غرفتها ، فلم يجد أى ضوء ينبعث منها ، ولم يجرؤ على السؤال عنها ! . وكان واثقا من أنها ستفى بوعداها . وفى صباح اليوم التالى لم يصله خطاب منها . فلم يدر لذلك تفسيراً . وذهب الى بيتها عند الظهر ليسأل عنها فعلم أنها لم تعد . وكان يعلم أن جريفيث يجب أن يعود قبل يوم الثلاثاء لأن عليه أن يحضر حفلة عرس عند أهله . ثم ذهب مرة أخرى بعد الظهر وترك لها رقعة من الورق يطلب فيها اليها أن تتناول معه طعام العشاء فى مساء اليوم نفسه - وكان لم يحدث شئ ! - وحدد لها الوقت والمكان . ولكنها لم تأت !

وأراد أن يسأل عنها فى بيتها صباح يوم الاربعاء ، لكنه خجل فأرسل اليها خطابا مع غلام وأوصاه بأن يجيئه بالرد ، لكن الغلام عاد بخطابه اليها بدون أن يفرض غلافه وقال : « انها لم تعد من سفرها »

وغضب فيليب الى أقصى حد . اذ شعر بأنها خدعته ، لكنه نسب الذنب كله الى جريفيث واشتد حنقه عليه حتى ود لو يقتله ! وكان لا يحب الويسكى ولكنه تعمد الاكثار منه ليسكر . ثم أوى الى فراشه سكران لا يعى !

وفى صباح يوم الخميس ، صبحا من النوم متأخرا ، وجر رجله الى غرفة الجلوس ليرى ما وصل من البريد ، فعجب اذ وجد خطابا بخط جريفيث هذا نصه :

« صديقى العزيز

« انى لا أدري كيف أكتب اليك ، ولكنى مع هذا أشعر بأن على أن أكتب . آمل ألا تكون شديد الحنق على . انى أعرف أنه ما كان ينبغى لى أن أسافر مع ميللى (تدليل ملدريد) ولكنى لم أستطع مقاومة نفسى ، فقد شغفت بها حبا ، وكنت أهلا لأى شئ كى أظفر بها . ولما أخبرتنى أنك عرضت عليها أن تعطينا تكاليف السفر لم أستطع أن أرفض . والآن وقد انتهى كل شئ أشعر بالحجل من نفسى ، وآسف لما كان من حمقى ، وأتمنى لو تكتب الى لتنبئنى أنك لست غاضبا على وأن تسمح لى بزيارتك ، فقد تأملت كثيرا اذ

قالت لميللى انك لا تريد أن ترانى . أرجو منك أن تكتب الى ولو سبطرا
واحدا تخبرنى فيه أنك صفحت عنى . . ان ذلك يريح ضميرى . لقد حسبت
أنك لا تبالى والا ما كنت تعطينا نفقة السفر . وانى أعرف أنى ما كان
يليق بى أن آخذها . وقد عدت الى أهلى يوم الاثنين ، ولكن ميللى أرادت أن
تمكث يومين آخرين فى اكسفورد وحدها ، وستعود الى لندن يوم الاربعاء ،
غفى الوقت الذى تتسلم فيه هذا الخطاب تكون هى قد عادت اليك وأملى أن
يسير كل شىء على ما يرام . وأكد رجائى فى أن تكتب الى وتبلغنى صفحك
عنى . أرجو أن تكتب الى فوراً هارى »

ومزق فيليب الخطاب فى غيظ وغضب ، ولم يفكر لحظة فى الرد عليه ،
وقد أحس ازدراء لجريفيث لكل ما اعتذر به ولم يعبأ بما ذكره من تأنيب
ضميره له ، فان الانسان يمكنه أن يأتى أفطح الاشياء ، ولكن مما يدعو الى
احتقاره أنه يندم عليها فيما بعد ، وقد رأى أن هذا الخطاب ينم عن جبن
صاحبه وريائه . وقال لنفسه ساخراً : « ما أيسر أن يرتكب الشخص
ه' يرتكب ثم يبدى أسفه فتتصلح الأمور ! » . وتمنى لو تتاح له فرصة
لانتقام منه !

ولكن المهم أنه علم من ذلك الخطاب أن ملديرد الآن فى لندن ، فأسرع
فى ارتداء ملابسيه ، ولم يصبر حتى يحلق ذقنه وتجرع فنجان شاي ثم
ركب عربة الى بيتها . وخيل اليه من فرط تلهفه أن العربة تزحف ببطء
ولا تجرى . . وجعل يسأل الله أن تستقبله استقبالا حسنا . وقد اعتزم
أن ينسى كل ما كان . ودق جرس الباب وقلبه بدق سريعا ففتحت له خادمة
فسألها : « هل المسز ميللر هنا ؟ »

فقالت : « لقد ذهبت ! »

ونظر الى الخادمة متسائلا : « أين ؟ » . فقالت له : « لقد جاءت منذ ساعة
وأخذت كل أمتعتها وذهبت ! »

فمكث لحظة لا يدرى ما يقول ثم سألها : « ألم تترك خطابا ؟ ألم تقل الى
أين هى ذاهبة ؟ »

وأدرك انها خدعته مرة أخرى ولن تعود اليه . وأراد أن يخفى خجله
فقال للخادمة : « لا بأس ! لعلها أرسلت الى خطابا بعنوانى ! »

وعاد الى بيته حزينا يائسا ! . . لقد كان جديرا به أن يتوقع منها هذه
الحديعة ، لانها لم تكثرث له قط . وقد كان أحق منذ البداية . وهى امرأة
خالية من الرحمة والمروءة ، وليس عليه الآن الا أن يواجه هذه النتيجة
المحتومة !

وكان الالم الذى شمله أشد من أن يطيقه حتى لقد تمنى لنفسه الموت ،
وفكر فى أن ينتحر ويخلص من هذا العذاب ، ومر بخلده أن يرمى نفسه
فى النهر أو يضع رأسه على شريط السكة الحديدية ، غير أنه لم يكد يفكر
فى الانتحار حتى أبته نفسه ، ودله عقله على أن الزمن كفىل ببراء حراجه ،

وأنه بشيء من الجهد سوف ينساها ، وإن من الحق أن يقتل نفسه من أجل امرأة ساقطة . إن له حياة واحدة فمن الجنون أن ينهيها هكذا . إن احساسه كأن ينبئه بأنه لن ينساها ولكن عقله كان يغريه بالصبر حتى يعمل الزمن عمله !

واعتزم أن يغادر لندن لأن كل شيء فيها يذكره بشقائه ، فأرسل برقية إلى عمه ينبئه فيها بأنه قادم إلى (بلاكستيل) وسرعان ما أعد حقائبه وسافر في أول قطار . لقد أراد أن يبعد عن ذلك البيت الكئيب الذي قاسى فيه كل تلك الآلام ، وأن يستنشق هواء نظيفا . . . وكان يخطأ على نفسه ، بل حسب نفسه مجنونا فقد التبصر والوعى !

maktbtna.com



الفصل الخامس

انتقام القدر

عاد فيليب الى لندن قبل يومين من بدء الدراسة لكي يبحث لنفسه عن مسكن . وقد وجدته في حي (كنجتن) الهادئ العتيق الذي يذكر بلندن التي وصفها (تاكرای) في رواياته . وكانت المنازل التي بالشارع مؤلفة من طبقتين ، وقد وجد على بعضها لافتات تنبئ بخلوها ، فاستأجر مسكنا مؤلفا من ثلاث غرف صغيرة ومطبخ ، وكانت ربة البيت امرأة عبوسا صامتا . . وطلب اليها ان تتولى تنظيف البيت واعداد طعام الفطور له كل يوم فأبت ذلك بحجة ان لديها من العمل ما يكفيها . . والواقع ان هذا لم يغضبه بل سره لانه أدرك انها لن يكون لها شأن معه الا ان تقبض الايجار . . وقد نصحت له بأن يسأل البقال الذي على ناصية الشارع والذي يؤدي أيضا مهام البريد . . . عن امرأة تؤدي له ذلك العمل !

وكان عند فيليب بعض قطع الأثاث اشتراها خلال تنقلاته بلندن ومن بينها كرسي كان قد أحضره معه من باريس ومائدة ، فضلا عن بعض الصور والرسوم . وقدم عمه له سريرا من السرر التي يمكن طيها وكان قد فاض عن حاجته . ثم أنفق فيليب عشرة جنيهات في شراء حاجيات أخرى له . ومن بين الصور التي علقها على الحائط صورة كان لوسون قد أهداها اليه وكان فيلب قد بدأ يحضر محاضرات في التطبيب والجراحة . وفي صباح بعض الايام كان يعمل في تضييد بعض المرضى في العيادة الخارجية وهو سعيد بأن يكسب من ذلك قليلا من المال ، وبدأ يتعلم أيضا الفحص بالسماعة ، وتركيب الادوية ، ويستعد لامتحان العقاقير في شهر يوليو المقبل . وكان مهتما بدراسته مقبلا عليها

وقد رأى جريفيث مرة من بعيد ولكنه تفادى لقائه . وصار يحتاط كذلك مع أصدقاء جريفيث ، وبعضهم كانوا أصدقاء له أيضا ، اذ ايقن انهم عالمون بسبب طبيعته له . وكان أحدهم يدعى (رامسون) وهو أشدهم إعجابا بجريفيث حتى ليقلده في زيهِ ، فتطوع لاصلاح ما بينهما فسأله فيليب : « أهو الذي طلب اليك ذلك ؟ »

فقال رامسون : « كلا ! . بل انا اقوم بهذا المسعى من تلقاء نفسي . على

انه دائم الندم على ما فعل ، وينوه بأنك كنت دائما نعم الصديق له . وهو لا يأتى الى المستشفى خوفا من أن يلقاك فلا تكلمه ! »
فقال فيليب : « هذا ما ينبغي لى ! »

— ولكن هذه القطيعة سبب تعاسته . وهو مستعد لاي شيء حتى صفح عنه

— هذه طفولة منه او رياء . ومن انا حتى يهتم بى كل هذا الاهتمام ؟
انه ولا شك يستطيع أن يحيا دون صحبتى !

وحسب رامسون أن فيليب يغالى فى قسوته على جريفيث فقال له :

— إن هارى يتمنى لو لم يعرف تلك المرأة قط ! وانى لارجو معه أن تكون قد شفيت من غرامك بها ! »

وما لبث رامسون أن قص على فيليب قصة جريفيث مع ملدريد ، فأصغى اليه وابتسامة لا تفارق شفثيه ، وعلم أن نهاية الاسبوع التى قضتها ملدريد مع جريفيث قد ألهمت عاطفتها نحوه بدل أن تطفئها ، فلما سافر جريفيث الى أهله بقيت يومين فى اكسفورد وحدها لانها كانت قد شعرت بالسعادة فيها . . ولم تحس بنفسها اية رغبة فى العودة الى فيليب بل صارت تشمئز منه . وقد استاء جريفيث من تعلقها به لانه كان قد ملها بعد أن قضى معها يومين فى تلك البلدة ، ولم يفكر قط فى أن يجعل من ذلك الحادث العارض علاقة غرامية دائمة . وطلبت اليه أن يكتب اليها . ولما كان شابا مؤدبا يحب أن يرضى كل انسان فانه كتب اليها بضعة أسطر بعد أن وصل الى بلدته . فردت عليه بخطاب مبذل يفيض عاطفة ، برغم انحطاط أسلوبها . فتلقى خطابها بضجر ، حتى اذا تسلم منها بعد ذلك خطابا فى كل يوم من الايام الثلاثة التالية ايقن أن صلتها به أصبحت مزعجة لا مسلية فلم يجب ، وعندئذ صارت ترسل اليه برقية تلو برقية تسأله هل هو مريض ؟ وتقول أن صمته يقلقها . . واخيرا اضطر الى أن يرد عليها ولكنه حرص على أن يكون رده بارد اللهجة مع التزامه الادب والمجاملة ، وقد طلب اليها فيه ألا ترسل اليه برقيات لأنه من الصعب أن يفسر لأمه سببها لها وهى سيدة عتيقة تحسب أن وصول برقية حادث يثير الخوف ! . فكتبت اليه خطابا ذكرت فيه أنها تريد أن تراه وأنها سترهن ما عندها ومنه الثوب الجديد الذى اشتراه فيليب لها ، لكى تسافر الى المدينة التى تبعد أربعة أميال من قريته حيث عيادة أبيه . وقد ارتاع فيليب من ذلك فبادر الى إرسال برقية اليها أكد فيها رغبته فى الاتأتى ، ووعدا بأن يلقاها فيما بعد ، على أن يتصل بها فور عودته الى لندن . لكنه حين عاد علم أنها ترددت على المستشفى مرات للسؤال عنه ، فساءه ذلك ، وما كاد يلقاها حتى حذرها من أن تأتى الى المستشفى لاي سبب من الأسباب . والآن بعد أن غاب عنها ثلاثة أسابيع رأى أنها مضجرة ، وجعل يسائل نفسه : لماذا اهتم بها ؟ واعتزم أن يقطع كل علاقة له بها . ولما كان يكره الشجار ولا يحب أن يسبب

أما لأحد فانه قابلها بلطف وبشاشة وانتحل لها الاعذار اذ لم يقابلها في الايام الماضية . ولما اجبرته على ان يعدها باللقاء اخلف وعده معها، ثم صار يرسل اليها برقيات يعتذر فيها ، وكلف ربة البيت الذي يسكنه ان تقول لها : « أنه ليس بالبيت » كلما جاءت تسأل عنه . ثم صارت تنتظره في الطريق فيتخلص منها ببضع كلمات لطيفة !

وبرع في الخروج من المستشفى دون ان تلحظه وهي واقفة تنتظر ! . وفي ذات يوم كان عائدا الى بيته فرآها من بعيد فعاد ادراجه وبات ليلته في بيت (رامسون) . وفي اليوم التالي انبأته ربة البيت ان ملدريد جلست ساعات على الدرج وهي تبكي حتى اضطرت الى ان تنذرها باستدعاء شرطى اذا هى لم تذهب ! .

ثم قال له رامسون : « احمد الله على أنك خلصت منها . ان هارى جريفيث يقول انه لو كان قد تصور انها ستضايقه الى هذا الحد لما عرفها قط ! »

فتصورها فيليب جالسة على سلم بيت جريفيث ساعات متوالية مساء وهي تبكى . وتصور وجهها وهي تنظر الى ربة البيت نظرة التوسل والاستعطاف . ثم يسأل رامسون :

— ترى ماذا تفعل الآن ؟

فقال له : « لا شك انها قد وفقت الى عمل ما، والله الحمد فان ذلك يشغلها طول اليوم ! »

وكان آخر شيء سمعه فيليب قبل انتهاء السنة الدراسية ان جريفيث اضطر أخيرا الى ترك جانب الادب والمجاملة معها ازاء الحاحها ، وانه صارحها بأنه ضجر من ملاحقتها له ، وانها يجدر بها ان تبتعد عنه ولا تضايقه بعد ذلك !

فسأله فيليب : « اذن انتهى كل شيء بينهما ؟! »

فقال : « اجل ، ولم يقابلها منذ عشرة ايام . انك تعرف هارى وبراعته في الخلاص من صديقاته . غير ان هذه المغامرة كانت أشد مغامراته كلها ولكنه عرف كيف يتخلص منها كذلك ! »

وبعد هذا لم يسمع فيليب أى نبأ عن ملدريد فقد اختفت بين ساكنى لندن كقطرة في بحر !



فلسفة رجل

انتهى فيليب من التمرين في العيادة الخارجية ، وصار مساعدا في القسم الداخلي من المستشفى لمدة ستة أشهر ، وكان عليه أن يقضى صباح كل يوم في أقسام المستشفى ، أولا في جناح الرجال ثم في جناح النساء ، مع الطبيب المقيم ، وكان عليه أن يدون بيانات عن الحالات المرضية ، ويقوم بالفحص ويلزم الممرضات في بعض أوقات النهار . وبعد ظهر يومين في الاسبوع كان الطبيب المقيم يطوف مع طائفة من الطلبة ليفحص المرضى ويدلي بالتعليمات . وقد أفاد فيليب من عمله هذا خبرة واسعة . وكان على صلة طيبة بالمرضى يعطف عليهم ويشجعهم . وسرعان ما لاحظ أن المرضى الذكور أقرب الى الرضاء عنه من النساء المريضات فقد كن ضيقات الصدر سريعات الغضب والشجار مع الممرضات بلا موجب . .

وكان من حسن حظه أن توطدت الصداقة بينه وبين أحد المرضى ، ففي ذات صباح عهد اليه الطبيب المقيم في مراقبة حالة مريض جديد ، فأخذ يدون البيانات المعتادة عن المريض ، وكان مكتوبا أمام مهنته أنه (صحفي) ، واسمه (ثورب اثلني) وعمره ثمان وأربعون سنة . وكان يقاسى مرض اليرقان ووضع تحت المراقبة من جراء بعض أعراض غامضة عنده . وسأله فيليب الأسئلة المعتادة فأجاب عنها ببساطة . ولفت نظر فيليب صغر يديه وطول أصابعه وتورد لون أظافره . وكان قد مد يده خارج ملء السرير . ولما كان راقدًا فان فيليب لم يدر أطويل هو أم قصير ولكن صغر حجم رأسه دل على أنه أدنى الى القصر . وبرغم اصفرار وجهه من المرض كان مشرقا وله لحية صغيرة مدببة الطرف

وسأله فيليب : « في أي الصحف تكتب ؟ »

فقال : « اني أكتب في جميع الصحف ! ولا تفتح جريدة حتى ترى بها شيئا مما أكتبه ! »

وتناول جريدة بجانب السرير وأشار الى اعلان منشور بها بحروف كبيرة عن (لين وسيدلي - بشارع ريچنت بلندن) وكان فيليب يعرف هذا المتجر المشهور . وتحت ذلك العنوان بحروف أصغر قليلا : « التسويف يسرق الوقت » . ثم هذا السؤال : « لماذا لا تشتري اليوم ؟ » . يلي ذلك : « آلاف من القفازات من أكبر مصانع العالم بأسعار مخفضة » . وأخيرا يعود السؤال : « لماذا لا تشتري اليوم ؟ »

ثم قال الرجل : « اننى المندوب الصحفي لحل لين وسيدلي » وأخذ فيليب يسأله الأسئلة المعتادة ، بعضها بالشكل الرتيب (الروتين)

وبعضها بوسائل مختلفة للوصول الى معلومات قد تفيد في علاجه :

- هل عشت في الخارج حيناً ؟

- نعم في اسبانيا سبع سنوات !

- ماذا كنت تعمل هناك ؟

- كنت سكرتيراً للشركة الانجليزية للمياه في مدينة طليطلة

لم يكن مرض (ثورب آثلنى) مرضاً خطيراً ، وقد تحسنت حالته وشيكا وان بقي بوجهه اصفراره ، وبقي في الفراش لأن الطبيب أراد مراقبة بعض التطورات في المرض !

وفى خلال الايام التالية توثقت علاقة فيليب به فصار يمضى لحظات فراغه معه . وكان محدثاً ظريفاً لبقاً ، ذا معرفة بالعالم وعلى اطلاع كبير

وسأله فيليب ذات مرة لماذا دخل المستشفى ؟ فأجاب :

- اننى أحب دائماً أن أنتفع بكل المزايا التى يمدنى بها المجتمع . فأنا أفيد من نظم العصر الذى أعيش فيه . وكلما مرضت دخلت المستشفى دون خجل كاذب . كذلك أدخل أولادى المدرسة الداخلية ، وفيها يتعلمون أحسن مما تعلمت أنا فى (ورشستر) . ان لى تسعة أطفال ، فكيف كنت أعلمهم لولا ذلك ؟ يجب أن تزورنا وتراهم !

وقد وعده فيليب بزيارته . وبعد عشرة أيام تحسنت صحة (ثورب آثلنى) فاستطاع أن يغادر المستشفى ، وأعطى فيليب عنوانه واتفق معه على أن يتناول عنده طعام الغداء يوم الأحد التالى . وكان قد أخبره بأنه يقطن فى منزل بناه (انيجو جونز) . وكان بيتاً عتيقاً فى أشد الحاجة الى الطلاء ، يقع فى شارع صغير بين « تشانسرى » و « هولبورن » ولعله كان فى الزمان الحالى من البيوت الراقية ولكنه الآن كبيت من بيوت الفقراء ، وهناك مشروع لهدمه مع المنازل المجاورة لاقامة عمارات كبيرة فى مكانها . وقد أمكن (آثلنى) أن يستأجر الطابقين الاعلى منه بايجار مناسب لدخله

وأنجز فيليب وعده فتوجه لزيارة (آثلنى) . ففتح هذا بنفسه له الباب ، وكان مرتدياً سراويل زرقاء من الكتان كالتى يلبسها العمال فى فرنسا ، وسترة من المخمل . وبعد أن استقبله بترحيب حار شرع يحدثه توا عن البيت وأدخله الطابق الأسفل - مع انه لا يسكنه - فرأى فيليب أمامه امرأة بادية وثلاثة أطفال يتناولون طعام الغداء . وقال لها (آثلنى) :

- لقد أحضرت هذا السيد لأريه السقف . كيف أنت يا مسز هودجسن ؟ هذا هو المستر كارى الذى كان يعنى بى فى المستشفى

- تفضل يا سيدى . ان صديق المستر (آثلنى) هو صديقنا . انه يرى هذا السقف لجميع أصدقائه ، ولا يبالي سواء أكنّا فى الفراش أم كنت أغسل الملابس !

وأدرك فيليب توا ان القوم يعدون (اثلنى) شخصا ذا شذوذ ولكنهم يحبونه ويصفون اليه حين يتكلم عن السقف وعن طراز البناء فى القرن السابع عشر !

ثم جاء المستر هودجسون فقال له اثلنى :

— من الاجرام أن يهدم هذا البيت . انك يا هودجسن مواطن ذو نفوذ ، فلماذا لا تكتب فى الصحف معارضا ذلك المشروع ؟

فضحك الرجل وقال لفيليب : « ان المستر اثلنى يحب أن ينكت ! . ان هذه المنازل كما يقولون غير صحية ، ومن الخطر سكناها !

فصاح اثلنى : « وماذا تهمنا الصحة ؟ . ان الفن فوق كل شئ ! . ان عندى تسعة أطفال يترعرعون على سور المجارى ! »

وعندئذ جاءت فتاة صغيرة تقول لاثلنى :

— ان أمى تقول لك : كف عن الكلام ، وتعال تناول الغداء

فقال اثلنى لفيليب مشيرا اليها : « هذه ابنتى الثالثة ، واسمها (ماريـا دل بيلار) ولكنها تؤثر عليه اسم (جين) . »

ثم صعدا الدرج ودخلا غرفة الطعام ، ولم يكن بها سوى مائدة وكريسيين وبعض قطع من الأثاث العتيق . وبينما كان (اثلنى) يبين له تاريخ ذلك الاثاث دخلت فتاة طويلة القامة تتدلى على ظهرها جديلتان من شعر كستنائى وقالت :

— ان أمى تقول ان الغداء اعد ، وسأحضره حين تجلسان الى المائدة

فقال لها أبوها : « تعالى يا (سالى) وصافحى المستر كارى »

ثم التفت الى فيليب وقال له : « أليست عظيمة ؟ . انها أكبر أولادى . كم سنك يا سالى ؟ »

ف قالت : « خمس عشرة سنة يا أبى »

فقال اثلنى : « لقد عمدتها باسم (ماريـا دل سول) لأنها أول أولادى ، وقد وهبتها الى شمس كاستيل ولكن أمها تسميها (سالى) وأخوها يسميها (وجه البودنج) . »

فابتسمت الفتاة فى حياء ، وبانت لها أسنان بيضاء منتظمة ، واحمر وجهها خجلا . وكانت بديعة التكوين ، وأطول من سنـها ، ولها عينان تشعان بالحـور وجبهة عريضة وخدان تعلوهما جـمرة !

ثم قال لها أبوها : « اذهبنى الى أمك وقولى لها تأت لتصافح المستر كارى قبل أن يجلس للغداء ! »

ف قالت : « ان أمى تقول : انها ستأتى بعد الغداء لأنها لم تغتسل بعد ! »

فقال اثلنى : « اذن نذهب نحن اليها فان المستر كارى لا ينبغى له أن يأكل بودنج يوركشير قبل أن يصافح اليد التى صنعتـه ! »

وتبع فيليب مضيفه الى المطبخ ، وكان صغير المساحة مزدحما بالادوات ، وكانت به ضجة شديدة لكنها انقطعت حين دخلا ، فوجد فيليب فى وسطه مائدة كبيرة جلس اليها أطفال اثلنى ينتظرون الطعام . ووقفت امرأة أمام الفرن تخرج منه قطعة من البطاطس بعد أخرى . وقال لها زوجها :

— هذا هو المستر كارى يا بيتى !

فقالت : « كيف تحضره الى المطبخ ؟ ماذا يقول عنا ؟ »

وكانت تلبس مئزرا وقد شمرت عن ساعديها للعمل . . وهى امرأة ضخمة الجسم ، أطول من زوجها بثلاث بوصات على الأقل ، لكنها جميلة الوجه ذات عينين زرقاوين وملامح تدل على العطف والشفقة . وقد جعلها تكرار الحمل والوضع امرأة بادنة . ثم وقفت ومسحت يديها فى مئزرها وصافحت فيليب قائلة :

— مرحبا بك يا سيدى . لقد قال لى (اثلنى) انك كنت شقيقا به حين كان بالمستشفى !

ثم أخذ اثلنى يقدم له أولاده ، وقد بدأ بالذكر أولا : ثورب ، واثلستان ، وهارولد ، وادوار . ثم ثنى بالانثى : ماريا دى سول (سالى) ، وماريا لوس مرسيديس ، وماريا دل بيلار ، وماريا دل كونسيبسيون ، وماريا دل روزاريو — وكلها أسماء اسبانية

فاعترضت المسز اثلنى قائلة :

— انى أناديهن : سالى ، ومولى ، وكونى ، وروزى ، وجين . والآن يا اثلنى اذهب الى غرفة الطعام لأرسل اليكما غداءكما . وسأحضر الاولاد بعد ذلك

ولما جلسا الى المائدة قال له فيليب :

— أخشى أن تكون قد وضعت هذه المائدة هنا من أجل خصيصا . لقد كان يسرنى أن أكل فى المطبخ مع الأطفال !

فقال له : « كلا ! . انى أتناول طعامى هنا وحدى دائما . فانى أؤثر العادات العتيقة ، وأعتقد أن النساء لا يصح أن يجلسن مع الرجال الى المائدة فان ذلك يفسد الحديث ، وهو بعد ضار بهن اذ يدخل فى رؤوسهن أفكارا ، والنساء لا يرتحن اذا بدأن يفكرن !

فضحك الاثنان وأخذا يأكلان بشهية . ثم قال له :

— هل ذقت فى حياتك بودنج يوركشير بهذا الاتقان ؟ . ان زوجتى وحدها هى التى تعرف كيف تصنعها هكذا . وهذه ميزة الزواج بامرأة ليست بسيدة . ألم تلاحظ أنها ليست سيدة ؟

وكان سؤالا محرجا فقال فيليب بارتباك : « كلا ! . لم أفكر فى ذلك ! » فضحك اثلنى ضحكته المرحه وقال : « انها ليست سيدة . لقد كان

أبوها فلاحا ، ولم تشغل بأنها بالتعليم قط . وقد ولد لنا اثنا عشر طفلا يعيش منهم الآن تسعة . وأنا أقول لها : ان هذا يكفي ولكنها امرأة عبيدة وقد أصبح الحمل عادة لها وأحسبها لن تقنع الا اذا صار لها عشرون طفلا !

وفى تلك اللحظة جاءت سالى باجعة وصبت منها فى كأس فيليب . ثم ذهبت الى الجانب الآخر من المائدة لتصب لأبيها فى كأسه فأحاط وسطها بذراعه وقال لفيليب :

- هل رأيت قط فتاة جميلة ممشوقة القد مثل هذه ؟ ان عمرها لا يزيد على خمس عشرة سنة ، وهى مع ذلك تبدو وكأن عمرها عشرون سنة ، ولم تمرض يوما فى حياتها . ان الرجل الذى يتزوجها هو رجل سعيد . أليس كذلك يا سالى ؟

فعراها الحجل من سماع ذلك وقالت : « لا تدع طعامك يبرد يا أبت ! » وتركتها وخرجت . وتناول أثلى كأسه وشرب جرعات كبيرة من الجعة ثم قال :

- هل فى العالم شئ أحسن من الجعة الانجليزية ؟ دعنا بحمد الله على مسراتنا البسيطة . لقد تزوجت سيده مرة . يا الهى ! حذار أن تتزوج سيده يا ولدى !

فضحك فيليب ولكن أثلى اتخذ سمت الجد وقال له

- انك تضحك يا ولدى . . انك لا تتصور كيف يكون الزواج بواحدة أدنى طبقة منك . أنت تريد زوجة مثقفة مثلك . ورأسك مملوء بفكرة الشركة فى الحياة والزماله وما أشبه . ولكن هذا هراء ! ان الرجل لا يحتاج الى زوجة يتكلم معها فى السياسة أو العلم أو الآدب . وانما يحتاج الى زوجة تقدر أن تطهى له طعامه وأن تربي له عياله . وأنا قد جربت الحالتين ولذا أعرف الحقيقة . دعنا الآن نأكل البودنج !

وصدق بيديه فجاءت سالى وشرعت تحمل الصحون ، فحاول فيليب أن يساعدها ولكن أثلى منعه قائلا : « دعها وحدها يا ولدى ! » انها لن تحسب أن من عدم اللياقة أن تجلس وهى تخدمك . انها لا تبالي بالمجاملة الدالة على الفروسية اطلاقا !

ثم التفت الى سالى وقال لها : « أتدرين فيم نتكلم يا سالى ؟ »

فقالت : « لا يا أبت . ولكنك تعرف أن أمى لا تحب منك أن تسب ! » فضحك أثلى وقهقه . وبعدئذ جاءت سالى بأطباق البودنج المصنوع من الأرز وكان دسما لذيذا . وقال أثلى وهو يقطع قطعة البودنج الخاصة به :

- ان من قواعد هذا البيت أن غداء يوم الاحد لا يتغير . دائما لحم بقرى محمر وبودنج الأرز . يتكرر ذلك خمسين يوم أحد فى السنة . وفى يوم أحد الفصح خروف وبسلة . وفى عيد ميشيلماس أوزة محمرة وتفتح مغلى . وهكذا نحافظ على تقاليدنا . ان سالى حين تتزوج سننسى كثيرا من الحكم

التي لقنتها اياها ، ولكنها لن تنسى قط أن الانسان اذا أراد أن يكون سعيدا فرحا فعليه أن يأكل لحم بقر محمرا وبودنج الأرز يوم الأحد !
وهنا قالت سالى : « أدعنى حين تريد الجبن »

وكان أثلى يتنقل من موضوع الى آخر دون مقدمة فقال لفيليب :

– لقد عشت مع زوجتى الأولى ثلاث سنين ، وكانت سيدة ذات دخل قدره ألف وخمسمائة جنيه فى السنة ، وكنا نقيم ماآدب جميلة فى بيتنا الصغير المشيد بالقرميد فى كنسِنجتون . وكانت امرأة فاتنة . كذلك كان الجميع يقولون ، سواء منهم المخامون وزوجاتهم ممن كانوا يتناولون الطعام على مائدتنا ، والادباء أو سماسرة البورصة أو الساسة . وكانت تجبرنى على الذهاب الى الكنيسة لابسا قبعة حريرية وسترة طويلة ، وتأخذنى معها الى الحفلات الموسيقية ، وكانت تحب سماع المحاضرات بعد ظهر أيام الأحد ، وكانت تتناول طعام الفطور كل يوم عند منتصف الساعة التاسعة تماما ، فاذا تأخرت أنا أكلت الفطور باردا . وكانت تقرأ الكتب اللائقة وتعجب بالصور المناسبة وتسمع الموسيقى الراقية . يا الهى ! ما أشد ما كانت تلك السيدة تضجرنى ! انها لا تزال فاتنة حتى اليوم ولا تزال تعيش فى ذلك البيت الصغير المشيد من الطوب فى كنسِنجتون وحولها كتب الأدب والصور الفنية ، ولا تزال تقيم المآدب وتقدم فيها أرقى الألوان ، كما كانت تفعل منذ عشرين عاما !

ولم يسأله فيليب كيف فشل هذا الزواج الذى لا كفاءة بين طرفيه . .
ولكن أثلى أخبره فقال : maktbtna.com

– ان بتى ليست زوجتى . فان زوجتى لم ترض بالطلاق . وجميع أطفالهم أولاد غير شرعيين . ولكنهم ليسوا من أجل ذلك أسوأ من غيرهم . .
وكانت بيتى احدى الخادِمات فى ذلك البيت الصغير فى كنسِنجتون . .
وقبل أربع أو خمس سنوات كنت بلا عمل وكان لى سبعة أطفال . فذهبت الى زوجتى أتمس منها المعونة فذكرت أنها تقبل أن ترتب لى معاشا اذا تخليت عن بتى وسافرت الى الخارج . فهل تتصور أنى أتخلى عن بتى ؟ . .
وبدلا من ذلك قاسينا الجوع حيناً . وقالت زوجتى أنى أحب الطبقة الدنيا .
وانى قد انحططت . فلا أكسب الا ثلاثة جنيهات فى الاسبوع كمنسَدوب دعاية لمتجر أقمشة ، ولكنى فى كل يوم أحمد الله على أنى لست فى ذلك البيت الاحمر الصغير فى كنسِنجتون !

وجاءت سالى بالجبن واستمر أثلى فى كلامه المتدفق :

– ان أكبر خطأ أن يظن انسان أنه لا بد من المال لتربية الأطفال ! . انك تحتاج الى المال لكى تجعل منهم سادة وسيدات ، ولكنى لا أحب أن يصبح أطفالى سيدات وسادة . ان سالى ستعمل وتكسب معاشها ابتداء من السنة المقبلة ، وستعمل عند خياطة . أليس كذلك يا سالى ؟ . أما الاولاد فانهم سيخدمون بلادهم وأريد أن يدخلوا جميعا فى البحرية فان حياة البحرية

حياة جميلة صحية وفيها يحصل الانسان على طعام جيد ومرتب حسن ثم على معاش الى آخر حياته !

وأشعل فيليب غليونه وأخذ (اثلنى) يدخن سيجار هافانا الذى كان يلفه بيده وحملت سالى ما على المائدة . وكان اثلنى فخورا بالأسرة الريفية التى انحدر منها وقد أطلع فيليب على صور فوتوغرافية لدار ريفية من طراز اليزابث وقال له :

— ان آل اثلنى قد عاشوا هناك سبعة قرون . آه لو رأيت المداخلن والسقوف !

وبعد هنيهة دخل أطفاله جميعا وهم فى ثياب نظيفة مرتبة . وكانوا ذاهبين الى المدرسة يوم الأحد تحت رقابة سالى ، فأخذ اثلنى يمازحهم بطريقته المسرحية وهو بادى التعلق بهم فخور بجمالهم وحسن صحتهم . وبعد بضع دقائق جاءت زوجته وقد عقصت شعرها وارتدت أحسن ثيابها الرخيصة . . وقالت له : « انى ذاهبة الى الكنيسة يا اثلنى . آمل ألا ينقصك شئ ! »

فقال لها : « تنقصنى دعواتك فقط ! »

فابتسمت وقالت : « انها لن تفيدك الآن ! »

والتفت الى فيليب وقالت : « لقد عجزت عن اغرائه بالذهاب الى الكنيسة . انه يكاد يكون ملحدا ! »

فقال اثلنى : « أليست مثل زوجة رويان الثانية ؟ . ألا تكون باهرة اذا ارتدت زى القرن السابع عشر ؟ . هذا هو طراز النساء الذى يجدر الرجل أن يتزوجه يا ولدى ! »

ثم خرجت السيدة اثلنى بعد أن دعت فيليب للبقاء حتى تناول الشاي معهم بعد الظهر . ومكث معهم وقد أنس اليهم حتى الساعة العاشرة مساء . وكان الاطفال قد جاءوا عند الساعة الثامنة ليحيوا قبل أن يأووا الى فراشهم ومدوا وجوههم الى فيليب واحدا بعد آخر لكى يقبلهم ، فرق قلبه لهم — ما عدا سالى فقد مدت يدها اليه مصافحة ، فقال أبوها : « ان سالى لا تقبل أى جنتلمان حتى تراه مرتين ! »

فقال فيليب : « اذن يجب أن تدعونى للمجىء ثانية ! »

فابتسمت سالى وقالت : « يجدر بك ألا تلتفت لما يقول أبى ! »

فقال أبوها : « انها أشد الفتيات رباطة جأش ! »

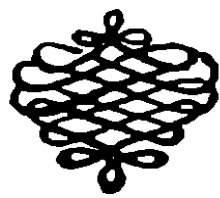
ولما خرج من عندهم دعت السيدة اثلنى الى أن يزورهم ثانية . وفى يوم السبت التالى وصلت اليه دعوة من المستر اثلنى لكى يتناول طعام الغداء عنده غدا . ولما كان يعرف أن مواردهم محدودة فقد أجاب قائلا : انه سيتناول معهم الشاي بعد الظهر — دون الغداء . ولكى لا يكلفهم شيئا

وهم محدودو الموارد أحضر معه كعكة برقوق كبيرة اشتراها . ثم أصر على أن يتناول الشاي معهم جميعا فى المطبخ !

وسرعان ما اعتاد الذهاب الى بيت (أثلنى) كل يوم أحد ، وألفه الاطفال وأحبوه فكانوا اذا سمعوه يدق جرس الباب تزاحموا جميعا للقاءه واندفعوا اليه ليحتضنوه ، وصاروا ينادونه بالعم فيليب !

وكان أثلنى كثير الكلام ، وما لبث فيليب فى زيارته المتعددة أن وقف على تاريخ حياته فعلم انه اشتغل بمهن مختلفة ، وخيل لفيليب أنه فشل فى كل ما حاوله ، فقد اشتغل بمزرعة شاي بجزيرة سيلان ، ثم صار مندوبا تجاريا بأمريكا لشركة نبيذ ايطالية ، ثم سكرتيرا لشركة مياه انجليزية فى أسبانيا ومكث فى هذه الوظيفة الاخيرة أطول مدة . ثم صار صحفيا ومندوبا لأخبار البوليس لجريدة مسائية ، ثم مساعدا لرئيس تحرير احدى الصحف فى ميدلاند، ثم رئيسا لتحرير صحيفة فى الريفيرا . ومن جميع هذه الاعمال جمع حكايات ظريفة صار يقصها بطريقة مسلية . ومنذ ثلاث سنوات أو أربع اضطرته الفاقة الى قبول وظيفته الحالية كمندوب اعلان لشركة أقمشة كبيرة ، ولئن حسب هذا العمل دون كفاءته - التى يقدرها تقديرا عاليا - فان حزم زوجته وحاجة أطفاله جعلته يصبر عليه ، ويدعن لحظه

maktbtna.com



الحبيب المنقذ

خرج فيليب يوما من بيت اثلنى فمشى في شارع (تشانسرى لين) ثم في شارع (ستراند) لكى يركب السيارة العامة من محطتها عند ناصية شارع البرلمان . ولكنه وجد السيارة مزدحمة ولم يقدر أن يركبها . فمشى الى سيرك بيكاديللى حتى يمكن أن يجد هناك مقعدا في احدى السيارات ، وكانت تقف عند النافورة وحين تصل الى هناك لا يكون بها من الركاب سوى اثنين أو ثلاثة . وكان يمضى ربع ساعة بين سيارة وأخرى فرأى فيليب أن ينتظر ، وصار ينظر الى السابلة دون اهتمام . وبغته كاد قلبه يقف فقد رأى ملديد . ولم يفكر فيها منذ عدة أسابيع . رآها تحاول أن تعبر الطريق من ركنه في (شانتسبوري افنيو) وتقف عند نقطة حتى تمر العربات . وكانت تترقب فرصة للعبور ولا تلتفت لغير ذلك . وقد وضعت على رأسها قبعة كبيرة من القش عليها قدر كبير من الريش . ولبست ثوبا أسود من الحرير . ثم عبرت الشارع ومشيت صوب بيكاديللى . فتبعها فيليب وقلبه يدق دقا سريعا . ولم يرد أن يكلمها ولكنه رام أن يعرف الى أين تذهب وأن ينظر الى وجهها . ومشيت ببطء حتى دخلت شارع اير ، ومنه الى شارع ريچنت . ثم عادت فمشيت صوب الملعب (السيرك) . فاحترق فيليب ولم يدر الى أين تقصد . وظنها تنتظر أحدا ، وأحس برغبة شديدة في معرفة شخصيته . ثم رآها تدرك رجلا قصيرا القامة حسن الھندام كان يسير ببطء في الاتجاه الذى تسير فيه . ونظرت اليه بجانب عينها ثم سبقته وبعدها وقفت تنتظر . حتى اذا جاء ذلك الرجل ابتسمت له فحلق فيها لحظة ثم ادار رأسه ومضى في سبيله

وعندئذ فهم فيليب ما هنالك ، فتولاه الفزع ، وأحس ضعفا في ساقيه حتى كادت تعجزان عن حمله . ثم مضى وراءها مسرعا ولمسها على كتفها قائلا : « ملديد ! »

فالتفت مذعورة ، وخيل اليه أنها أحمر وجهها ولكنه لم يرد جيذا في العتمة . ووقفا لحظة ينظر كل منهما الى الآخر ثم قالت له اخيرا : « عجبا . . لم اكن أنتظر أن أراك »

فقال : « هذا فظيع ! » . ثم سكت هنيهة حتى قال لها : « هل من مكان نأوى اليه لتكلم ؟ »

فقالت عابسة : « لا أريد أن أتكلم ! . دعنى وشأنى ! »

فخطر له أنها في حاجة ماسة الى نقود وقال لها : « عندى جنيهان اذا كنت في حاجة »



ورأى فيليب ملدريد تحاول أن تعبر الطريق ، ثمضى وراءها مسرعا صائحا : « ملدريد »

فقلت له : « لا أدري ماذا تعنى ؟ . لقد كنت ماشية في عودتى الى بيتى .
و كنت أنتظر فتاة من زميلاتى فى العمل »
فقال لها : « بالله لا تكذبى الآن ! »
ثم رآها تبكى ، فعاد يطلب اليها ان تذهب معه الى أى مكان تختاره
ليحدث معها . فقلت له :

— اعرف غرفة ولكنهم يأخذون منك ستة شلنات !

فنادى عربة ركباها ، ودلت السائق على العنوان ، فأوصلهما الى شارع
ضيق وراء المتحف البريطانى ، وعند ركن فيه نادت الخوذى ليقف العربة .
ومشيا بضعة أمتار ، ثم قرعت باب منزل هناك ثلاث مرات . ولحظ فيليب
ان على الباب لافتة كتب عليها « للايجار » ! . . . وفتح الباب بهدوء وظهرت
منه امرأة عجوز طويلة القامة ودعتهما ليدخلا . ونظرت الى فيليب ثم كلمته
ملدريد همسا . وقادت هذه فيليب في ممر ضيق الى غرفة فى نهايته وطلبت
اليه عود كبريت فأشعلت مصباح غاز ، ورأى فيليب أنهما فى غرفة ضيقة
فيها سرير قذر وبضع قطع أثاث رخيص . ورأى فى ضوء الغرفة ان خدى
ملدريد عليهما طبقة من المسحوق الاحمر ، وأنها زججت حاجبيها بطلاء
أسود ، ولكنها بدت نحيفة مريضة وزادت الحمرة التى على خديها من لون
بشرتها المخضر . ولم يدر فيليب ماذا يقول فقد أحس كأنه يختنق وغطى
عينيه بيديه وقال : « رباه ! هذا فظيع ! »

وقالت له ملدريد : « لا أدري ماذا يغضبك ؟ . لقد حسبتك تسر مما انا
فيه ! »

maktbtina.com

فلم يجب ، وسمعها تنتحب ثم قالت : « لا تظن انى أفعل ذلك لانى أميل
اليه ! »

فقال لها : « آه يا عزيزتى ! . انى آسف . انى شديد الأسف ! »
وصمتا برهة ثم سألها : « أين الطفلة ؟ »

فقلت : « لقد أحضرتها معى الى لندن اذ لم أجد نقودا لابقائها عند
المربية فى برايتون . واستأجرت غرفة فى هايبوري وقلت لربة البيت انى
أعمل ممثلة بالمسرح ! »

فسألها : « ولماذا لم تعودى الى المشرب الذى كنت تعملين فيه ؟ »

فقلت : « لم أجد أى عمل برغم طول البحث . ولقد وجدت عملا ثم
مرضت أسبوعا ، ولما عدت وجدت نفسى مفصولة فانهم لا يريدون الاعاملات
موفورات الصحة ! »

فقال : « ولكن لا يبدو عليك أنك بصحة جيدة الآن »

فقلت : « كان ينبغى لى الا اخرج الليلة ، ولكنى لم أقدر لانى فى حاجة
الى نقود . وقد كتبت الى ميلر وقلت له انى لا أملك بنسا واحدا ولكنه
لم يجب ! »

فقال لها : « كان يمكنك ان تكتبى الى »

فقالت : « لم ارد ذلك بعد ما حدث . ولم احب ان تعلم انى فى ضائقة ، وما كنت لأدهش اذا اجبت بانى قد لقيت جزائى الحق ! »

فقال : « انك لا تعرفينى حق المعرفة الآن ! »

وقد تذكر كل ما سببته له من الألم ، وادرك انه لم يعد يحبها ، لكنه كان شديد الأسف لحالها وان شقى بسببها . وانعم فيها النظر ثم ساءل نفسه كيف كان متيما بها الى ذلك الحد ؟ . ثم قالت له : « انك (الجنتلمان) الوحيد الذى عرفته فى حياتى »

وسكنت لحظة ثم قالت : « انى اكره ان اطلب اليك نقودا ، ولكن الا يمكنك اعطائى شيئا ؟ »

فقال لها : « ان معى الآن جنيهين » ومد بهما يده اليها فتناولتهما وهى تقول : « سادفعهما لك فيما بعد يا فيليب » . اترانى اعطلك الآن ؟ . احسبك تريد العودة الى البيت ؟ »

ولما ذكر لها انه ليس على عجل ، تنهدت وقالت : « انى سعيدة اذ اجد فرصة لكى اجلس معك ! »

وادرك ما تعنيه ، فأحس قلبه يتمزق من الألم . ثم ساد الصمت بينهما هنيهة قالت بعدها : « جميل منك الا تسيء الى بالقول يا فيليب كما كنت أخشى ! »

ثم عادت الى البكاء فتذكر بكاءها حين جاءت اليه بعد ان هجرها ميللر . واخيرا قالت له :

— لو اننى استطعت الفرار من هذه العيسة ! . انى ابغض ما انا فيه من كل قلبى . ولست أهلا لهذه العيسة . وما انا بالفتاة التى تليق بها . انى مستعدة لان افعل اى شئ للخلاص منها . وبودى لو اصبحت خادمة ان استطعت . آه ليتنى مت ! »

واخذت تنشج وجسمها النحيل يهتز بينما هو يفمغم قائلا : « مسكينة ! مسكينة ! »

وبغته خطر له خاطر فقال لها : « اذا اردت الخلاص من هذه العيشة فعندى فكرة : ان حالتى المالية سيئة الآن . وعلى ان ارعى جانب الاقتصاد قدر امكانى ، وانا اسكن شقة صغيرة فى  . وعندى غرفة لا حاجة لى بها ، فاذا شئت فاسكنيها انت وطفلك . وانا ادفع ثلاثة شلنات وستة بنسات فى الاسبوع الى امراة تنظف البيت وتطهى بعض الطعام لى . وانت يمكنك ان تقومى بذلك ، وطعامك لن يكلف اكثر من ذلك المبلغ . ان نفقة طعام شخصين لا تزيد على نفقة طعام شخص واحد . وما احسب الطفلة تأكل كثيرا ! »

فكفت عن البكاء ونظرت اليه وقالت : « اتعنى بذلك انك على أهية لأن تعيدنى اليك بعد ما حدث ! »

فاحمر روجه قليلا من الارتباك وقال :

– انى أعطيك غرفة تسكنينها دون أن تكلفنى شيئا وكذلك طعامك .
ولست أنتظر منك أى شىء سوى تنظيف مسكنى وطهى طعامى . ونعلك
تجيدىن الطهى !

فقامت وهمت بأن ترمى نفسها عليه قائلة : « انك شفيق على يا فيليب ! »
فمد يديه كأنه يدفعها عنه ولا يطيق أن تلمسه ، وقال لها : « الأفضل
أن تأتى غدا ! »

فعادت تبكى ثم قالت : « انك تأسرنى بصنيعك . ولست ادرى كيف
أرده لك ؟ ! »

وكتب لها عنوان البيت وطلب اليها ان تأتى غدا فى منتصف الساعة
الخامسة بعد الظهر !

وفى اليوم التالى استيقظ فيليب مبكرا واخبر المرأة التى تنظف مسكنه
أنه قد استغنى عنها . وجاءت ملدريد عند الساعة السادسة مرتدية القبعة
والثياب التى رآها عليها أمس ، لكنها لم تضع على وجهها المسحوق الأحمر ،
وان بقى حاجباها مزججين . وكانت معها طفلتها نائمة ، ولم يكن ثمة مهد
لها فوضعها على الكرسي الكبير ذى الذراعين ، وعرفت ملدريد قطع الأثاث
التي ألقتها من قبل ولكن شيئا واحدا كان جديدا عليها وهو صورة نصفية
رسمها لوسون لفيليب فنظرت اليها وقالت : « انك أوسم وجهها مما تبدو
فى هذه الصورة ! »

فضحك وقال لها : « لم تخبرينى قط من قبل انى وسيم الوجه ! »
ثم قالت : « ماذا يقول بقية الساكنين فى هذا المنزل عن وجودى هنا ؟ »
فقال لها : « ليس هنا سوى رجل وزوجته ، والرجل خارج البيت طوال
النهار أما زوجته فلا أراها الا يوم السبت حين تطلب الايجار . وهما
لا يختلطان بأحد »

وذهبت ملدريد الى الغرفة المعدة لها لكى ترتيبها وبقى فيليب فى غرفته
محاولا أن يقرأ

لقد كان موقنا أنه شفى من غرامها ، وعجب من نفسه كيف ولى احساسه
القديم نحوها ولم يبق أثر منه . وخيل له أنه اذا لمسها تولاه الفزع ، ثم
جاءت ملدريد وقرعت الباب قرعا خفيفا فقال لها : « لا حاجة بك الى
الاستئذان قبل الدخول . هل شهدت المسكن كله ؟ »

فقالت : « ان المطبخ أصغر مطبخ رأيته فى حياتى ، ولم أجد طعاما هنا
أرى أن أخرج لشراء شىء »

فقال لها : « حسنا ، واذكر بضرورة الاقتصاد الى أقصى حد ! »

فسألته : « ماذا أشتري للعشاء ؟ » . فضحك وقال لها : « الأفضل أن تشتري ما يمكنك أن تطهيه ! »

وأعطاهما بعض النقود وخرجت . وبعد نصف ساعة عادت ووضعت ما اشترته فوق المائدة وكانت تلهت من التعب بعد صعود الدرج فقال لها : « أنك مصابة بالآيميا (فقر الدم) . وسأصف لك حبوب بلود »

فقالت : « لقد اشتريت قليلا من الكبد . انها لذيذة أليست كذلك ؟ »
وحمرت الكبد وأعدت المائدة لشخص واحد فقال لها : « الا تأكلين معي ؟ »

فاحمر وجهها وقالت : « حسبتك لا تحب أن أكل معك ! . اننى لست الا خادمة . أليس كذلك ؟ »

فقال لها : « لا تكونى حمقاء » . وأبتسم غير أن ذلتها أثرت في نفسه . وكانت الكبد ولحم الخنزير جاهزين على المائدة ، واستيقظت الطفلة وكانت ملدريد قد أعدت لها طعامها . وكان فيليب - بدافع الاقتصاد - قد عود نفسه ألا يشرب مع الأكل الا الماء القراح ولكنه كان لديه نصف زجاجة ويسكى فوضعها على المائدة مؤملا أن يفيد الويسكى ملدريد ، وبذل جهده لكي يمضى العشاء بسرور ، ولكن ملدريد كانت في حالة تعب وانكسار . ولما انتهيا من تناول العشاء وضعت طفلتها في فراشها فقال لها : « الأفضل لك أنت أيضا أن تأوى الى فراشك مبكرة فانك بادية الاعياء ! »

ولكنها ابت ابت إلا أن تغسل الآنية قبل ذلك ، ونهضت فتوجهت الى المطبخ لأداء هذه المهمة ، بينما اشعل فيليب غليونه وأخذ يقرأ في كتاب . وقد سرده أن يكون في البيت من يأتسّر بوجوده

وقبل أن تذهب الى غرفتها قال لها : « عندي محاضرة في الساعة التاسعة صباحا . ولذا أريد أن أتناول طعام الفطور في الساعة الثامنة والرابع . هل يمكنك ذلك ؟ » . فقالت : « نعم »

ثم قال لها « آمل أن تجدى غرفتك مريحة . وستتقدم صحتك غدا بعد نوم طويل ! »

فسألته : « هل تعمل الى ساعة متأخرة من الليل ؟ »
فاجاب بقوله : « انى اعمل عادة حتى الساعة الحادية عشرة ، او منتصف الساعة الثانية عشرة »

ثم تبادلّا تحية المساء وانصرفت الى غرفتها لتنام . وكانت المائدة بينهما فلم يحاول أن يصافحها بيده وما لبث أن سمع صوت باب غرفتها وهى تغلقه نه طقطقة السرير حين أوت اليه !

وفي صباح اليوم التالي تناول فيليب طعام الفطور ثم خرج ليحضر المحاضرة بعد أن تبادل مع ملدريد بضع كلمات . ولما عاد مساء وجدها

جالسة عند النافذة ترتق جواربه . فابتسم وقال : « حقا أنت مجتهدة . ماذا فعلت طول النهار ؟ »

فقالت : « لقد نظفت البيت ثم خرجت مع الطفلة للرياضة »

وكانت تلبس ثوبا اسود قديما ، هو الثوب الذى كانت تلبسه حين كانت تعمل فى مشرب الشاي ، وكان رثبا ، ولكنها كانت تبدو فيه أجمل مما كانت أمس وهى مرتدية ثوب الحرير الأسود . وكانت الطفلة جالسة على الارض فأخذ فيليب يعبث بأصابع قدميها الصغيرتين فنظرت اليه وضحكت . وكان قد أحضر معه (حبوب بلود) فأعطاهما الى ملديرد وبين لها كيف تستعملها . وكانت قد تعودت تناولها منذ كانت فى السادسة عشرة من عمرها . وقال لها « لن اطمئن حتى يصير وجهك أبيض متوردا كوجه بائعات اللبن ! »

وبعد العشاء ، ارتدى ملابس ليذهب الى الحانة التى اعتاد لقاء أصحابه فيها كل يوم ثلاثاء وقد سره انه أتى هذا اليوم وشيكا لأنه أراد ان يوضح علاقته بها كل الايضاح !

وكان فيليب يذهب الى الحانة بسرور ، فهناك (ماكاليستر) سمسار البورصة الفيلسوف الذى هو على أهبة دائمة للمناقشة فى أى موضوع . وفى ذلك المساء وجد فيليب بعض أصحابه ومنهم (لوسون) وكان هذا قد قل مجيئه الى الحانة منذ تعرف الى بعض أهل لندن وصار يدعى الى حفلاتهم . وكان ماكاليستر قد أدى خدمة للوسون اذ أربحه خمسين جنيها فى البورصة . وكان ذلك عملا عظيما بالنسبة للوسون اذ كان مسرفا ولا يكسب الا قليلا من الرسم ، وأن وصل الى المرحلة التى يبدأ النقاد فيها يلتفتون اليه ، وصار يدعى الى رسم بعض السيدات الأرستقراطيات دون مقابل ، أو بأجر زهيد فى النادر !

وقال ماكاليستر لفيليب : « لقد فاتك خير كثير اذ لم تحضر يوم الثلاثاء الماضى ! »

فقال له فيليب : « لماذا لم تكتب الى ؟ . . ليتك قدرت شدة احتياجي الى كسب مائة جنيه ! »

قال : « لم يكن هناك متسع من الوقت . لقد سمعت بشيء حسن يوم الثلاثاء الماضى ، وكان لوسون هنا فعرضت عليه شراء بعض الأسهم . وفى صباح الأربعاء اشتريت خمسمائة سهم ، وبعد الظهر ارتفع السعر فبعته فوراً وكسبت خمسين جنيها ومائة جنيه لنفسى ! »

فشعر فيليب بالحسد لصديقه . ولم يكن قد بقى له من ثروته الصغيرة سوى ستمائة جنيه . ولا يزال أمامه سنتان حتى يتخرج ، وعليه بعد ذلك ان يبحث عن وظيفة فى احد المستشفيات فهو لا يتوقع ان يكسب شيئا قبل ثلاث سنوات

ثم قال له ماكاليسر : « ان الفرس فادمة . وسنرتفع اليها قريباً
الجنوبية عما قريب ، وعندئذ أعرف كيف أؤدى لك خدمة »
وظلوا يتحدثون حتى منتصف الليل . وكان فيليب أول من غادر الحانة
منهم . ولما وصل الى بيته عجب اذ ألفى ملدريد لا تزال جالسة على الكرسي
الكبير فصاح بها قائلاً :

— كيف لم تأوى الى فراشك حتى الآن ؟

فذكرت له انها لم تشعر بحاجة الى النوم ، ولحظ انها ارتدت نوبها
الحريرى الأسود بعد العشاء ، ولم تتحرك من مكانها حين نصبح لها بأن تأوى
الى فراشها مراعاة لصحتها ، ثم قالت له : « لقد آثرت ان أنظر عودتك
لعلك تريد شيئاً ! » . ونظرت اليه وابتسمت ، ولم يدر فيليب أفاهم هو
قصدها أم لا . على انه اكتفى بأن قال لها : « طاب ليلك ! » . وهم بالانصراف
الى غرفته ، فسألته : « أتريد أن تأوى الى فراشك من الآن ؟ »
فقال : « نحن الآن فى الساعة الاولى بعد منتصف الليل . ولم أعود السهر
هكذا ! »

فتناولت يده وقالت : « فى تلك الليلة حين طلبت الى ان أتى وأسكن هنا
لم أقصد ما قصدت انت اذ قلت لى انك لا تريد منى الا ان انظف البيت
وأطهى الطعام ! »

فهز رأسه وقال : « أما انا فقد عنيت كل ما قلته لك وقنئذ . وما كنت
أطلب اليك البقاء هنا الا بذلك الشرط ! »

فسألته متعجبة : « لماذا ؟ » . فقال : « لا أستطيع أن أشرح لك . ان ذلك
يفسد الأمر كله ! »

فهزت كتفها وقالت : « حسناً ! . كما تشاء . . لست بالنى تركع على
يديها وركبتيها متوسلة من أجل ذلك ! »



مضت حياة فيليب وملدريد بعد ذلك هنيئة ناعمة الى حد ما . وكان
يمضى نهاره كله بالمستشفى ويستذكر ليلاً فى بيته . الا حين يزور آل أثلنى
وحين يذهب الى الحانة ليقابل أصحابه . وقبلت ملدريد حياتها الرتيبة
الجديدة . واذا ساءها ان يتركها فيليب وحدها أحياناً فانها لم تصارحه
بذلك قط . وأحياناً كان يأخذها الى حفلة موسيقية

وقد رأت هى الا فائدة من ان تبحث لنفسها عن عمل فى ذلك الصيف ،
واتفقت مع فيليب على البقاء عنده حتى يجيء فصل الخريف وفيه قد
تجد لها عملاً . فقال لها : « لا مانع عندى من أن تمكثى هنا حتى بعد أن
تجدى عملاً . فان الغرفة التى تسكنينها فائضة عن حاجتى . والمرأة التى
كانت تنظف البيت يمكنها ان تعنى بالطفلة ! »

وقبيل انتهاء السنة الدراسية ذهب مساء يوم الى الحانة في شارع بيك فلم يجد احدا من اصحابه سوى ماكاليستر ، فجلسا يتحدثان عن اصدقائهما ثم قال له ماكاليستر :

— لقد عثرت على شيء حسن لك . . اسهم ا كليفونتين الجديدة . . انه منجم ذهب في روديسيا

وكان فيليب يترقب فرصة للمضاربة بالاسهم ، لكنه تردد قليلا اذ كان يخشى ان يخسر نقودا ولم تكن له جرأة المقامر فقال له : « اود ذلك ولكن لا أجرؤ على المجازفة . كم تكون خسارتى اذا ساءت الأمور ؟ »

فرد عليه قائلا : « ما كنت لأحدثك عن تلك الاسهم لولا أنك تريد فرصة تنتهزها للكسب ! » . ثم أخذ يتكلم في أمور اخرى . وكان فيليب يفكر في سخرية السمسار به اذا فاتته هذه الفرصة وارتفعت تلك الاسم ، وفي ندمه هو نفسه في هذه الحالة ، فقال له : « لا بأس من ان أجرب حظى في هذه الاسهم »

فقال ماكاليستر : « حسنا ! . سأشتري لك مائتين وخمسين سهما منها ، واذا ارتفعت بمقدار نصف كراون فسأبيعها فورا »

ورأى فيليب انه في هذه الحالة سيكسب ثلاثين جنيتها ، ثم اخبر ملدريد بذلك صباح اليوم التالي وهما يتناولان طعام الفطور فحسبته حماقة منه وقالت : « انى لا اعلم ان احدا جنى ثروة من البورصة . وكان ميللر يقول ذلك دائما ! »

وأشتري فيليب جريدة انباء عودته الى البيت وقرا اول ما قرا اسعار الاوراق المالية . . وكان لا يدري شيئا من هذه المسائل ووجد صعوبة في العثور على الاسهم التى ذكرها له ماكاليستر بين انواع الاسهم الكثيرة . ورأى انها قد ارتفع سعرها ربع كرون فقفز قلبه من الفرح وخاف ان يكون ماكاليستر قد نسى ان يشتري له ذلك العدد منها . وكان قد وعده ان يرسل اليه برقية ليخبره فيها بالشراء فلم يصبر حتى يمشى الى بيته وركب عربة وما ان دخل حتى سأل ملدريد : « هل وصلت الى برقية ؟ »

واذ اجابته بالنفى قال لها : « تصورى سوء حظى؟! اذن لم يشتري ماكاليستر لى تلك الاسهم ! »

فضحكت ملدريد وبرزت له برقية ينبئه فيها السمسار بأنه اشترى الاسهم وباعها بربح نصف كرون للسهم الواحد ، وأن حساب العمولة سيصل اليه قريبا . . وغضب فيليب لحظة اذ اخفت ملدريد عنه البرقية ولكنه لما قرا ما فيها تولاه الفرح وقال لها : « سأشتري لك ثوبا جديدا ! »

وكان فكره مشغولا بالنقود في ذلك الوقت ، اذ كان قد ادرك كذب القول القائل ان اثنين يعيشان بتكاليف واحد ، وقد بدأت نفقة المنزل تقلقه ولا سيما ان ملدريد لم تكن ربة بيت بارعة وكانت تحتاج الى ملابس وكذلك طفلتها . وكانت قد ذكرت له عزمها على البحث عن عمل لها ولكنها لم تجهد

نفسها في البحث ، ثم أصابها برد الزمها الفراش أسبوعين . وقد عثرت أخيرا على عمل بأجر قدره أربعة عشر شلنًا في الأسبوع فلم تقبله ! . . . والحقيقة أنها لم تكن ذات رغبة صادقة في العمل ما دامت تجد من ينفق عليها وعلى طفلتها ! وقد تشاجر معها مرة أو مرتين فردت عليه رداً غليظاً . واستسمحها بعد ذلك ولكنها لم تكن سريعة الصفح فظلت عابسة يومين . وأثار أعصابه ما يشهده فيها من غباوتها ومن الطريقة التي تأكل بها والفوضى التي من دأبها حتى أنها تترك قطع الثياب مبعثرة في غرفة الجلوس . ولكنه مع ذلك اعتاد وجودها وطفلتها في البيت .

وحل عيد الميلاد فزين فيليب مسكنه وأحضر هدية لكل من ملدريد وطفلتها ، ولم يجد داعياً إلى شراء ديك رومي ، فطهت ملدريد دجاجة وصنعت بودنج . وأعدا لنفسيهما زجاجة نبيذ . حتى إذا تناولا طعام العشاء جلس فيليب في كرسيه ذي الساعدين يدخن غليونيه أمام المدفأة - وقد أنسأه النبيذ قلقه بشأن النقود . وجاءت ملدريد تدعوه إلى تقبيل الفتاة قبل أن تنام في غرفتها فابتسم وذهب إلى الطفلة فقبلها ثم عاد وترك الباب الذي بين الغرفتين مفتوحاً ليسمع الطفلة إذا استيقظت . ثم قال للملدريد : « أين تجلسين ؟ »

فقالت : « اجلس أنت على كرسيك . أما أنا فساجلس على الأرض ! »

ولما جلس على كرسيه قعدت هي على الأرض أمام المدفأة مسندة ظهرها إلى ركبتيه . وتذكر كيف كان في مسكنه القديم يجلس هو على الأرض مسنداً رأسه إلى ركبتيها ، وقال لها : « هل أنت مرتاحة هكذا ؟ »

فنظرت إليه مبتسمة وأومات برأسها موافقة . وبقياً هنيهة ينظران إلى نار المدفأة ثم قالت :

— أتدرى أنك لم تقبلني قط منذ جئت إلى هذا البيت ؟

فابتسم وقال : « وهل تريدني مني أن أقبلك ؟ »

— يخيل إلى أنك صرت لا تكترث لي من هذه الناحية ؟

فقال : « اني شغوف بك ! »

فقالت : « لكنك أكثر شغفا بالطفلة » . فلم يجب . ثم وضعت يدها على

يده وقالت له : « ألا تزال غاضباً علي ؟ »

فقال لها : « ولماذا أغضب عليك ؟ »

فقالت : « اني لم اهتم بك قط مثل اهتمامي الآن . لقد تعلمت كيف

أحبك بعد أن صهرتني النار ! »

فاستاء فيليب إذ سمعها تقول له هذه العبارة النوى وعابها ذهنها من

الروايات الرخيصة التي تقرأها .

ثم قالت : « ألا يبدو مضحكاً أن نعيش معاً على هذه الحال ؟ »

فلم يجب وظل ساكناً هنيهة وأخيراً قال لها : « لا تغضبي مني ! . هذه

أمور لا قبل للانسان بها . انى اذكر انى كنت أعدك قاسية شريرة لانك كنت
نفعلين كيت وكيت . ولكن كان ذلك حمقا منى . انك لم تكونى تحبينى فكان
من السخف أن ألومك . وقد حسبت أن فى استطاعتى أن أغريك بحبى ،
ولكنى أعلم الآن أن هذا كان محالا . انى لا أدرى ماذا يجعل انسانا يحب
انسانا آخر ولكن مهما يكن الامر فان الحب لا تخلقه الشفقة أو الكرم أو أى
شئ من هذا القبيل ! »

فقلت له : « لو أنك أحبينى حقا لبقيت تحبى الآن ! »

فقال : « كنت أظن أن حبى سيدوم . وكنت أؤثر الموت على أن أفترق
عنك . وأتمنى اليوم الذى تظهر بوجهك فيه الفضون حتى لا يهتم بك أحد
وتكونى لى وحدى ! »

فلم تجبه وإنما قامت لتأوى الى فراشها، وقالت له وهى تبتسم ابتسامة
حية خفيفة : « اليوم عيد الميلاد . ألا تقبلنى وأنا ذاهبة للنوم ؟! »

فضحك واحمر وجهه قليلا وقبلها . ثم ذهبت الى غرفتها وأخذت
تقرا !

وبعد أسبوعين أو ثلاثة . اشتد بملدريد الغيظ من مسلك فيليب نحوها،
وكانت تتقاذفها احساسات متباينة . . انها لم تفهم فيليب قط ولم تحبه
قط ولكنها كانت مغتبطة بصلتها به فقد أرضى غرورها أن أباد كان طبيبا وأن
عمه قسيس . وكانت تحس نحو شئنا من الاحتقار لانها استغفلته كثيرا
وفى الوقت نفسه كانت لا تشعر أبدا براحة فى حضرته ، وشعرت بأنه ينتقد
عاداتها وطرائقها فى نفسه . والآن يدeshها عناده وترفعه وهى التى اعتادت
منه الخضوع والذلة مهما تسمى إليه . وظنت أنه شغل عنها بحب غيرها
ولكنها ما لبثت أن أبعدت هذه الفكرة لانه لو كان يحب امرأة أخرى لكان
أمر الناس إذ استطاع اخفاء ذلك عنها . ولكنه يجيب عن أسئلتها بصراحة
ودون موارد ، فلا شك أنه ليس لديه سر خفيه . وتذكرت ما كان يقوله
لها فى بث غرامه ونجواه فقالت لنفسها : « ما دام لا يحب امرأة غيرى فلا
ريب أنه باق على حبى ! »

وفى مساء أحد أيام فبراير أخبرها فيليب بأنه سيعود الى البيت متأخرا
إذ يتناول العشاء مع لوسون . وكان قد أعد مأدبة فى مرسمه اخفاء بعيد
ميلاده ودعا أصدقاءه واشترى زجاجتى خمر من الحانة لقضاء ليلة سارة .
فسأله ملدريد : « هل دعيت نساء ؟ » فأجاب بالنفى . وقال : « انهم بضعة
رجال سيجلسون ويتحدثون ويدخنون » فلم تحسب ملدريد أن فى ذلك
نسبية وقالت أنها لو كانت رساما لكانت حولها عدد من نماذج النساء . .
ثم أوت الى فراشها ولكن النوم لم يطاوعها فقامت وأغلقت الباب
من الداخل حتى لا يستطيع فيليب أن يفتح به بمفتاحه .
ولما عاد فى الساعة الاولى بعد منتصف الليل ولم يقدر أن يفتح الباب قرعه
حتى فتحت له فقال لها : « لماذا أغلقت الباب هكذا ؟ انى شديد الأسف
إذ جعلتك تقومين من فراشك ! »

فقالت : « لقد أوصدته عمدا ! »

فبدت الدهشة في وجهه وقال لها : « اذن عودى الى فراشك حتى لاتصانى ببرد ! »

ثم دلف الى غرفة الجلوس وخلع حذاءه وجوربه ، واخذ يدفء قدميه أمام المدفأة . وحسبته ملدريد سكران لاحمرار وجنتيه ولمعان عينيه ، ولكنه لم يكن كذلك وانما كان في نشوة من المرح والضحك في تلك الحفلة ، وقد ذكره ذلك المساء بأمسيات باريس . ثم أخرج غليونه من جيبه وملاه . فقالت له : « ألا تأوى الى فراشك ؟ »

فقال : « لا أحس رغبة في النوم . ان لوسون كان يتكلم منذ دخلت عنده حتى خرجت ! »

فسأله : « فيم كنتم تتحدثون ؟ » . فقال : « في كل موضوع . كان يجدر بك أن ترينا ونحن كلنا نصيح ولا احد يستمع ! »
وضحك فضحكت هي أيضا وأيقنت انه شرب من الخمر أكثر مما اعتاده . . . ثم قالت له : « اجلس ؟ »

وقبل أن يجيب كانت قد جلست على حجره . واحاطت عنقه بذراعيها وقالت له : « لماذا تعاملنى بهذه القسوة يا فيليب ؟ »

فحاول أن يقوم ولكنها لم تدعه وقالت له : « انى احبك ! »

فقال لها : « دعى هذا الهراء » . ولكنها واصلت كلامها قائلة :

— ان ما أقوله صحيح ! . انى لا اقدر أن أعيش من غيرك ! . انى راغبة فيك ! »

فخلص نفسه من عناقها قائلا : « أرجو ان تقولى : انك تجعلين منى انسانا ابله ! »

فقالت له : « انى احبك يا فيليب . واريد أن أكفر عن كل الاذى الذى ألحقته بك . لا اقدر ان أستمر هكذا فان هذا ينافى طبيعة البشر ! »
فتسلل من كرسيه وتركها جالسة عليه وقال : « آسف . لقد فات الاوان ! »

فأخذت تنتحب وتقول : « ولكن لماذا تقسو على هذه القسوة الفظيعة ! »
فقال لها : « ربما كان ذلك لانى احببتك كثيرا فيما مضى . لقد استنفدت عاطفتى . ان التفكير فى أى شىء من ذلك القبيل يملؤنى فزعا . ولا انظر اليك الا تذكرت ميللر وجريفيث ! »

فتناولات يده وراحت تقبلها ، فصاح بها أن تكف . وعندئذ عادت الى الكرسي وقالت : « لا يمكن ان أستمر هكذا ! . اذا كنت لاتحببنى فانى أفضل أن اذهب من هنا ! »

فقال لها : « لا تكونى حمقاء ! ليس امامك مكان آخر تذهبين اليه . ويمكنك أن تمكى هنا ما شئت على أننا صديقان لا أكثر ! »

وعندئذ نركت فجأة ادعاء العاطفة وضحكت ضحكة ناعمة وأحاطنـه
بذراعيها وقالت له بصوت خافت : « لا تكن بهذه البلاهة !. انى أحسبك
عصيا . . . انت لا تدري كيف يمكنى ان أكون ظريفة ! »

والصفت خدـها بخده وأخذت تحكه به . فشعر فيليب بأشمئزاز منها
ونفور . وأزاح ذراعيها عنه ودفعها قليلا وقال لها : « انى مشمئز منك ! »
وبفتت هى . واستندت الى المدخنة . ونظرت اليه وقد بدا على وجهها
بقعتان حمراوان . ثم اخذت تصيح بأعلى صوتها وتسبه بأفحش الفاظ
السباب حتى دهش فيليب اذ كانت قبل ذلك تحرص على ان تكون مهذبة
معه . وعجب كيف تعرف تلك الالفاظ وهذه الكلمات . ثم قربت منه وقد
انقلب سجنـتها من الغضب وتدفق البصاق على شفتيها وهى تتكلم ،
وقالت له : « اننى لم اكرث لك قط ، ولا مرة واحدة ! ولقد كنت أسخر منك
وأسنفلك دائما . وكنت أضجر منك واكرهك . وما كنت لأدعك تلمسنى
لولا حاجتى الى النقود . وكنت أشمئز حين اضطر لأن أدعك تقبلنى . ولقد
كنت أنا وجريفيث نسخر منك ! »

ثم عادت تسبه اشنع السباب وتنسب اليه الغباوة والغرور والشح
والأنانية . وسخرت من كل شىء يحبه أو يقدره . وأخيرا استدارت لتذهب
الى غرفتها وهى لا تزال تصيح وتصخب بطريقة هستيرية . ثم التفت
اليه وقالت له الكلمة التى تعرف أنها تجرحه حقا وقالت : « انت أيها
الأعرج ! »

استيقظ فيليب صباح اليوم التالى شاعرا بأنه تأخر فى النوم . ونظر الى
ساعته فاذا الساعة التاسعة . فقفز من سريره وذهب الى المطبخ ليعد لنفسه
ماء ساخنا كى يحلق ذقنه . ولم تكن هناك ملدريد وقد بقيت الآنية دون
أن تغسل بعد عشاء الليلة الماضية . وقرع باب غرفتها قائلا : « استيقظى
يا ملدريد لقد تأخر بنا الوقت ! »

ولكنها لم نجب . وكرر القرع بدون جدوى . وكان على عجل فلم يبال
بذلك . وظن أنها ستعد طعام الفطور ريثما يرتدى ملابسه فى غرفة الجلوس .
وكانت قد فعلت ذلك مرتين أو ثلاثا فى حالة غضبها . ولكنه لم يسمع أى
صوت يدل على وجودها . فأدرك أنه اذا أراد ان يأكل فعليه ان يعد الفطور
بنفسه . وغازط منها ان تفعل ذلك فى هذا الصباح الذى تأخر فيه عن
موعدده . وبينما كان يتناول الشاى الذى صنعه بنفسه ويلقى نظره على
جريدة الصباح أخذ يفكر فى الشجار الذى قام بينه وبينها فى الليلة الماضية ،
وفى الكلام البذى الذى لفظته فاحمر وجهه حين تذكر نعيـرها له بعـرجه ،
ولكنه ما لبث ان هز كتفيه فقد ألف ان يعيره أى انسان بعـرجه اذا غضب منه !

وسرد ان سـغله عمله بالمستشفى وقد وصل اليه متأخرا ، ثم تناول
الفداء فى مشرب الكلية مع بعض رفاقه واخذوا يتحدثون عن حرب البوير
اللى كانت دائرة اذ ذاك فى جنوب أفريقيا . وكان كثير من طلبة الطب يريدون

التطوع ولكن السلطات كانت حريصة على الا تدع احدا يسافر الى ميدان القتال الا اذا كان من اطباء المستشفيات . على أن بعض رفاق فيليب أخذوا يقولون ان الحرب اذا استمرت فان السلطات ستضطر الى قبول كل طبيب تخرج . وكان الراى السائد هو ان الحرب لن تستمر أكثر من شهر . وكان هذا أيضا راى ، ماكالسنر ، سمسار البورصة وقد ذكر لفيلب ان عليهما أن يترقبا الفرص وأن يشتريا مقادير من الاسهم قبيل عقد الصلح . وعندئذ يحصل ارتفاع كبير فى أسعار الاوراق المالية فيجنون ربحا طائلا .

ولما اتم عمل اليوم بالكلية ، عاد بالتزام الى كنسنجتن ، وكان يخشى أن يجد ملدريد فى سورة غضبها . وكان الجو دافئا الى حد ما وود لو يواصل الركوب للرياضة . اذا كره أن يعود الى مسكنه مبكرا . ولكنه كان يحنو على الطفلة ويرغب فى رؤيتها ومداعبتها . ولما قرع الباب لم يرد احد . وكانت ملدريد قد اعتادت أن تترك له المفتاح تحت ممسحة القدم كلما خرجت فوجده هناك ولما ولج الباب اشعل عود ثقاب ثم اوقد مصباح الغاز ونظر حوله فشقق من الدهشة : لقد كان كل شىء محطما . فتملكه الغضب ودخل الى غرفة ملدريد فوجدها قد اخذت كل ملابسها وملابس الطفلة . ولم تكتف بذلك بل كسرت أيضا كل قطعة من الآنية ومزقت ملاءة السرير ووسادة الكرسي وجميع الصور المعلقة وحطمت المراة وكل شىء حتى اطارات الصور الفوتوغرافية لوالدته

ولم تكن قيمة هذا كله لتزيد على ثلاثين جنيها اذا بيعت ، ولكنها كانت تحوى ذكريات عزيزة عليه . ولقد كان فخورا ببيته الصغير وحسن ترتيبه . فتولاه بأس شديد وصار يسأل نفسه : كيف أمكنها أن تكون بهذه القسوة وهذا الجحود ؟!

وبغته تولاد خوف شديد فقد خشى أن نكون قد مزقت أيضا كل ملابسه الموضوعة فى الخزانة المعلقة . فسارع الى فتحها وسره أن وجد ملابسه كما هى لم تمس . ولعلها نسيها !

ثم خرج ليتناول طعاما . ولما عاد كانت اعصابه اهدا من قبل . ولحنه خاف أن يمس الطفلة سوء . وساءل نفسه هل ستذكره ؟ ولكنها طفلة صغيرة ولن تلبث أن تنسأ بعد أسبوع . ثم فكر فى ملدريد وحمد الله إذ خلص منها وتمنى ألا يراها فى حياته بعد ذلك !

وكان عليه أن يترك مسكنه . فعزم على أن ينذر صاحبة البيت بذلك صباح غد . ولا سيما أنه لم يبق له الا قليل من المال ، فعليه أن يبحث عن مسكن أرخص . وسرعان ما نفذ فكرته فباع حطام ماعه الى تاجر اثاث قديم بثلاثة جنيهات ، ثم انتقل الى غرفة مفروشة قليلة الايجار على مقربة من المستشفى !

في مواجهة الفقر

بدأت مصائر فيليب كاري تتأثر بالحوادث التي نمر بها بلاده . لقد كان التاريخ وقتئذ في دور تكوين جديد ، ومن عجب أن هذا التطور الهام يمر حياة طالب طب خامل . كانت حرب البوير في أبان شدتها وقد خسر الانجليز معركة بعد أخرى حتى جرححت الكرامة القومية، وتلقت الارستقراطية ضربة قاضية بعد أن كانت حتى ذلك الحين لا تلقى من يعارض جديا ما تزعمه من أن لها غريزة طبيعية لادارة شؤون الحكومة . ثم تغير الاتجاه واستسلم (كرونجي) في معركة (باردبرج) واستعيدت مدينة (ليدسميث) . حتى اذا بدأ شهر مارس دخل اللورد (روبرتس) بلدة (بلومفونتين)

وبعد يومين أو ثلاثة من وصول هذا النبأ الى لندن . جاء ماكاليستر الى الحانة وقال : « ان الاحوال في بورصة الاوراق المالية تدعو الى التفاؤل ، وان الصلح على الابواب ، ولا يلبث اللورد روبرتس قليلا حتى يدخل (بريتوريا) بعد بضعة أسابيع ، وقد بدأت الاسهم ترتفع قيمتها ، ومن المنتظر أن يستمر الارتفاع . ثم قال لفيليب : « هذا هو الوقت الملائم للشراء . ولا فائدة من الانتظار حتى ينتهز الجمهور الفرصة . فاما الآن واما لا . » ثم ذكر ان عنده معلومات خاصة عن ارسال مدير أحد المناجم في أفريقيا الجنوبية برقية الى الشريك الأكبر في المكتب الذي يعمل فيه ، وقد أخبره فيها أن ذلك المنجم لم يصبه ضرر من الحرب وأنه سيعود الى العمل في أقرب وقت ممكن . وعقب على هذا بأن شراء الاسهم والحالة هذه ليس مضاربة بالمال ولكنه ايداع مضمون . . . وليس أدل على هذا من أن الشريك الأكبر اشترى لأخيه ألف سهم من أسهم ذلك المنجم . ثم قال : « اننى مستعد لأن أبيع قميصى لأشتري من تلك الاسهم »

وكان ثمن السهم شلنين وثمانين . فنصح ماكاليستر لفيليب ألا يطمع بل يبيع أسهمه الثلاثمائة التي يعتزم شراءها حين يرتفع ثمن السهم الى عشرة شلنات . وكان فيليب شديد الثقة به ، من جهة لأنه الاسكتلندى فهو حذر بطبعه ، ومن جهة أخرى لأنه عامله من قبل . فأثبت له براعته في البورصة . ثم قال ماكاليستر لفيليب : « لعلنا نستطيع أن نبيع قبل المحاسبة . ولكن اذا لم نبع فسأدبر نك نرحيل الحساب الى ما بعده ! »

وبدا هذا النظام بديعا لفيليب فان كتاب الاسان يملك الاسهم الى أن يجنى ربحه منها دون أن يضع يده في جيبه لدفع ثمنها . وشرع يقرأ أعمدة الاوراق المالية في الصحف بانتظام ، وقد رأى في اليوم التالى أن الاسعار كلها ارتفعت قليلا . وكتب اليه ماكاليستر يقول انه قد اضطر الى دفع شلنين

وربع للاستيـم . وقال ان السوق ثابتة . ولكن بعد يوم أو اثنين تراجعت الاسعار على أثر ورود أخبار غير مطمئنة من جنوب أفريقيا

وقلق فيليب . ولكن ماكاليستر ظل متفائلا وقال : « ان البوير لا يمكن أن يثبتوا طويلا . ومن المؤكد أن اللورد روبرتسن سيدخل (جوهانسبورج) قبل منتصف ابريل » . وكان على فيليب أن يدفع نحو أربعين جنيها فرقا للسعر . وقد أزعجه ذلك كثيرا ولكنه رأى ألا بد من الثبات . ولم يحدث شيء جديد طيلة أسبوعين أو ثلاثة ، فان البوير لم يريدوا أن يعترفوا بالهزيمة بل انتصروا بعد ذلك في واقعة أو اثنتين ، وهبط سعر أسهم فيليب نصف كرون من جديد . واتضح للجميع أن الحرب لم تنته بعد ، وحصل اقبال على البيع حتى ان فيليب لما قابل ماكاليستر وجده متشائما لأول مرة

واشتد القلق بفيليب حتى جفاه النوم ، وقصر طعام الفطور على الشاي والحبز والزبدة حتى يسرع الى قاعة المطالعة بنادى الكلية ليقرأ الصحف . وأحيانا كان يجد الانباء سيئة . وأحيانا لا يجد أنباء أصلا . ولكن كلما تحركت أسعار الاسهم كانت حركتها هبوطا . فاذا هو باع أسهمه فانه يخسر ما يقرب من ثلاثمائة وخمسين جنيها . وتمنى من كل قلبه لو أنه لم يعرف البورصة ولم يخدع بالمضاربة فيها ، ولكن لم يبق أمامه الا الثبات . فلعل شيئا حاسما يقع فترتفع الاسهم من جديد ، ولم يعد يؤمل في الربح وانما انحصر أمله في أن يعوض خسارته ، وبذلك وحده يمكنه أن يواصل دراسته . وكان الفصل الدراسي الصيفي يبدأ في مايو وقد عزم على دخول امتحان التوليد في نهاية ذلك الفصل وبعد ذلك تبقى أمامه سنة واحدة !

وفي بداية شهر أبريل ذهب الى الحانة ليقابل ماكاليستر ويبحث الموقف معه

ولما جاء ماكاليستر قال لفيليب : « أريد أن أقابلك يا كاري فان القوم بالمكتب لا يريدون أن يحفظوا لك الاسهم بعد اليوم ، ان السوق في حالة مخيفة وهم يريدون منك أن تتسلم أسهمك ! »

ف فكر فيليب هنيهة ثم قال : « الأفضل أن تبيعها ! »

فقال له : « من السهل أن تقول ذلك . ولكنى لست واثقا من أنى أستطيع بيعها فان السوق راكدة وليس هناك مشتررون ! »

فقال له : « ان أسعار البورصة الرسمية اليوم سجلت شلنا وثمان شلن للسهم ! »

فقال : « أجل . ولكن هذا لا يعنى شيئا . ولا تجد مشترريا بهذا السعر ! »

وكان فيليب في حال من الغم والفرع ولكنه تمالك نفسه وقال : « أتعنى أن الاسهم لم تعد لها قيمة اطلاقا ؟ »

فقال . « لست أقول ذلك ! » إنها بالطبع تساوى شيئا . ولكن لا أحد يشتريها الآن ! »

فقال فيليب : « اذن بعها بأى ثمن ! »

فنظر ماكاليستر الى فيليب مليا وقال : « انى شديد الأسف . ولكنى ان أيضا فى مثل حالتك . ولم يتصور أحد أن الحرب ستطول هكذا »

فقال فيليب متصنعا الهدوء : « لا بأس ! »

وشعر بصداع شديد ، ولكنه لم يرد أن يشعر صديقه بخوره . فجلس معهما ساعة وهو يضحك من كل شىء يقولانه ، وأخيرا قام ليذهب، وصافحه ماكاليستر وهو يقول : « انك تتلقى الأمر بهدوء، ولست أحسب أحدا يجب أن يخسر مبلغا يتراوح بين ثلاثمائة جنيه وأربعمائة جنيه ! »

ولما عاد فيليب الى غرفته المتواضعة ألقى بنفسه على السرير واستسلم لليأس ، وندم على ما كان من حماقته وشعر بتعاسة لا حد لها . وأقضه مضجعه فلم ينم وتذكر كيف بدد ماله تدريجا طول السنوات القليلة الماضية حتى جاءت الضربة القاضية

وفى مساء اليوم التالى تسلم بالبريد بيانا بحسابه . فرأى أنه بعد أن يدفع كل ما عليه لا يبقى معه سوى سبعة جنيهات هى كل البقية الباقية من ميراثه ! وحمد الله على أنه يستطيع الدفع والا كان عليه أن يحمل مذلة الاعتراف لماكاليستر بأنه لا يملك المال اللازم . وكان قد اتفق مع زميل له بكلية الطب على أن يشترى منه جهازا لفحص قاع العين ولم يدفع الثمن بعد فالآن خجل من أن يرجع فى هذه الصفقة . وكان عليه أيضا أن يشترى بعض كتب لازمة له . وكان لا يزال معه خمسة جنيهات فكفته ستة أسابيع ثم كتب الى عمه خطابا أشبه بالمكاتبات التجارية . قال فيه أنه خسر من جراء الحرب مبالغ كبيرة من المال وأنه لن يستطيع مواصلة الدراسة الا اذا ساعده . وطلب اليه أن يقرضه مائة وخمسين جنيها على أقساط شهرية لمدة سنة ونصف . وأنه سيدفع له فائدة على هذا القرض ، ووعد أن يفي بهذا الدين تدريجا بعد أن يتخرج ويصير له دخل بعد سنة ونصف على الأكثر، اذ يحصل على وظيفة مساعد بمرتب قدره ثلاثة جنيهات فى الاسبوع . فكتب اليه عمه أنه يجب أن يساعده ولكن انه ليس من العدل أن يطلب اليه بيع أسهمه وسندات فى هذا الظرف السيء ، على أن القليل الذى يملكه من المال يجب أن يحتفظ به لنفسه احتياطا للمرض . ثم ختم خطابه بموعظة صغيرة أشار فيها الى أنه حذر مرة بعد أخرى ولكنه لم يصغ الى نصحه قط . وأنه كان يتوقع له ذلك نتيجة اسرافه وعدم اتزانه !

ولما قرأ فيليب هذا الخطاب اشتد به الغضب فانه لم يتوقع قط أن عمه سيرفض مساعدته . على أن غضبه ما لبث أن استحال يأسا قاتلا . فانه ما دام عمه قد أبى أن يعاونه فانه لن يقدر أن يواصل دراسة الطب !

وتولاه الرعب اذ تكشفت له هذه الحقيقة الرهيبة ، فترك الكبرياء جانبا وكتب الى عمه ثانية يوضح له موقفه أكثر من قبل، ولكن قسيس بلاكستيل رد عليه بأنه لا يقدر أن يغير رأيه ، وبأن شابا مثله في الخامسة والعشرين كان يجدر به أن يكسب معاشه ، وحسبه أنه سيرث القليل الذي يخلفه بعد موته . أما قبل ذلك فلن يحصل منه على بنس واحد !



شرع فيليب يرهن ملابسه، وخفض نفقاته فصار لا يأكل الا وجبة واحدة من الطعام طول يومه بعد وجبة الفطور . وكان يتناول تلك الوجبة المؤلفة من الخبز والزبدة والكاكاو عند الساعة مساء ويبقى عليها الى صباح غده . وكان أحيانا يشتد به الجوع فيأوى الى فراشه عند الساعة التاسعة مساء . وفكر في أن يقترض نقودا من لوسون غير أن خوفه من أن يرفض اقراضه صده عن الطلب . وأخيرا تجرأ وطلب اليه أن يقرضه خمسة جنيهات فأعطاه اياها بسرور غير أنه أردف ذلك بقوله : « ستردها الى بعد أسبوع . أليس كذلك ؟ فان على أن أدفع حساب صانع الاطارات وليس عندي مال في هذه الآونة ! »

وكان فيليب يعرف انه لن يستطيع ردها ، فخاف أن يسيء ظنه به ربما لبث أن أعاد اليه الجنيهات الخمسة نفسها بعد يومين اثنين . وكان لوسون على أهبة الذهاب الى مطعم لتناول عشاءه فدعاه لمرافقته ، وقد سر فيليب أن يلقي طعاما مغذيا بعد ذلك الحرمان ولكنه لما جلس الى المائدة لم يجد شهية للطعام لشدة ألمه . وكان واثقا من أنه يجد طعاما دسما عند آل ثلثي يوم الاحد . قد أحجم عن اخبارهم بحاله ، فانهم كانوا يحسبونونه دائما في رغد من العيش فخاف أن يبدلوا رأيهم فيه اذا علموا أنه مفلس !

ولم يلبث حتى رأى أنه بعد أسبوع تقريبا لن يبقى معه بنس واحد . فعليه أن يبحث توا عن مورد رزق له . ولو أنه كان قد تخرج لأمكنه أن يتطوع في الخدمة الصحية للجيش بافريقيا الجنوبية برغم عرجه، اذا اشتدت الحاجة الى عدد من الاطباء هناك . ولولا عرجه أيضا لأمكنه أن يتطوع في فرقة الفرسان . وذهب الى سكرتير الكلية يبدى استعداداه لاعطاء دروس خاصة لأي طالب يكون متأخرا في دراسته . ولكن السكرتير ذكر له أنه لا يوجد طالب من هذا القبيل . وعندئذ أخذ فيليب يقرأ أعمدة الاعلانات المبوبة ، في الصحف فقدم طلبا لوظيفة مساعد غير ذي مؤهلات في صيدلية بشارع (فولهام) . ولما ذهب الى هناك لم تفتحه نظرة صاحب الصيدلة الى قدمه العرجاء . وتعلم انه طالب بالسنة الرابعة بكلية الطب فاعتذر له بأنه ليست له التجربة الكافية ، وعندئذ اتجه فيليب الى وسائل أخرى لكسب عيشه . ولما كان يعرف الفرنسية والالمانية فقد أمل في أن يجد لنفسه

وظيفة كاتب مراسلات ، وكانت وظيفة حفيده بالنسبة له ولكنه نمى لو يظفر بها فى حالته المؤلمة . وقد خجل أن يرد بنفسه على الاعلانات التى تنص على أن يتقدم الطالب بنفسه ، واكتفى بالتقديم للوظائف التى تتطلب الكتابة فقط . ولكنه لم تكن له تجربة يذكرها فى طلبه ، ولم يكن بيده توصية من أحد . وكان واثقا أن ما يعرفه من اللغتين الفرنسية والالمانية لا علاقة له بالاعمال التجارية ومكاتباتها ومصطلحاتها . وهكذا أدرك أن حالته ميئوس منها ، وفكر فى أن يكتب الى المحامى الذى كان منفذا لوصية أبيه ولكنه لم تطاوعه نفسه على ذلك ، فانه لم يعمل بنصيحته فى الماضى اذ نصح له بألا يبيع ميراثه ، وكان قد علم من عمه أن المستر نيكسون سىء الظن به من كل الوجوه ، فقد استنتج من سنة التلمذة التى قضاها بمكتب المحاسبة أنه كسلان ولا يصلح لشيء !

وقال فيليب لنفسه : « انى لا ألبث قليلا حتى اموت جوعا ! »

وخطر له أن ينتحر وكان يسيرا عليه أن يحصل على سم من صيدلية المستشفى ، غير أنه لم يفكر فى ذلك تفكيراً جدياً . أجل انه حين هجرته ملدريد اشتد به العذاب حتى أراد أن ينهى حياته . ولكنه الآن لا يحس مثل هذه الرغبة ، وتمنى لو يجد أحدا يئنه همومه ولكنه خجل من نفسه وواصل البحث عن عمل !

ومضت ثلاثة أسابيع دون أن يدفع الاجرة الاسبوعية عن غرفته ، وادعى لربة البيت أنه ستأتيه نقود فى نهاية الشهر فلم تقل شيئا ، وانما زمت شفقتها وعيبت . ولما حل آخر الشهر طلبت اليه أن يدفع ولو شيئا مما عليه فاعتذر لها وقال انه سيكتب الى عمه وأنه واثق من أنه سيستطيع دفع حسابه يوم السبت المقبل ، فقالت له : « آمل ذلك يا مستر كارى لان على أن أدفع ايجار البيت ، ولا يمكننى أن أترك حسابات النزلاء تتراكم ! » ولم تتكلم بعصب ولكن حزمها روعه . . . ثم أردفت قائلة : « واذا لم تدفع يوم السبت القادم فانى سأضطر أن أشكوك الى سكرتيرية الكلية ! » ونظرت اليه لحظة ثم رددت بصرها فى الغرفة الخاوية وقالت له دون توكيد وكأنها تتكلم عرضا : « عندى شريحة لحم فاذا -جئت الى المطبخ . فانى يسرنى أن تتناول عندى غداك ! »

فاحمر وجهه وحبس دمعة تريد أن تترقرق فى عينيه وقال : « شكرا جزيلا يا مسز هيجنز ولكنى لست جائعا ! »
ولما خرجت من الغرفة ارتوى على السرير وصار يقبض يديه كى يمنع نفسه من البكاء !

ثم حل يوم السبت . وهو اليوم الذى وعد فيه أن يدفع ما عليه لربة البيت . وكان طول الاسبوع يتوقع أن يحدث شيء ما يبدل حاله . ولكن لم يحدث شيء ولم يجد عملا . وكان لم يبق معه سوى بضعة بنسات وكان لديه بضعة كتب يمكنه أن يبيعها بشلن أو شلنين ولكن ربة البيت كانت

تراقبه عن كذب وخاف أن تقفه اذا رآته يخرج بأى شىء من الغرفة . فكان
الحل الوحيد أن يصارحها بأنه عاجز عن دفع الحساب . ولكنه لم يجد فى
نفسه الجرأة على ذلك

كان ذلك فى منتصف يونية ، والليل دافىء لطيف ، فعزم فيليب على أن
يبقى فى الخارج ولا يعود الى غرفته . ومشى على شاطئ النهر حتى كل من
المشى فجلس على دكة ثم غفا . ولم يدركم من الوقت ظل نائما فقد استيقظ
مذعورا اذ حلم أن شرطيا هزه وأمره أن يقوم . ويمضى فى سبيله ولكنه لما
فتح عينيه لم يجد أحدا

ثم مشى ثانيا هائما على وجهه حتى كل فنام على دكة أخرى . وما لبث
أن استيقظ . وخيل له ان الليل طويل لا ينتهى وتملكه شعور بالذلة
والهوان ولم يدر ماذا يفعل . وخجل من أن ينام كائى متشرد وشعر بحمرة
الخجل تعلو وجهه . وكان قد سمع قصصا عن المتشردين الذين ينامون على
شاطئ النهر ، وأن بينهم ضباطا وقسوسا ورجالا درسوا فى الجامعات .
فسأل نفسه : هل قدر له أن يكون واحدا منهم ؟ وهل تنتهى به الحال الى
أن يقف فى الصف لكى يحصل على حساء من بعض جهات الخير ؟ . انه ليوثر
الانتحار على ذلك المصير . ولا يمكنه أن يستمر على هذه الحال . ولا شك
أن لوسون سيساعده اذا علم حقيقة أمره ، ومن الحماقة أن تحول كبرياؤه
دون طلب المساعدة منه . وسأل نفسه : كيف سقط هكذا على أم رأسه ؟
انه حاول دائما أن يفعل ما يحسبه أحسن ما يفعل . ولقد ساعد الناس
قدر امكانه ، ولم يكن أنانيا أكثر من غيره ، فمن الظلم البين أن تصل به
الحال الى ما هو فيه !

وفكر فى عمه وفيما ذكر فى خطابه الاخير من انه عند وفاته سيترك له
القليل الذى يملكه ، ولم يدر فيليب قط ما مقدار هذا القليل ولكنه على أى
حال لن يزيد على بضعة مئات من الجنيهات . ففكر فى أن يقترض مبلغا على
أن يسدد القرض بعد وفاة عمه ، ولكن لا بد دون ذلك من موافقة عمه على
الصك وهو لن يوافق بأى حال . ثم قال لنفسه : « ان المسكك الوحيد أمامى
هو أن أصبر حتى يموت عمى ! »

واستمر هكذا بضعة أيام وكان لا يتناول الا القليل من الطعام الذى
لا يغنى عن جوع حتى شعر بالضعف والمرض ، وعجز عن كثرة المشى للبحث
عن عمل . وكان قد جاب نواحي لندن ردا على اعلانات الاستخدام بالصحف
واعتاد أن يقف فى صف طالبي العمل أمام الحوانيت والمكاتب حتى لقد ألف
وجوه بعضهم وحاول واحد أو اثنان منهم أن يعقدا صداقة معه ولكنه نفر
منهما . وكف عن مقابلة لوسون لانه مدين له بخمسة شلنات . ثم تولاه
نوع من اليأس فصار لا يبالي ما يحدث وأصبح عاجزا عن التفكير المتزن
وكان شعور البرد يشتد به عند الفجر ! . وفى احدى الليالى ذهب الى
غرفته ليغير ثيابه وقد زلق عند الساعة الثالثة حين يكون كل من فى البيت

نائمين وانسل خارجا عند الساعة الخامسة ورقد هاتين الساعتين على سريره ولكن نعومته أقضت مضجعه اذ كانت عظامه كلها توجهه . وكان قد اعتاد قلة الطعام حتى صار لا يشعر بالجوع ولكن بالضعف وحده . وكانت فكرة الانتحار تراوده فيبذل كل ما بقى من عزيمة لكي يبعدها عن ذهنه . وكان يقول لنفسه : « انه من الحمق أن أنتحر لان شيئا ما لابد أن يحدث فينقذني من هذه الورطة ! »



واشتاق الى يوم الأحد ليزور فيه آل أثلنى بعد طول غيابهم . وكانت ليلة السبت باردة الجو ، ولم يتناول شيئا من الطعام منذ ظهر ذلك اليوم ، وفى صباح الاحد دفع آخر بنسين عنده فى الاستحمام بمغسل عند تشيرنج كروس . ثم ذهب ظهرا الى بيت أثلنى . ولما دق الجرس هرع الاطفال كلهم للقاءه عند الباب فأثر فيه فرحهم بلقاؤه حتى كاد يغلبه البكاء . وسألوه لماذا لم يأت يوم الاحد الماضى ؟ . فزعم أنه كان مريضا ، فسألوه عن المرض فذكر لهم اسما لاتينيا طويلا . . ثم سحبوه الى غرفة الجلوس وكان بها والدهم فقام وصافحه وهو يمعن فيه النظر ثم سأله لماذا لم يأت يوم الأحد الماضى ؟ . فزعم له أيضا أنه كان مريضا . وجاءت المسز أثلنى فقالت له : « ان الغداء سيكون جاهزا بعد عشر دقائق . أفلا تأكل الآن بيضة مضروبة فى اللبن حتى يأتى الغداء ؟ »

وبدا على ملامحها شئ من القلق جعل فيليب يشعر بالحجل ، ولكنه ضحك ضحكة مغتصبة ورد عليها بأنه ليس جائعا . وجاءت (سالى) فأعدت المائدة وبدأ فيليب يعاكسها ، وكانت أسرتها تداعبها بأنها سوف تصبح سمينة مثل العمة اليزابث عمة أميا ، التى لم يرها أحد من الاطفال ولكنهم مع ذلك يعدونها مثلا للبدانة . . فقال لها فيليب : « ماذا دهاك يا سالى ، منذ رأيتك آخر مرة ؟ لقد زاد وزنك كثيرا ؟ ! »

فضحك الجميع ولكن سالى قالت : « انى واثقة أن وزنك أنت لم يزد فقد أصبحت عظما على جلد ! »

فاحمر وجهه من الحجل ! . ولحظ المستر أثلنى ذلك فقال لسالى : « انه حر فى أن يصبح نحىلا ، ولكن بدانتك اذا استمرت تصبح مخالفة للذوق ! » فردت سالى قائلة : « دعنى أعد المائدة يا أبى . انى واثقة أن بعض الناس لا يلحظون فى شيئا من ذلك ! »

فقال أثلنى : « ان الحبيشة تلمح بذلك الى أن جوزيف ابن ليفى تاجر الجواهر فى هولبورن قد طلب الزواج بها ! »

فسألها فيليب : « وهل قبلت يا سالى ؟ »

فقالت له : « ألا تزال لا تعرف أبى ؟ . ليس هناك كلمة صدق فيما قاله ! »

ولما بدأ فيليب يأكل رأى معدنه ناعمة من الإكل الطول ما حامت . . ولم يلاحظ أن اثلنى كان على خلاف عادته قليل الكلام . وأراد فيليب أن يبدؤ عاديا وكأن لم يحدث له شيء ولكن ذهنه كان مشغولا . حتى اذا انتهوا من تناول الطعام جلس معه اثلنى وحده وناول له سيجارة ثم قال له : « لقد فلت لبتى أن تشغل الاطفال عنا حتى نتكلم بحرية ! »

فنظر اليه فيليب مرتاعا ولكن اثلنى لم يدعه يتكلم وقال « لقد كتبت اليك يوم الأحد الماضى لأسألك لماذا لم تأت كالمعتاد . ولما لم أتلق منك جوابا ذهبت الى بيتك يوم الاربعاء ! »

فأدار فيليب رأسه جانبا ولم يتكلم . وأخذ قلبه يدق دقا عنيفا . وسكت اثلنى لحظة ثم استطرد قائلا : « وقد أخبرتنى ربة البيت أنك لم تأت الى غرفتك منذ ليلة السبت ، وقالت أنك مدين لها بايجار الشهر الاخير . فأين كنت تنام طول هذا الاسبوع ؟ »

فنظر فيليب الى النافذة وقال : « فى غير مكان ! »

فقال اثلنى : « لقد حاولت أن ألقاك . . اننى وبتى مضينا أياما كثيرة بلا نقود أيضا ! . . ولم نكن وحدنا بل كان لنا أطفال نعولهم ونرعاهم ! . فلماذا لم تأت الينا ؟ »

وخاف فيليب أن يغلبه البكاء فأغمض عينيه وعبس ، وشعر بالحنق على اثلنى اذ وقف على سره . وما لبث أن وجد نفسه يقص عليه كل ما حدث له فى الفترة الاخيرة . واستمع اليه اثلنى باهتمام ثم قال له : « الآن ستعيش معنا حتى تجد لنفسك عملا ! »

فقال فيليب : « هذا جميل منك ولكنى لا أستطيع ذلك ! »

وسأله اثلنى : « لماذا ؟ » . فلم يجب . والواقع أنه خشى أن يرهقهم . وكان بطبيعته يكره أن يقبل صنيعا من أحد ! . وكان يعرف أنهم يعيشون من اليد للقم ، وأنهم لكثرة عيالهم ليس لديهم مدخر ولا فائض من المال

ثم قال له اثلنى : « لا شك أنك ستعيش معنا . وفى امكان ثورب أن ينام مع أحد أخوته وتنام أنت فى غرفته . ولا تظن أن طعامك يحدث أى فرق عندنا ! »

ولم يتكلم فيليب لفرط تأثره وقام اثلنى فنادى زوجته قائلا : « بتى : ان المستر كارى سيعيش معنا ! »

فقالت : « يسرنى ذلك . سأرتب له سريرته الآن ! »

وقد قالت ذلك بشكل طبيعى وود ظاهر ، حتى زاد فيليب تأثرا من عطف هؤلاء القوم عليه . ولم يكن قد اعتاد من الناس عظفا من قبل ، وانحدرت على خديه دمعان على الرغم منه ، فتغافل (اثلنى) عن رؤيتهما وظل يكلم زوجته عن الترتيب اللازم لغرفة المستر كارى !

اللقاء الاخير

قال اثلنى لفيليب : « ان كثيرا من المستخدمين فى شركة الاقمشة التى أعمل فيها جندوا فى الحرب ، وقد وعد لين وسيدلى صاحباً الشركة أن يحفظا وظائفهم لهم حتى يعودوا ، وعهدا فى أعمالهم الى المستخدمين الباقين دون أن يزيدا مرتباتهم . ولكن الحرب طالت ، وفصل الاجازات على الابواب ، ولهذا آمل أن أجد لك عملاً فى الشركة ! »

وكانت تجارب فيليب فى البحث عن العمل توحى اليه بأن هذه الشركة لن تقبله ، ولكن اثلنى أوهمه أن له شأنًا فيها ومديرها لا يرفض له طلباً ، ثم ذكره بما تلقاه من دراسة فى باريس وقال له : « اذا عملت فى الشركة زمنا فقد يعهد اليك فى تصميم الازياء ورسم الاعلانات »

وبعد يومين عاد اثلنى يقول : « ان المدير آسف لأنه لا توجد وظيفة خالية فى ذلك القسم . فسأله فيليب : « أليس هناك عمل فى قسم آخر ؟ »

فقال : « ليس هناك عمل مناسب ، لكنهم سيعلمون غدا عن خلو وظيفة دليل لرواد المحل . وما أظن أنها تليق بك »

وكان اثلنى قد أدخل فى روع فيليب أنه سيعين فى وظيفة أرقى من ذلك ، وفى الوقت نفسه كان أفقر من أن يستمر فى إيوائه دون مقابل الى ما لا نهاية ، وأخيرا قال له : « تستطيع أن تقبل هذه الوظيفة مؤقتا حتى تجد ما هو خير منها »

فابتسم فيليب وقال : « انى لم أعد طموحا ! »

فقال اثلنى : « اذا شئت الحصول على هذه الوظيفة ، فعليك أن تقدم نفسك للمدير عند الساعة التاسعة الا ربعا صباح غد »

وقد وصل فيليب فى الموعد الذى حدده اثلنى له ولكنه لم يدخل عند المدير الا عند الساعة العاشرة ، وكان المدير فى تلك اللحظة يقرأ خطابا ، فلحظ فيليب أنه متورد الوجه، له شعر بلون الرمل ، وقد تدلت من سلسلة ساعته عدة جوائز للعبة كرة القدم . وأخيرا نظر الى فيليب ولكنه لم يكلمه وانما أخذ يملأ خطابا على فتاة تكتب على الآلة الكاتبة . ثم التفت الى فيليب وسأله عن اسمه وسببه وخبرته . فأجاب عن هذه الاسئلة ومضى فقال : « لعل المستر اثلنى قد كلمك عنى يا سيدى »

فقال له المدير : « أنت الذى رسمت ذلك الاعلان ؟ انه لا يصلح لنا ! » ثم نظر الى فيليب متفحصا ، ولعله رآه يختلف عن الاشخاص الآخرين

الذين تقدموا لتلك الوظيفة وقال له : « يجب أن تحصل على بذلة رسمية سوداء (فراك) . . انك تبدو شابا محترما . . وأحسبك قد وجدت أن الفن لا يجزى صاحبه ! . . من أى بلد أنت ؟ . . انى أحب أن أتبع فرصة للشباب . وكثيرا ما أتحت الفرص لشبان أصبحوا الآن مديرين وهم يقدرون ما فعلته لهم . لكن يجب أن يبدأ الانسان من أدنى السلم حتى يمكنه أن يتعلم العمل ! »

فقال فيليب : « سأبذل كل جهدى يا سيدى ! »

قال : « حسنا ! انى أراك تصلح ، وسأعطيك ستة شلنات فى الاسبوع ، ما عدا اقامتك وطعامك . وهذا المبلغ يدفع مرة فى الشهر ، وهو لمصروف جيبك فقط . وستبدأ العمل يوم الاثنين المقبل . أليدك اعتراض ؟ »

فقال فيليب : « لا . . يا سيدى وشكرا ! . . »

فختم المدير حديثه قائلا : « وستنام فى بيت معد لمستخدمى الشركة فى شارع هارنجتون . ورقمك هو عشرة . ويمكنك أن تنام هناك ابتداء من مساء الاحد اذا شئت . عم صباحا ! »



أقرضت السيدة اثلنى فيليب بعض النقود سدد بها حساب ربة البيت الذى كان يقطنه حتى تسمح له بأخذ متاعه من غرفته . واضطر الى أن يرهن بذلة له لقاء خمسة شلنات استأجر بها بذلة (فراك) تناسبه . ثم أرسل الصندوق الذى به ملابسه الى شارع هارنجتون ، وفى صباح الاثنين ذهب به اثلنى الى المحل ، وقدمه للرئيس ، فبدأ هذا لطيفا معه ، وراح يفخر بأنه يعرف اللغة الفرنسية وأنه زار باريس ، ثم زاد فى تليفه معه حين علم انه يعرف الفرنسية والالمانية وأنه زار هيدلبرج وباريس . . ولكنه لحظ أنه يعرج وسأله : « ماذا بقدمك ؟ »

فقال متلعثما : « ان لى قدما مشوهة ، لكنها لا تمنعنى من المشى ! » ولم يقل المدير شيئا ، لكنه عجب فى نفسه كيف عينه برغم هذه العاهة . والواقع أنه لم يلحظ عرجه حين قابله لأول مرة

وطاف أحد المستخدمين مع فيليب على أقسام المحل ليعرف مكان كل قسم حتى يمكنه أن يرد استعلامات رواده . ثم وقف فى الموضع الذى حدد له ليجيب عن الاسئلة . وجاءت سيدة تسأل عن قسم من الاقسام فقال لها : « الى اليمين ثم الى اليسار يا سيدتى »

وكان العمل مملا متعبا . وبعد بضعة أيام صارت قدماه توجعانه حتى لا يكاد يقوى على الوقوف . وكانت السجادة الكثيفة الناعمة التى يقف عليها تزيد فى حرارتها حتى لتكادان تحترقان . فاذا أوى الى فراشه ليلا

أله أن يخلع جواربه . وما لبث أن عرف أن جميع زملائه يشكون مثل هذه الشكوى !

وفي آخر الشهر قبض فيليب ثمانية عشر شلنا وكانت أول ما كسبه مرق جبينه . فأعطى السيدة اثلني خمسة عشر شلنا مما عليه ، ولكنها أثبت أن تأخذ أكثر من نصف جنيه . فقال لها : « على هذه الحالة لا يمكنى أن أسدد لك جميع القرض الا بعد ثمانية أشهر »

فقالت : « مادام اثلني يعمل فاني يمكنى الانتظار . ومن يدري لعلك تجيئك علاوة ! »

ولم يكن هناك من أمل للخلاص مما هو فيه الا أن يموت عمه فيرث منه بضع مئات من الجنيهات تمكنه من استئناف دراسته . ولكن متى يموت ؟ لقد تخطى السبعين من عمره ، وهو بعد يعاني سعالًا مزمنًا ، فاذا اشتد البرد في الشتاء فقد تكون القاضية . . . وكذلك كان الحر الشديد في الصيف يؤثر فيه تأثيرًا سيئًا !

وقد تجنب فيليب الأماكن التي كان يرتادها قبل بؤسه ، وتبددت جماعة الحانة بشارع بيك فان ماكالستر بعد أن تسبب في خسارة أصدقائه صار لا يذهب إلى هناك . ولم يبق الا لوسون وحده . ولكن فيليب صار يتفادى لقاءه . بيد أنه بعد ظهر يوم سبت كان سائرًا في شارع (ريجنت) قاصداً الى المكتبة العامة التي في حارة (سانت مارتين) فلقية وجهاً لوجه ، وأراد أن يمضي في سبيله دون أن يحييه ولكن لوسون ناداه ودعاه الى مرسمه ليتحدثا بعض الوقت ، فرفض قائلاً : « ليس هناك ما نتحدث عنه » . وكان قد كرهه أن يرى صديقه القديم لأنه يذكره بالرغد الماضي ويؤكد له الشقاء الحاضر . وقد تنلم لوسون لرفضه تلك الدعوة ، لكنه مشى معه حين هم بالمشي في سبيله .



انتهى الخريف وحل الشتاء ، وكان فيليب قد ترك عنوانه لدى الآنسة فوستر مدبرة منزل عمه لكي تكتب اليه عند الحاجة ، وصار يذهب الى المستشفى مرة كل أسبوع لعله يجد خطاباً منها . وفي مساء أحد الأيام وجد خطاباً له بخط كان يتمنى ألا يراه أبداً . إذ أثار في نفسه ذكريات بغیضة . وظل لحظة راغباً عن فض غلافه ، ولكن الفضول غلبه فقرأ فيه ما يأتي :

« ٧ شارع وليم - ميدان ميتزوري . . عزيزي فيليب . . أرجو أن أراك لحظة بأسرع ما يمكن . اني في ورطة شديدة ولا أدري ما أفعل . والأمر لا يتعلق بالنقود - ملديريد »

وتملكه شعور الاسمزاز من رؤيتها . وقال لنفسه : « انها تستحق كل

مكروه ! » . لكنه لما أوى الى فراشه لم يواته النوم وجعل يسائل نفسه عما بها ، وخاف أن تكون مريضة جائعة . ولقد سخط على نفسه لضعفه هذا ولكنه أيقن أنه لن يطمئن له بال حتى يراها

وفى صباح اليوم التالى بعث اليها برقعة من الورق ذكر فيها بأسلوب جاف أنه أسف لأنها فى ورطة وأنه سيزورها بالعنوان المبين بخطابها ، عند الساعة السابعة من مساء اليوم نفسه !

وقد رآها تسكن بيتا حقيرا بشارع حقير . ولم يكن قد نظر الى خاتم البريد على الخطاب الذى تلقاه منها والا لعلم أنه مكث ينتظره أياما قبل أن يتسلمه . ولما دق الجرس فتحت له الباب امرأة عجوز ، ولما سألها عن مندريد لم تجب واكتفت بأن قادتة فى ممر هناك ، ثم قرعت بابا فى نهايته، وصاحت تقول : « يا سيدة ميلر . . هنا سيد يريد أن يراك ! »

ففتح الباب قليلا وأطلت ملدريد بحذر ولما رآته قالت : « أهو أنت ؟ . . ادخل »

ودخل فأغلقت الباب وراءه . وكانت غرفة نوم صغيرة ، وغير مرتبة كأي مكان عاشت فيه من قبل ! . . وكان على الارض حذاء لم ينظف . وعلى خزانة واطئة قبعة وضعت بجانبها خصلات من شعر مستعار !

وعلى المنضدة قميص نصفي (بلوزه) . ثم قالت له : « اجلس . أحسبك قد أدهشك أن تسمع منى ثانية ؟ ! »

فقال لها « ان صوتك أجش . هل زورك محقق ؟ »

فقالت : « أجل . أشكو ذلك منذ حين ! »

فلم يقل شيئا . وانتظر حتى تشرح له لماذا طلبت مجيئه . ودله منظر الغرفة دلالة واضحة على أنها قد عادت الى تلك الحياة التى أنقذها منها من قبل . وسأل نفسه عما حدث لابنتها . وكانت ملدريد ممسكة بمنديل فكورته فى يدها وصارت تضغطه فى عصبية ملحوظة . وكانت تنظر الى نار المدفأة فنظر اليها دون أن تتقابل أعينهما ، فرآها قد اشتد تحولها حتى لكأنها عظم على جلد . وكانت قد صبغت شعرها فصار لونه كتانيا وغير ذلك شكلها كثيرا وجعلها أكثر ابتذالا !

ثم قالت له : « لقد فرحت اذ جاءنى خطابك وكنت حسبتك قد تركت المستشفى »

وبقى هو ساكتا فواصلت كلامها قائلة : « لاشك أنك قد تخرجت الآن ؟ »

فقال لها : « كلا ! لقد تركت الكلية منذ ثمانية عشر شهرا ! »

قالت : « هكذا ؟ . . انك لا تكاد تثبت على شيء ! »

فسكت لحظة ثم قال : « لقد خسرت المال القليل الذى كنت أملكه : فى مضاربة بالبورصة ، ولهذا لم أستطع مواصلة الدراسة . -- »

فسألته : « اذن . . ماذا تفعل الآن ؟ »

فقال : « أعمل فى متجر »

ونظرت اليه لحظة ثم حادت ببصرها عنه ومسحت يديها بالمنديل بشكل عصبى ثم قالت له : « لكنك لم تنس ما تعلمته من الطب ، أليس كذلك؟ . . لقد طلبت اليك أن تأتى ، لأننى لا أدرى ماذا دهانى ! »

فقال لها : « لماذا لا تذهبين الى المستشفى ؟ »

فقالت : « لا أحب أن أدخل المستشفى فأرى الطلبة من حولى يحدقون فى ، ثم انى أخاف أن يحجزونى ! . . وأنا لا أشكو سوى طفح جلدى لا يريد أن يزول ! »

فقال لها : « دعينى أنظر الى زورك ! »

واقترب بها من النافذة وفحص حنجرتها بقدر ما يستطيع ، ثم التقى بصره ببصرها فرأى الرعب ماثلا فى عينيها . وكانت تريد منه أن يطمئنها . ولكن أنى له ذلك ؟ ثم قال : « انك مريضة حقا ! »

ثم أخبرها بمرضها ، فشحب وجهها حتى صار كوجوه الموتى ، وأخذت تبكى وتنتحب . فقال لها : « انى شديد الأسف : ولكن كان على أن أصدرحك بالحقيقة ! »

وحاول أن يبعث فى نفسها العزاء ولكن دون جدوى . ولما هم بالخروج تعلقت به وقالت : « لا تتركنى وحدى الآن ، اننى لا صديق لى سواك ! . . لنذهب لتناول العشاء معا . وسأدفع أنا الحساب ! »

وتردد لحظة وخاف أن تزحف ثانية الى حياته بعد أن خلاص منها . ثم قالت له : « انى أعلم انى أسأت اليك كثيرا . ولكن لا تتركنى وحدى الآن . لقد انتقمتم لنفسك . واذا تركتنى لنفسى فما أدرى ما أنا فاعلة ! »

فقال لها : « حسنا ! . . ولكن يجب أن نختار مطعما رخيصا فليس معى الآن كثير مال أبدده »

وارتدت ملابسها بسرعة وخرجت معه الى مطعم فى شارع التوتنهام كورت) . وكان فيليب قد اعتاد الا يأكل فى مثل ذلك الوقت ، أما هى فكانت حنجرتها تؤلمها ولا تكاد تزدد شيئا . وجلسا أحدهما أمام الآخر كما كانا يجلسان فى الايام الحالية . وطلبا لحم خنزير باردا ثم شربا كأسين من الجعة . ولم يجد أحدهما ما يقوله للآخر . وقد بدت لعينى فيليب فى ضوء المطعم عجوزا هزيلة . وأراد أن يعرف ما جرى لابنتها فلما سألها عنها قالت : « انها ماتت فى الصيف الماضى »

فلم يزد على أن قال : « أوه ! لقد ارتاحت على أية حال ! »

ونظرت اليه وأدركت ما يعنيه !

ولما انتهيا من طعام العشاء مرا على صيدلية ليشرى الدواء الذى وصفه

لها ، ثم عادا الى غرفتها فأعطاهما جرعة منه وجلسا معا برهة حتى حان الوقت لأن يعود الى شارع هارنجتون

وجعل فيليب بعد ذلك يزورها كل يوم وكانت تشرب من الدواء الذى وصفه وتتبع تعليماته ، وسرعان ما تقدمت صحتها فصارت تثق ببراعته ثقة لا حد لها . وقالت له :

- حين أحصل على عمل يصبح كل شيء على ما يرام . لقد تلقيت درسا وسأفيد منه ! «

فقال : « يجب أن تقبلى أى عمل تجدينه فانى لا أقدر أن أساعدك ، ونقودك لا تلبث حتى تنفذ ! «

فقالت : « انها لم تنفذ بعد على أية حال ! «

فسكت وقد اشتد به الشك . وكان قد اعتاد أن يخرج من لدنها كل مساء عند الساعة الثامنة تماما ، فلما خرج فى هذه الليلة لم يذهب الى سنواده فى شارع هارنجتون . بل وقف فى ركن بميدان فتزورى يرى منه كل من يمر بشارع وليم . وخيل اليه انه ينتظر وقتا طويلا حتى اذا هم بالانصراف فتح باب البيت الذى تسكنه وخرجت منه ، فتراجع حتى اختفى فى الظلام ثم رآها تمشى فى اتجاهه وعلى رأسها تلك القبعة ذات الريش الكثير التى تلفت النظر ولا تليق للفصل الحالى . فتبعها دون أن تشعر به حتى وصلت الى شارع (توتنهام كورت) فأبطأت فى مشيتها ، حتى اذا وصلت الى ناصية شارع اكسفورد وقفت ثم نظرت حولها وعبرت الشارع الى مسرح هناك . وعندئذ لحق بها وليس ذراعها فارتاعت ، وقد لحظ أنها قد وضعت على خديها طبقة من المسحوق الاحمر وصغت شفيتها ، وقال لها : « الى أين تذهبين يا ملديريد ؟ »

فقالت : « أردت أن أشهد الرواية ، فانى أضجر من المكث وحدى بالبيت ! «

فلم يتظاهر بأنه صدقها بل قال لها : « لا ينبغي لك ذلك . لقد قلت لك خمسين مرة انه خطر عليك . يجب أن نقلعى عن ذلك فورا ! «

فصاحت به قائلة : « أمسك عليك لسانك . والا فمم أعيش ؟ ! «

فقال لها : « بالله تعالى معى أوصلك الى بينك . إنك لا تدريين ما تفعلينه . ان هذا اجرام ! «

فقالت : « ماذا يعنينى ؟ دعهم يأخذوا حظهم ! ان الرجال لم يحسنوا الى فكيف أخاف عليهم ؟ «

ودفعته بعيدا عنها ، وذهبت الى نافذة التذاكر فاشتريت تذكرة ودخلت المسرح مسرعة !

ولم يكن فى جيبه سوى ثلاث بنسات فلم يقدر أن يتبعها . وعاد يمشى ببطء فى شارع اكسفورد وهو يقول لنفسه : « لا أقدر أن أفعل شيئا ! «

ولى الشتاء ، وبدأت الاشجار تورق من جديد ، ولكن فيليب تولاد فتور عجيب ، اذ رأى الوقت يمضى وخاف أن يمضى معه شبابه دون أن يبلغ الى هدف !

وفى أحد ايام يوليو جاءه نبأ بأن عمه يحتضر ، وقالت له الأنسة فوستر فى خطابها اليه : « ان الطبيب قدر أن المسـتر كارى لن يعيش الا اياما معدودة ، فاذا رايت أن تراه قبل وفاته فعليك أن تأتى دون ابطاء ! »

ولم ينتظر فيليب بل ذهب نوا الى مدير الشركة وقدم له استقالته من عمله . . . وكان كارها لهذا العمل كارها لزملائه فيه ولكل ما يتعلق به . ولكنه لما أخذ متاعه من ذلك البيت الذى بشارع هارنجتون لم يشعر بالفرح الذى كان توقع أن يشمله اذا قدر له أن يترك تلك البيئة . وقال يحدث نفسه : « ان لى سجية فاسدة فانى اتوق الى الاشياء بكل ما بنفسى من قوة حتى اذا حدثت كما تمنيتها لا أكاد أحس ابتهاجا بحدوثها ! »

ووصل فيليب الى بلاكسنيل بعد ظهر أحد الايام وقابلته الأنسة فوستر قائلة له : « حمدا لله ! . . لقد تحسن اليوم ، ان له بنية قوية ! » ثم قادتة الى الغرفة التى يرفد بها القس . فابتسم لفيليب حين رآه وقال له بصوت ضعيف : « لقد حسبت أمس أنى انتهيت ويئس الجميع منى . ولكن لا يزال بالكلب العجوز رمق ! »

فقالت له الأنسة فوستر : « لا ينبغي لك أن تتكلم حتى لا تجهـد نفسك ! »

وقد أدرك القس أن فيليب قد دعى الى الحضور ولم يصدق انه جاء عفوا . فى اجازة وسرد انه خيب أمله ولم يمت !

وجاء الدكتور ويجرام ففحص القس ثم قال لفيليب على انفراد : « أخشى أن تكون نهائيه قد حلت يا فيليب ، وستكون وفاته خسارة لنا كبيرة فقد عرفته منذ خمس وثلاثين سنة ! » فقال فيليب : « ولكنى اراد بخير الآن ؟ »

فقال الطبيب : « انى أبقيه حيا بالعقاقير ولكن ذلك لن يستمر طويلا . لقد ساءت حالته فى اليومين الاخيرين وحسبتمـرأوا انه قد مات ! »

ومكث المسـتر كارى بضعة ايام دون تغير ، وكان قد فقد شهيته القوية وصار لا يأكل الا قليلا . وأخذ الدكتور ويجرام يهدىء التهاب الاعصاب عندد بأدوية مسكنة . وبقي ذهنه صافيا .

وأخيراً في صباح أحد الأيام نادى القس ابن أخيه فذهب إليه فيليب
بوا يسأله « أتريد شيئاً يا عماد ؟ »

فسكت لحظة ثم قال بصوت واهن وهو ينظر الى السقف : « أحسبني
سأمتوت ! »

فقال له فيليب : « دع عنك هذه الاوهام ، انك ستنعيش أعواماً
كثيرة ! »

فانحدرت دمعتان من عينيه وقال : « ناد المستر سيمونز . اريد أن
بصلي على »

وكان المستر سيمونز هو الخوري ، فذهب فيليب مدعوراً الى الأنسة
فوستر وأيقظها من نومها ، وجاء الخوري بعد لحظة فدخل عنده وأدى له
المراسم الدينية المعتادة ، ولما خرج دخل فيليب فقال له عمه : « انى على
أهبة تامة الآن . اذا اراد الله أن يدعوني اليه فاني مستعد لأن أضع
روحي بين يديه ! »

وسكت لحظة ثم قال : « سألق بزوجتي العزيزة ! »

وكان ذلك آخر ما نطق به ثم لفظ نفسه الأخير !

وبعد انتهاء الجنازة والمراسم المعتادة ، علم فيليب أنه ورث كل ما خلف
عمه . وهو أسهم وسندات في بعض شركات البيرة والمسارح وفي مطعم
بلندن ، فضلاً عن ثمانين جنيهاً بأحد البنوك ، وكانت قيمة الأوراق المالية
نحو خمسمائة جنيه يضاف إليها المبلغ المودع بالبنك وثمان الإثاث ! ولا شك
أنها كانت ثروة كبيرة هبطت على فيليب من السماء ، لكنه لم يحسن فرحاً
شديداً بها وان أحسن الفرج !

وبعد بضعة أيام عاد فيليب الى لندن ، ولأول مرة دخل قاعة مسنمى
سانت لوك بعد أن كان لا يدخله الا مساء بحثاً عن خطابات له . وذهب
توا لمقابلة سكرتير الكلية فعجب فيليب اذ سأله السكرتير : « أين كنت
طول تلك المدة ؟ » . وأجابه بأن بعض الظروف الخاصة أرغمته على قطع
حبل دراسته حيناً وقد جاء ليستأنفها من جديد !

ثم أقبل على الدراسة بهمة مضاعفة ، وكان المحنة التي مر بها زادت
معرفة بقيمتها وتعلقاً ببلوغ الهدف الذي يرمى اليه . وقد رأى أن أكثر
رفاقه تخرجوا وصاروا أطباء بالمستشفيات أو مساعدين بالعبادات الخاصة



سر إلى أن انتهى بالحظ الذي وافق صدقهم . ولكن قد احتفظ ببعض التحف
من تركة عمه ولم يبعها لكي يهديها اليهم ، وقد أعطى سالي قلادة ذهبية
كانت لزوجته عمه . وكانت سالي قد عملت عند خياطة في شارع ريجنت
وصارت تذهب الى محلها منذ الساعة الثامنة من صباح كل يوم وتمكث

اليوم كله في العمل . وكانت ممثلة صيحة وبشاشة ، ذات عيني زرقاوين تنمان عن الصراحة . ولها جبهة عريضة وشعر غزير لامع . وكان أبوها مهتما بقوامها . يحذرهما دائما من البدانة . . وكان المعجبون بها كثيرين لكنها كانت لا تكثر لهم ، وكانت كبيرة العقل بالنسبة لسنها ، ولا عجب فقد اعتادت ان تساعد أمها في تربية أخوتها وأخواتها الصغار . ولم تكن كثيرة الكلام لكنها لما كبرت صارت ذات نكتة لاذعة . وقد لاحظ فيليب انه لا يمكنه ان يوثق الألفه ويرفع الكلفة معها كما يفعل مع بقية افراد أسرتها !

ولما اعطاها القلادة قال لها أبوها بطريقته المرححة : « ان الواجب عليك ان تقبله شاكرة ! »

فاحمر وجهها وتراجعت قائلة : « كلا ! . . لن اقبله ! »

فقال لها : « لماذا أيتها الناكرة للجميل ؟ »

فقالت : « لأنى لا أحب ان يقبلنى الرجال ! »

ولحظ فيليب ارتباكها فاسترعى التفات اثنى الى امور اخرى ولما زارهم فيليب مرة اخرى انتهزت فرصة وجودها وحدها معه وقالت له : « اغاضب أنت على لأنى لم اقبلك في يوم الاحد الماضى حين اعطينى القلادة ؟ »

فضحك وقال : « كلا ! . . مطلقا ! »

فاحمر وجهها قليلا وقالت : « لم يكن ذلك نكرانا لجميلك . فانى سأقدر دائما هذه القلادة الجميلة التى اعطينتها ! »

وشعر بأنها تريد ان تتحدث معه فوضع الكتاب الذى كان يقرأ فيه جانبا فقالت له : « استمر فى القراءة . لقد رايتك وحدك فجئت اجلس قليلا معك ! »

فقال لها : « انك اكثر الناس الذين عرفتهم صمتا ! »

فقالت : « لسنا بحاجة الى ثرثار آخر بالأسرة ! »

واخذت تواصل حياكة ثوب طفلة كان فى يدها . وهكذا لم ترد ان تمضى يوم الاحد نفسه دون عمل ، ونظر اليها فيليب فراعته دلائل الصحة البادية عليها ولم يسعه الا ان يقارن بينها وبين ملديرد النحيلة المريضة بفقر الدم



فى بداية اغسطس نجح فيليب فى امتحان الجراحة الاخير ونال الدبلوم . وكان قد انقضى سبع سنوات منذ دخل كلية الطب وقد قارب الثلاثين من عمره . ولما هبط درج كلية الجراحين حاملا الدبلوم فى يده قال لنفسه مغتبطا : « الآن يمكننى ان ابدأ حياتى حقا ! »

وفي اليوم التالي ذهب الى سكرتير الكلية ليسأله عن وظيفة مساعد بأحد المستشفيات . وكان السكرتير رجلا ظريفا قصير القامة ذا لحية سوداء ، وكان فيليب يرتاح اليه دائما . فهناك على نجاحه وقال له : « أحسبك لا يضرك أن أمضى شهرا طبيبا مساعدا على شاطئ البحر في الجنوب بمرتب ثلاثة جنيهات في الاسبوع فضلا عن السكنى والطعام ؟ » فقال فيليب : « لا بأس ! » . واستطرد السكرتير فقال :

— توجد وظيفة مساعد في فارنلي بدورستشير عند الدكتور ساوث . ويجب أن تذهب الى هناك فورا فقد أصيب مساعده بالتهاب الغدة النكفية . وأحسبها وظيفة سارة جدا

وضحك . فأدرك فيليب أنه يتهم وأن هناك سرا وراء هذه الوظيفة . ولما ألح على السكرتير ليخبره بما هنالك . قال له هذا : « أن الدكتور ساوث رجل مسن لا يخلو من شذوذ . وقد رفضت التوكيلات أن ترسل اليه أى مساعد على الإطلاق . أنه يصارح الانسان برأيه بشكل مثير ولذا لا يرتاح اليه أحد ! »

فقال له فيليب : « لكن أظنه يرضى بى وأنا حديث التخرج ؟ . أننى لست لى خبرة بعد ! »

فقال السكرتير : « يجب أن يسر اذ يجداك ! »

ففكر فيليب هنيهة ، ولم يكن أمامه شئ بفعله في الاسباع القليلة القادمة فرأى أن لا ضير من أن يربح قليلا من النقود . وفي مكانه أن يرجى الرحلة التى كان قد اعتزم القيام بها الى اسانبا عقب تخرجه . ثم قال للسكرتير : « حسنا ! .. سأذهب يا سيدى ! »

فقال السكرتير : « يجب أن تسافر بعد ظهر اليوم وسأرسل برقية الى الدكتور ساوث »

وكان فيليب يود لو يرتاح بضعة أيام ولكنه كان قد زار أثلنى في الليلة الماضية (وقد ذهب اليهم توا ليزف اليهم بشرى نجاحه) فلم يكن هناك مانع من السفر دون ابطاء

ووصل الى فارنلي عند الساعة السابعة مساء فركب عربة الى عيادة الدكتور ساوث . وأدخل غرفة الفحص فوجد رجلا مسنا جالسا الى مكتب ، فنظر الى فيليب اذ ادخلته الخادمة دون أن يقوم من مكانه أو يتكلم . فقال له فيليب : « أظنك كنت تنتظر قدومى يا سيدى . أن سكرتير كلية سانت لوك أبرق اليك صباح اليوم »

فقال الدكتور ساوث : « لقد أرجأت تناول العشاء انتظارا لقدومك . الا تغتسل أولا ؟ »

فقال : « أجل ! » وهنا نهض الدكتور ساوث من كرسيه فلاحظ فيليب أنه متوسط الطول ، ذو شعر أشيب وفم واسع يزوم شفثيه . وكان أشبه بفلاح من فلاحى القرن التاسع عشر . . ثم قاده الى غرفة الطعام وتناول

العشاء معه وهو يفحصه بنظره . وقال له أخيراً : « كم عمرك ؟ . أحسبك قاربت الثلاثين فكيف لم تتخرج الا حديثاً ؟ »

فقال فيليب : « لم أبدا دراسة الطب الا بعد ان بلغت الثالثة والعشرين من عمرى ، ثم قطعت الدراسة سنتين ! »

فسأله : « لماذا ؟ » . فقال : « بسبب الفقر ! »

وبعد العشاء سأله الدكتور ساوث : « أتدرى أى نوع من العيادات هذه ؟ » . فلما اجاب بالنفى واصل كلامه قائلاً :

— ان اكثر العملاء هنا من صيادى السمك وعائلاتهم . وعلى ايضا ان اذهب الى مستشفى يونيون ومستشفى البحارة . وكنت اعمل وحدى هنا ولكن منذ اصبحت هذه القرية مصيفاً جاء طبيب آخر وافتتح عيادة فوق الصخرة هناك وصار يقصده الموسرون . اما انا فلا يقصدنى غير أولئك الذين لا يقدرّون على دفع أجر الطبيب ! »

وادرّك فيليب ان تلك المنافسة هى نقطة الضعف عنده فقال له : « لعلك تعلم انى لست لى خبرة »

فقال : « طبعاً . . ليس لاحد من امثالك خبرة ! »

وبقى الدكتور ساوث يومين او ثلاثة يرقب فيليب عن كثب واحس فيليب ذلك فأخذ يباشر عمله بسرور ورغبة . وكان الناس من كل صنف يأتون الى العيادة . وقد أسعده انه ما لبث حتى كسب ثقة مرضاه . وابهجه ان يرى عملية البرء عن كذب وهى التى كان لا يراها بالمستشفى الا من بعيد . وكان عمله يقتضيه ان يدخل اكواخ ذات سقف منخفضة يسكنها صائدو السمك وقد بعثرت ادوات الصيد هنا وهناك ولم تخل من شراع او غيره يذكر بأن اصحابها كانوا بحارة ارتادوا بحار اليابان او سافروا الى استانبول !

وفى ذات مرة اخطأ فى تشخيص مرض الحصبة عند طفل وحسبه مرضاً جلدياً . فسخر منه الدكتور ساوث سخريّة لاذعة . ولكنه تلقاها منه دون غضب ! ومرة او مرتين اختلف معه على طريقة العلاج ولكن فيليب رد عليه ببرود . وكان الدكتور ساوث أحياناً ينظر اليه نظرة التساؤل ، وقد خيل اليه انه يسخر منه وهو الذى كان يرعب مساعديه ! . . وفى بعض الاحيان كان يهم بأن يطرده ولكنه ايقن ان فيليب فى هذه الحالة يضحك فى وجهه ولا يذهب . وما لبث الرجل ان انقلب غيظه منه ميلاً اليه ، وهو لا يفتأ يقول لنفسه : « ما أوقحه ! ما أوقحه ! »

وكان فيليب قد كتب الى أثلنى ينبئه بمكانه وعمله ، فرد أثلنى يدعوه الى ان يلحق به واسرته بعد انتهاء الشهر حيث يمضون اجازتهم السنوية فى حقل تملكه أسرة السيدة أثلنى فى إقليم (كنت)

ومضت أربعة اسابيع سراعاً . وفى الاسبوع الخامس والاخير جاءت طفلة

قدرة الوجه حافية القدمين ذات مساء وقرعت باب العيادة ففتح لها فيليب وما لبثت أن قالت له :

— أرجو منك يا سيدى أن تأتى فوراً الى السيدة فلتشر فى حارة ايفى فصاح بها الدكتور ساوث : « ماذا جرى للسيدة فلتشر ؟ » ولكن الطفلة لم تلتفت اليه وانما استمرت تكلم فيليب : « أرجو منك يا سيدى الحضور حالا . فان ولدها أصيب فى حادث ! »

فقال لها الدكتور ساوث : « قولى للسيدة فلتشر انى قادم اليها » ولكن الطفلة ترددت لحظة ووضعت اصبعها فى فمها وظلت تنظر الى فيليب . فابتسم لها وقال : « ماذا تريدين ؟ » فقالت : « ان السيدة فلتشر تريد الدكتور الجديد ! »

فصاح الدكتور ساوث قائلاً : « اليس السيدة فلتشر مرتاحة الى ؟ لقد عنيت بها منذ ولدت ، فما لها ترانى لست كفؤاً لان أعالج طفلها القذر ؟ » ونظرت الطفلة لحظة وكأنها مقبلة على البكاء ثم عدلت عن ذلك وأخرجت لسانها للدكتور ساوث وجرت بأقصى سرعتها . فقال له فيليب لكى يغطى خجله من فعلة الطفلة : « انك بادى التعب والطريق طويلة الى حارة ايفى » لكن الدكتور ساوث رد عليه قائلاً : « ان هذه الطريق يسهل قطعها على رجل سليم القدمين أكثر مما يسهل على من ليست له سوى قدم ونصف ! »

فاحمر وجه فيليب وسكت لحظة ثم قال له ببرود : « أتريد منى أن اذهب ام ستذهب أنت ؟ » فقال له : « ما فائدة ذهابى ؟ انهم يريدونك انت ! »

ولما عاد فيليب قال له الدكتور ساوث : « هل أملك اشارتى الى قدمك العرجاء ؟ »

فقال له : « لقد اعتدت أن يشير اليها الناس صراحة او ضمنا كلما تكذبوا منى ! »

فقال : « اظن أن هذه هى نقطة الضعف عندك ؟ » فنظر اليه فيليب نظرة صارمة وقال له : « أيسرك انك قد اكتشفتها ؟ » فسكت الدكتور ساوث هنيهة وهو يبتسم ابتسامة خبيثة ثم قال : « لماذا لا تمكث معى هنا دائماً وتخلصنى من ذلك الاحمق ذى الغدة النكفية ؟ »

فقال له : شكراً لك ان هذا جميل منك ، ولكنى آمل ان أحصل على وظيفة فى أحد المستشفيات فى الخريف القادم ، وقد تساعدنى هذه الوظيفة فى الحصول على عمل آخر فى المستقبل »

فسكت الطبيب العجوز لحظة ثم قال : « انى أعرض عليك أن تكون شريكى فى هذه العيادة ! »

فدهش فيليب وسأله : « لماذا ؟ » . فأجاب بقوله : « لان القوم هنا يحبونك ؟ »

فقال فيليب بجفاء : « كنت أحسب ان هذا أمر لا يترك ! »

فقال له : « أتظن انى بعد أربعين سنة أبالى أن يؤثر الناس مساعدي على ؟ .. كلا يا صاحبي . ليست هناك عاطفة بينى وبين عملائى . ولست أريد منهم عرفانا بالجميل ولكن دفع أتعابى ! »

وبقى فيليب صامتا يفكر ، وود لو يسمع سكرتير الكلية هذا العرض فانه لا شك يدهشه . ثم قال الدكتور ساوث : « ان دخل العيادة يبلغ حوالى سبعمائة جنيه فى السنة . ويمكن ان تقدر ما يكون نصيبك من رأس المال على أن تدفعه لى أقساطا . وحين أموت تخلفنى . واحسب ذلك خيرا لك من العمل سنتين أو ثلاثا فى المستشفيات ثم عملك مساعدا حتى يمكنك أن تفتح عيادة لنفسك »

وكان فيليب يعلم أن هذا المركز ترنو اليه اعين كثير من الخريجين أمثاله، ولكنه كان قد وطن العزم على أن يمكث وقتا ما فى أحد المستشفيات وبعدئذ يسافر الى أسبانيا ثم يعمل طبيبا باحدى السفن التى تسافر الى الشرق الأقصى وقد استهوت الرحلات خياله منذ كان غلاما يقرأ الكتب المصورة ! ومن هنا شكر للدكتور ساوث عطفه . وصارحه بما فى نيته . حتى اذا انتهت مهلة الشهر وأراد السفر . صحبه الدكتور ساوث الى المحطة فشعر بشيء من الغم لترك هذه البلدة وقال له : « لقد مضيت ها هنا وقتا سعيدا . وانى شاكر لك عطفك الكريم »

فقال له الدكتور ساوث : « حسبك سعيدا بالرحيل ! . ولكن لا بأس . انك تريد أن ترى العالم . ولك شبابك »

ثم سكت لحظة وقال : « تذكر دائما انك اذا غيرت رايتك فان العرض الذى عرضته عليك سيبقى قائما »

فقال فيليب : « هذا عطف كبير منك ! »

وصافحه فيليب من نافذة القطار . ثم أخذ يفكر فى الاسبوعين اللذين سيقضيهما فى الحقل مع آل اثلنى وكان قد اشتاق اليهم كثيرا . وعاد الدكتور ساوث الى عيادته يمشى على مهل وقد شعر بالشيخوخة والوحدة !



مرقا الامان

وصل فيليب مساء الى فيرن وكانت القرية التي ولدت فيها السيدة اثلنى ونشأت ، وقد اعتادت منذ صغرها أن تقطف الثمار وهم يغطون رؤوسهم بقبعات من القش. وكان الزراع في تلك الايام ينامون في موسم جنى المحصول في المخازن ، ثم أقيم صف من الاكواخ على حافة المرعى ، وكان لآل اثلنى كوخ منها يأوون اليه كل عام

واستقبل اثلنى فيليب بالمحطة وقد جاء بعربة اقترضها من مضيضة القرية وفيها أعدت غرفة لمبيته . وكانت تبعد مسافة ربع ميل عن الجقل . وترك حقيبته هناك ومشيا الى كوخ آل اثلنى على حافة المرعى . وكان أمامه نار موقدة اجتمعت حولها الاسرة . وقد لحظ فيليب أن الشمس لفحت وجوه الاطفال فزادوا جمالا . وخيل اليه أن السيدة اثلنى قد أصبحت امرأة أخرى بقبعتها المصنوعة من القش ، ولا عجب فانها نشأت في الريف ولا تهنا الا فيه . وكانت في تلك الساعة تسوى لحم خنزير وفي الوقت نفسه ترقب اطفالها الصغار وقد رحبت بفيليب كما فرح به الاطفال جميعا !

ونادت السيدة اثلنى الاطفال ليتناولوا العشاء . وافنقدت سالى فنادت بها وجاءت من داخل الكوخ . وتبين فيليب وجهها في ضوء النار الموقدة فراها قد زادت فنة وصحة حتى قال لها : « انك يا سالى تدين كبائعة اللبن في قصة العفاريث ! »

وجلست سالى صامتة وصارت تلبى حاجات فيليب بشكل سرد وأرضاه . وكان بين حين وآخر ينظر الى وجهها المتورد الجميل . وقبل أن يذهب الى مثواه قالت له السيدة اثلنى :

— نحن نتناول طعام الفطور عند الساعة السادسة الا ربعا فان علينا ان نبدأ العمل في الساعة السادسة . ولكنك لست مضطرا لان تستيقظ مبكرا هكذا

فقال اثلنى : « كيف ذلك ؟ . يجب أن يعمل مثلنا حتى يكسب أجر اقامته وثمر طعامه . اذا لم يكن عمل فلا غداء يا صاحبي ! »

وقالت السيدة اثلنى : « ان الاطفال يستحمون في البحر قبل الفطور »

فقال فيليب : « اذن . . في استطاعتهم أن يمشوا على ليوقظوني ويأخذوني معهم »

ففرح اثنان ا هارولد وادوارد لهذه الفكرة ، وفي صباح اليوم التالي أيقظوه من حلم جميل قبل طلوع الشمس . وذهب معهم صوب

البحر . وفي الطريق وجدوا سالى ممسكة بيد (كوني) الصغير وعلى ذراعها فوطه وثوب استحمام له . فحيته بانسامتها الرقيقة ولحظ بفتة انتظام أسنانها ونصوع بياضها . وعجب كيف لم يلتفت الى أسنانها من قبل وقالت له : « اردت أن يدعوك تأخذ قسطك من النوم ولكنهم أصرروا على ايقاظك ، فقلت لهم أنك لا تريد حقا أن تأتي »

فقال لها : « الواقع انى يسرنى ان أصحبكم الى البحر ! »

وكان البحر على بعد ميل . وما كاد الاطفال يلمحونه حتى خلعوا ثيابهم . أما سالى فكانت تعمل كل شيء بتؤدة ، ولم تنزل الى الماء الا بعد أن سبقها الجميع . وما لبث فيليب أن مثل دور الفريق فأخذ الاطفال يقلدونه حتى اضطرت سالى الى أن تستخدم كل سلطتها عليهم . ولما خرجوا من الماء قالت لفيليب بلهجة الأمومة الجادة : « -انك لا تقبل- (شقاوة) عنهم . بل انهم اولاك ما كانوا بهذه الشقاوة ! »

فضحك فيليب وطلب منها الصفح . . ولما وصلوا الى الكوخ كانت السيدة أثلى قد غادرت الى الحقل . أما زوجها فكان قد استعد للرحيل . وقال لهم : « لا تبطئوا في تناول الفطور حتى لا تتكدر أمكم منكم ! »

وكان كل منهم يحمل سلة ليملاها بالثمار التى يقطفها ، وقد حمل فيليب سلة مثلهم ، ولكنه بدل أن يشتغل جلس يحدث سالى . وقد وعد جين أن يساعد أخته بعد أن يملأ سلتته . وقال لها فيليب : « ألا يؤذى قطف الثمار يديك الناعمتين وأنت تشتغلين بالحياكة ؟ »

فقالت له : « ان القطف يحتاج الى أيد ناعمة ولهذا تبرز النساء فيه الرجال ! »

وكان فيليب قد عرفها منذ كانت طفلة صغيرة فهو لا يقدر الآن أن ينظر اليها نظرتة الى امرأة

وكان العمل ينتهى بعد الظهر بعد أن تجمع اكداس من المحصول ثم تعود النساء الى اكواخهن لترتيبها واعداد الطعام

وكان فيليب متعبا ولكنه كان سعيدا . وبعد تناول العشاء معهم جلس يدخل غليونه . وكانت سالى تمر أمامه داخلة الى الكوخ وخارجة منه ، فلفتت مشيتها نظره ، لا لرشاقتها ولكن لأنها مشية فتاة واثقة من نفسها . وكان أثلى قد ذهب الى كوخ جار له ليتحدث معه وجلس فيليب مع الأسرة برهة قبل أن يأوى الى فراشه فى المضيئة . وما لبثت السيدة أثلى أن قالت :

— لقد نفذ الشاى من عندى وكنت اود لو ذهب أثلى الى السيدة بلاك ليشتري منها نصف رطل من الشاى

ثم سكنت لحظة وقالت لسالى : « اذهبي أنت الى السيدة بلاك للقيام بهذه المهمة »



ومدت اليه يدها فأمسك بها وقال : « لو كنت لطيفة حقاً .. لقبلتني ! »

وكان للسيدة بلاك كوخ على بعد نصف ميل على جانب الطريق وفيه تؤدي مهمة البريد مع مهمة البقالة . وخرجت سالى من الكوخ وقد أرخت كميتها . فقال لها فيليب : « آتى معك يا سالى ؟ »

فقلت : « لا تتعب نفسك ، فاني لا أخاف أن أذهب وحدي ! »

فقال لها : « لم اقل أنك تخافين ، ولكنى أريد أن أمشي قليلا قبل أن أنام »

فلم تجب سالى وخرجا معا . ولم يتحدثا كثيرا في الطريق وإنما قال فيليب : « ان الجو حار حتى بالليل ! »

فقلت سالى : « انه جو بديع بالنسبة لهذا الوقت من السنة »

ولكن سكوتهما لم يثقل عليها فقد سرهما انهما يمشيان جنبا الى جنب ولم يشعرنا بحاجة الى الكلام . ومرا على سياج من شجر فسمعا عنده أصواتا خافتة وما لبثا أن تبينا وسط الظلام شابا وفتاة جالسين معا ولم يتحركا من مكانهما حين مرا بقربهما ، فقلت سالى : « ترى من يكونان ؟ »

فقال فيليب : « انهما باديا السعادة »

فقلت : « لعلهما حسبا اننا أيضا عاشقان ؟ ! »

ولمحا ضوء الكوخ على بعد فقصدا اليه وما لبثا أن اشتريا الشاي الذي يريدانه . وفي اثناء عودتهما قالت له سالى : « اذا وقفت لحظة ساكتا سمعت صوت أمواج البحر من هنا »

ثم انصتا معا فخيل اليهما انهما يسمعان صوت الامواج . حتى اذا مرا بالسياج وجدا العاشقين لا يزالان في موضعهما ولكنهما كانا متعائنين . فقلت سالى : « يبدو انهما مشغولان ! »

واثر الليل والسكون والخلاء في نفس فيليب فصار يشعر بشعور عجيب ، حتى خاف أن تتكلم سالى فتبدد سحر الجمال الذي يحسه . حتى وصلا الى الحقل الذي يجتازانه قبل أن يصلا الى الأكواخ . فوقف فيليب عند البوابة ليودع سالى ويذهب الى المضيعة ، وقال لها : « هنا نفترق .. عمى مساء »

فقلت له : « شكرا لك على ذهابك معي كل هذه المسافة ! »

ومدت اليه يدها فأمسك بها وقال « لو كنت لطيفة حقا لقبلتني مثل اخوتك وأخواتك »

فمدت اليه شفتيها وكان فيهما دفء ونعومة . ولم يدر ما دهاه فأحاطها بذراعيه واستسلمت له ولم تقاوم وشعر بقلبها يخفق مثل قلبه ثم تغلبت عليه حواسه الفياضة الثائرة فانتبذ بها مكانا منعزلا ، ومضيا يتبادلان القبلات

نام فيليب ليلته نوما عميقا ثم استيقظ في الصباح مذعورا اذ كان (جين) يلعب بريشة في وجهه . . وقال له : « استيقظ يا كسلان . ان سالى تقول انها لن تنتظرك الا اذا اسرعت ! »

وعندئذ تذكر ما حدث الليلة الماضية فتولاه الندم ، ولم يدر كيف يواجه سالى بعد ذلك ، وساءل نفسه كيف استسلم لحماقته ! ولكن الاطفال لم يتركوا له وقتا يفكر فيه فأخذوا ملابس الاستحمام الخاصة به وتسحبوه الى الطريق . ولما راته سالى ابتسمت له وقالت : « انك بطيء في ارتداء ملابسك . لقد حسبتك لن تأتى ! »

ولم يلحظ اى تغير فى مسلكها نحوه وكان يتوقع ان يرى عليها دلائل الخجل والكدر

ومشوا جميعا صوب البحر يتكلمون ويضحكون . وكانت سالى ساكنة صامتة ولكن تلك خلتها دائما . ولم تسع الى فتح باب الكلام معه ، كما أنها لم تتفاد محادثته . ودهش فيليب حتى ظن ان الأمر لم يكن الا رؤيا رآها فى نومه !

ونزل مع الاطفال الى البحر ، ومكث معهم أطول مدة ممكنة وهو يسبح بأقصى قوته حتى وقفت سالى على حافة الماء وصاحت به بلهجة حزم : « فيليب يجب أن تخرج من الماء فوراً »

فقال : « حسنا ! سأخرج الآن »

ولم تكن قد كلمته قط بمثل هذه اللهجة وكان ما حدث ليلة أمس قد أعطاها نوعا من الحق عليه فصارت تعد بمثابة طفل لها ترعاه . وبعد بضع دقائق لبس ثيابه وبدأ الجميع يمشون عائدين . ونظرت سالى الى يديه فقالت : « انظر . . ان يدك زرقاوان ! »

فقال : « لا بأس ! » . لكنها تناولت يديه واخذت تحكما بيديها واحدة اثر اخرى حتى عاد اليهما الدم . ولم يقدر أن يقول لها شيئا لوجود الاطفال . حتى اذا وصلوا الى الحقل حكّت لوالدتها ما كان من شقاوة فيليب ومكثه طويلا فى الماء حتى ازرق جسمه من البرد !

ولم تواته فرصة للانفراد بها الا فى المساء اذ كانت تطهو طعام العشاء ، وكان جالسا على العشب يرقبها وما لبث ان قال لها : « هل أنت غاضبة منى يا سالى ؟ »

فقالت متعجبة : « انا أغضب منك ؟ لماذا ؟ ! »

فدهش ولم يجب . وازاحت غطاء القدر وعلبت محتوياتها ثم غطتها ثانية وفاحت فى الجو رائحة شهية . ثم نظرت اليه ثانية والابتسامة على شفتيها وفى عينيها معا . وقالت له : « لقد احببتك دائما ! »

فكاد قلبه يقفز بين جنبيه وقال : « لم أكن ادرى ذلك ! »

فقالت : « ذلك لأنك أبله ! »

فسكت هنيهة ثم قال لها : « لست أدري لماذا احببتنى ؟ »
فقالت : « وأنا أيضا لا أعرف . ولكنى شعرت بالحب نحوك فى ذلك اليوم
الذى جئت الينا فيه وكنت تنام فى العراء ولا تجد ما تأكله . أتذكر ؟ »
فاحمر وجهه اذ كان يذكر الماضى بشيء من الرعب . ثم قالت له : « وهذا
الذى كان يجعلنى ارفض كل خاطب . أتذكر ذلك الشاب المهندس الذى
ارادته امى ان أتزوجه ؟ . لقد تركته يأتى لتناول الشاى عندنا لأنه كان
يضايقنى ، ولكنك تعلم انى رفضته بعد ذلك »
فتولته الدهشة حتى لم يعرف ما يقول . وعادت سالى تقلب ما بالقدر ،
وما لبثت ان رأت أمها قادمة فقالت : « هل اترىض معك الليلة بعد ان ينام
الاطفال ؟ »

فقال : « هذا يسرنى ولا شك ! »
فقالت : « اذن انتظرنى عند البوابة ! »
وبعد العشاء ونوم الاطفال وافته هناك فتلقاها بالعناق والقبلات وهو
يقول لها : « أنت اللبن والعسل . أجل . أنت اللبن والعسل ! »
ثم جعلها تغمض عينيها وأخذ يقبل اجفانها ، وكانت مرتدية ثوبا بلا اكمام
فأخذ يمر بيديه على ذراعيها البضتين . وقال لها : « كيف تحبين مثلى ؟ .
اننى شخص عادى قبيح المنظر اعرج القدم ! »
فأمسكت بوجهه بين راحتيها وقبلته فى شفتيه وقالت : « يا لك من
أبله ! »

maktbtna.com



زواج

انتهى جمع المحصول ، ووصل فيليب نبأ بتعيينه مساعدا للطبيب المقيم بمستشفى الكلية (مستشفى سانت لوك) ، وعلى ذلك سحب آل اثلنى فى عودتهم الى لندن . ثم استأجر غرنا متواضعة فى (وشمتر) وبدأ أعمال وظيفته فى أول اكتوبر . وكان العمل منوعا ومسليا . وقد بدأ يتعلم فيه جديدا من الطب

وكان يكثر من مقابلة سالى : وقد أصبحت الحياة فى عينيه جميلة مبهجة . وكان ينتهى من عمله عادة عند الساعة السادسة مساء فيذهب الى محل الخياطة الذى تعمل فيه وينتظرها حتى تخرج ، ثم يمشیان معا فى الشوارع المزدحمة ، وهو يحدثها عن عمله بالمستشفى وهى تحكى له عن عملها ورفيقاتها فى العمل . وقد لاحظ أن لها سخرية لاذعة اذ كانت تسخر من الزميلات ومن الرجال المشرفين عليهن . وكانت تقول النكتة المضحكة بلهجة جادة وهى تضحك بعينها !

وبعد ثلاثة أسابيع ، لاحظ يوما أنها تبدو أكثر ميلا الى السكوت وفى وجهها ما يدل على التفكير . فسألها : « ماذا بك يا سالى ؟ » . فقالت : « لا أدري ! »

وفكر هنيهة ثم قال لها بخوف : « اتعنين انك . . . ؟ » . وسكت ولم يتم عبارته ، وعندئذ رأى شفيتها ترتعشان والدمع ينحدر من عينها وقالت له : « لست متأكدة بعد ! »

ومشيا ساكتين حتى وصلا الى ركن فى شارع (شانرى لين) . وكانت قد تماكنت نفسها فمدت اليه يدها مصافحة وقالت : « لا تقلق بالك . ولنؤمل خيرا ! »

ومضى فى سبيله مضطرب البال يلوم نفسه على ما كان من حماقته . وكانت الافكار تتلاحق فى ذهنه . وما لبث أن رأى هذا العائق الجديد فى سبيل آماله وأحلامه . فانه ما كاد يبدأ عمله بالمستشفى حتى كان قد رتب فى ذهنه رحلات الى الخارج ، أولا الى اسبانيا ثم الى الشرق الاقصى كطبيب على احدى سفن الملاحة . بل انه كان قد اتصل ببعض الشركات وجمع معلومات عنها ليختار احسنها ويعمل على احدى سفنها . ولم يكن امامه الا سنة واحدة يقضيها فى وظيفته الحالية بالمستشفى فيجمع فيها خبرة ودراية . ثم فكر فى (جريفث) وكيف كان يقابل مثل هذا الحادث ويتخلص من عواقبه . أجل لا يصح أن يقف هذا الأمر عقبة فى سبيله . ولكن لا ! . . ليس هذا هو الجزء الحق على كل ما كان من اثلنى وأسرته

نحوه . وليس هذا هو المسلك الكريم نحو سالى التى وثقت به واطمأنت اليه وأحبته باخلاص . انه مع إعجابه بها وميله اليها لم يبادلها غراما بگرام ولكن أيجوز له أن يتركها هكذا ويذهب الى أسبانيا وبعدها الى الشرق الأقصى ؟ .. لابد أن يتزوجها وهذا وحده هو السبيل القويم الذى يجدر به أن يسلكه !

وكان قد اتفق معها على اللقاء يوم السبت عند متحف الصور الوطنى ، على أن تذهب الى هناك عند خروجها من محل عملها ، ثم يتناولوا طعام الغداء معا ، وقد مضى يومان منذ رآها آخر مرة ، فشعر بأنه مشتاق لرؤيتها ، وصار يردد فى نفسه ما سيقوله لها . وكان قد أرسل برقية الى الدكتور ساوث يخبره فيها بقبوله ما عرضه عليه وتلقى منه برقية يسأله فيها : متى يأتى ؟

وجاءت سالى تبسم ابتسامتها المشرقة وقالت له : « هل انتظرت طويلا ؟ »

فقال لها : « كلا ! .. عشر دقائق فقط . هل انت جائعة ؟ »
فقالت : « كلا ! » . فقال : « اذن نجلس هنا قليلا » . فقالت : « كما تشاء ! »

وجلسا جنبا الى جنب ، وشعر فيليب بارتياح جلوسها معه وأحس شعاع الصحة يغمره . ثم قطع حبل الصمت قائلا : « كيف حالك الآن ؟ »
فقالت : « لقد كان انذارا كاذبا ... ليس هناك شيء ! .. الا يسرك ذلك ؟ »

فتولاه شعور عجيب ! .. لقد كان موقنا أن شكوكها على أساس صحيح ، ولم يفكر لحظة فى أنها واهمة ، ورتب كل خطته بل كل حياته المستقبلية على هذا الأساس . والآن ها هو ذا حر مرة أخرى . ولا حاجة الى التخلي عن مشروعاته وآماله ورحلاته ... غير أنه ما لبث أن رأى هذا المستقبل الذى يريده خاويا ليس فيه الا الوحدة والوحشة . ان مثله الآن كمثل رجل طاف عدة سنين فوق بحار لا نهاية لها وليس فى جعبته الا الخطر والحرمان ، حتى وصل أخيرا الى مرفأ الأمان ، فما كاد يهم بدخوله حتى هبت ريح عاتية فأعادته الى عرض المحيط . كلا : انه لا يقدر أن يواجه الوحدة والعاصفة وحده ولا بد له من شريكة فى الحياة ! ونظرت اليه سالى بعينيها النجلاوين وعادت تسأله : « لست مسرورا الآن ؟ »

فقال لها : « لست متأكدا من ذلك ! »
فقالت له : « انك عجيب ! .. فان معظم الرجال كانوا يسرون فى مثل هذه الحالة ! »

فنظر اليها لحظة ثم قال : « لقد كنت عازما ان اطلب يدك ! »

فقلت : « الواقع انى فكرت فى ذلك ، ولكنى لا احب ان اقف عقبه فى سبيل رحلاتك ! »

فقال لها : « ومن قال لك انى اريد رحلات ؟ .. انى لا اكرث لها مطلقا ! .. ولا اريد ان اتركك ، بل لا أقدر ان اتركك ! »

فلم تجيب سنالى واستمرت تفكر ، فقال لها : « اتزوجينى يا سالى ؟ »

فقلت دون ان تنظر اليه : « هذا رهن بمشيئتك انت ! »

فقال لها : « وانت ؟ .. الا ترغبين فى ذلك ؟ »

فقلت : « اننى بالطبع احب ان يكون لى بيت ، وقد حان الوقت لان أستقر ! »

فسكت هنيهة ثم قال : « لكن الا تريدان ان تتزوجينى أنا نفسى ؟ »

فقلت فورا : « ما كنت لاتزوج غيرك ! »

فقال : « اذن اتفقنا ! »

فقلت : « لاشك أن أبى وأمى سيدهشهما النبأ ! »

فقال : « ما أسعدنى يا سالى ! »

فقلت : « الآن اريد أن أتناول طعام الفداء ! »

فأمسك بيدها وضغطها ، ثم قاما وهبـطا درج المتحف ووقفا هنيهة ينظران الى ميدان الطرف الاغر فى غبطة وتفاؤل وأمل سعيد

maktbtna.com



الشقيقات الثلاث

الهلال



مجلة الشرق الأولى .. تحمل لك أنفس
ما في الغرب والشرق من علوم ومعارف
وأمتع ما في الآداب الحديثة من روائع

اقرأ « هلال سبتمبر »

في أول الشهر القادم

كتاب الهلال



سلسلة كتب شهرية نفيسة لأعظم
المؤلفين والكتاب في بلاد الشرق والغرب
اقرأ « أبو الشهداء .. الحسين بن علي »

تأليف الأستاذ عباس محمود العقاد

في ٥ سبتمبر القادم

روايات الهلال



سلسلة شائعة من روائع القصص العالمي
لأكبر كتاب القصة العالميين .. تناول
مختلف أنواع القصص الانسانية

اقرأ « قلوب تحترق »

تأليف ستيفان زفايج

في ١٥ سبتمبر القادم

اشترك في روايات الهلال

تضمن وصول الأعداد كل شهر بانتظام

(أسعار الاشتراك على الصفحة الثانية من الغلاف)

وكلاء روايات الهلال

بيروت ولبنان : السيد خليل طعمه - السور - العسيلي -
المدخل الشمالى - ص ٠ ب ٥٤٣ بيروت

حلب : الشيخ طاهر النعسانى

حمص : السيد سعيد نجار

اللاذقية : السيد نخله سكاف

حمص : السيد عبد السلام السباعى - ص ٠ ب ٤٩

مكة المكرمة : السيد هاشم بن السيد على نحاس - ص ٠ ب ٩٧

بغداد والعراق : السيد محمد جواد حيدر - مكتبة المعارف -

بسوق السراى

البحرين والخليج الفارسى : السيد مؤيد أحمد المؤيد - مكتبة

المؤيد - البحرين

The Queensway Stores, P.O. Box 400,
Accra, Gold Coast, B.W.A.

ساحل الذهب :

Mr. M.S. Mansour, 110, Victoria Street,
P.O. Box 652, Lagos, Nigeria, W.C.A.

نيجيريا :

Mr. Abdellah B. M. Assouab,
Oud Ahardan No. 18.
TANGER, Maroc.

المغرب :

Arabic Publications Distribution Bureau
15 Queensthorpe Road, London. S.E. 26.

انجلترا :

متعهد توزيع روايات الهلال للباعة والمكتبات فى العراق

السيد محمود حلمي

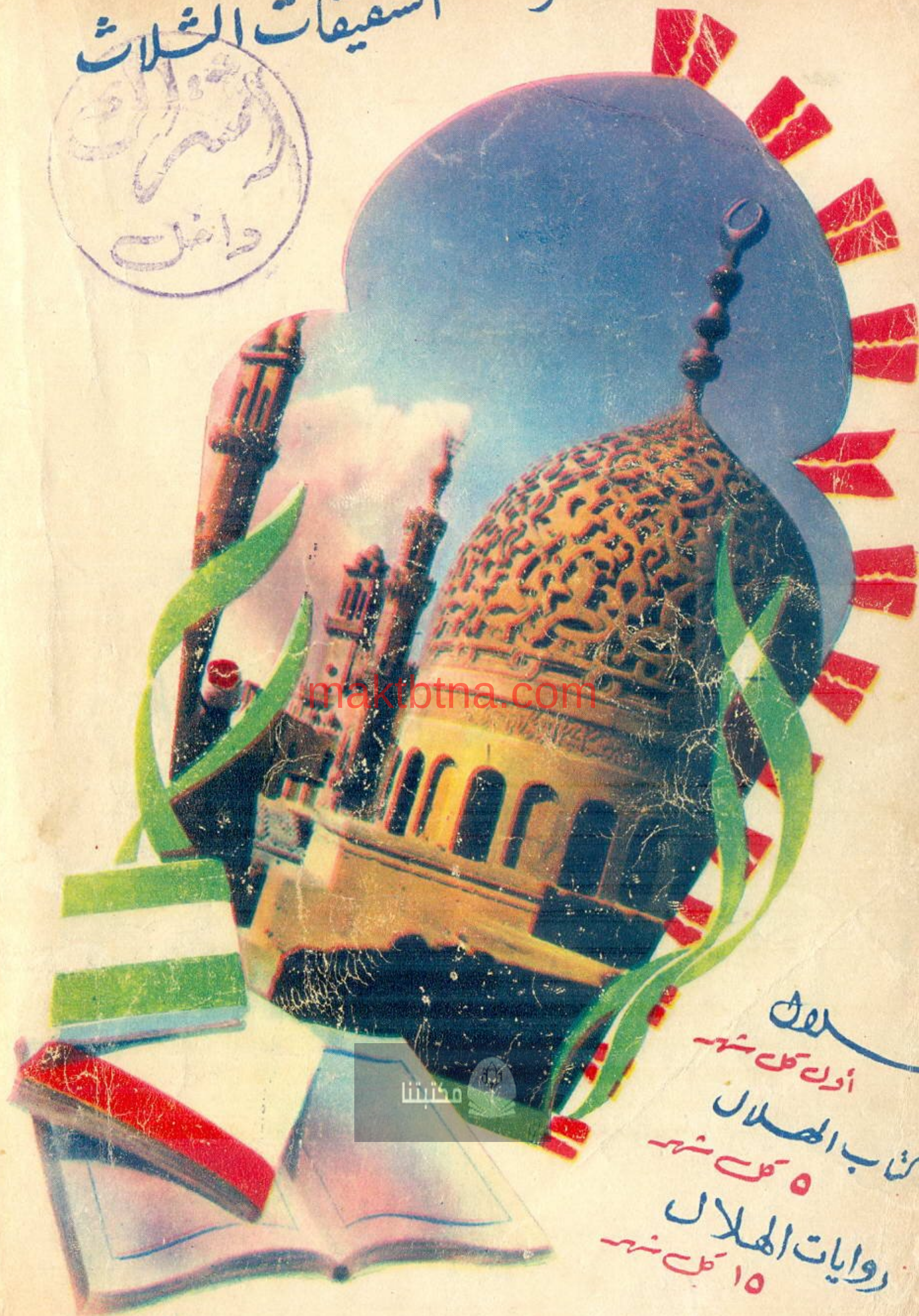
متعهدو توزيع روايات الهلال للباعة والمكتبات فى طرابلس الغرب

السادة أبناء ابراهيم المشيرقى

مطبوعات دار الهلال تباع فى بنى غازى

بالمكتبة الوطنية لصاحبها السيد محمد على بو قعقيص

اقرأ الشقيقات الثلاث



مكتبتنا

كتاب الهلال
أول قسط شهر
كتاب الهلال
٥ قسط شهر
روايات الهلال
١٥ قسط شهر

تعداد